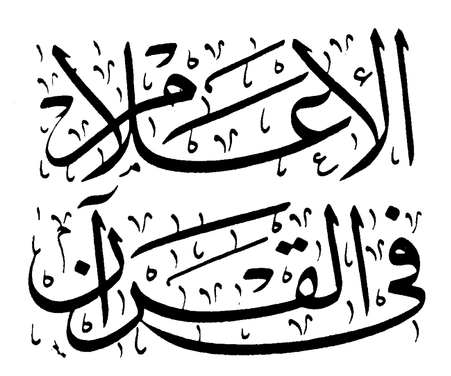
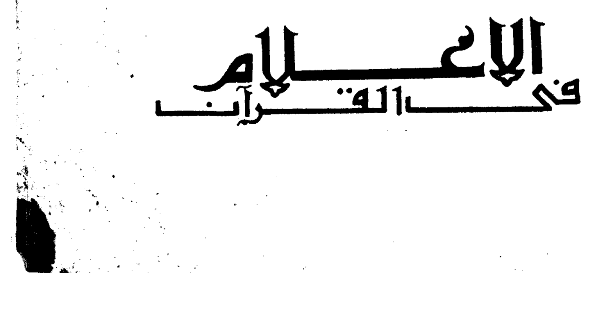
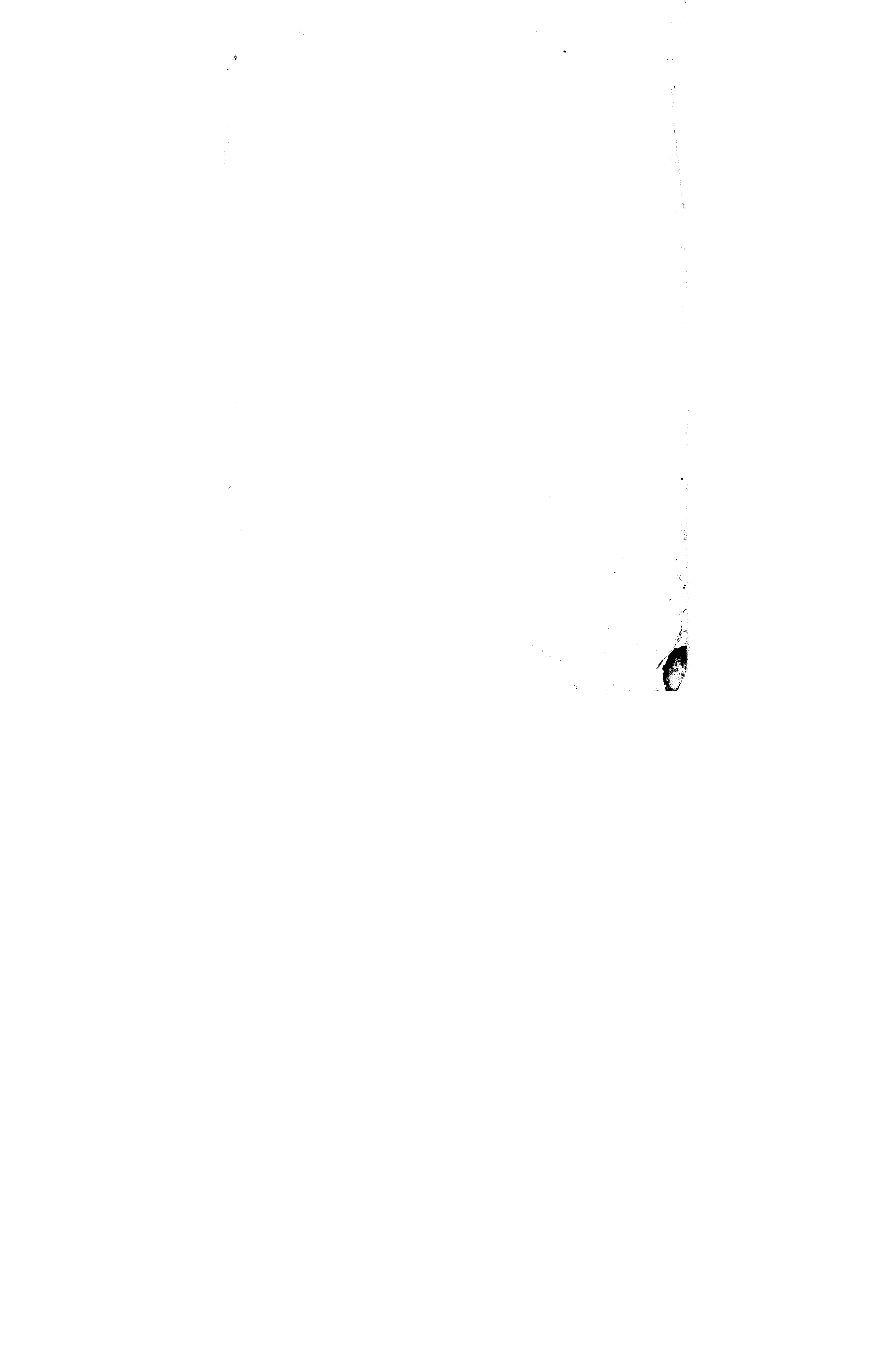
دكتور
أحمد أحمد غلوش
عميد كلية الدعوة الاسلامية بالقاهرة سابقا
والأستاذ بقسم الدعوة بجامعة أم القرى
مكة المكرمة



الجزء الأول
الجانب النظري

الطبعة الأولى
١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م


الإعلام
في القرآن



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين • والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين •

وبعـــد

فلقد خلق الله الانسان مكونا من عنصرى الجســد والروح ، حيث لكل منهما طبيعته ، ورغباته ، فالجســد مادى محسوس ، مرتبط كطبيعته بخصائص المــادة التى تكون منهــا ، ونما بهــا ، وعاش فيهــا ، ودائما رغباته تنحصر فى اشباع دوافعه بوسيلة مادية ، •• والروح عنصر معنوى لا يرى ، وهى مصدر الحياة للجســد ، وعليهــا مدار الفهم والتصور والتوجيه ، وبسعادتها يسعد الجســد ، وبألمهــا يتألم الجســد ، •• وكأن الانســـان كيان مركب قائده هذه الروح ، والمقود فيه هو الجسد •

وحيث كان الانسان هكذا كانت حاجته لتوجيه يرعى عنصريه معــا ، لأن اشباع عنصر ما • واهمال الآخر يؤدى الى اليأس والقنوط ، ويجعل الانسان يعيش بعيدا عن خلق الانسانية وقيمها •

وقد تجلت حكمة الله خالق الانسان بأن أنزل الاسلام من عنــده ، وجعله دينا يتعبد الانسان به ، ويلتزم بتعاليمه ليســعد ويستقيم •

وانما قلنــا بذلك لأن الاسلام دين يتكون من عقيدة وشريعة • حيث تناولت العقيدة الأركان الايمانية التى تحتاج الى عمــل الجــانب الباطنى فى الانسان فتلتقى مع الروح ، وتجعلهــا تؤمن بخالقها ، وتصدق بوحدانيته الاها • وربا • متصفا بكل ما أخبر به سبحانه وتعالى منصفات الجلال والكمال • وبذلك تعيش الروح مع قدرة الله تعالى مستسلمة • راضية • مطمئنة • واثقة بأن الآخرة خير وأبقى • وأن الآخرة خــير من الأولى • وتلتزم بالمنهج الايمانى • وبذلك تسعد وتستقيم •

وأما الشريعة فانهـا تتضمن تفصيلا للأحكام الشرعية المتصلة بأعمال الانسـان التى تظهـر من سلوكه وفعله • وهى بذلك تنظم الحياة العمليـة بمجموعة من الأحكـام الفقهية المشتملة على كل نشاط فى الحياة البشرية ، اذ تنظم للانسان حياته طفلا ، وشابا ، وشيخا ، وابنا وزوجـا ، وأبـا وأمـا • بـل وتنظم لـه علاقاته من الآخرين أفـرادا أو جماعات • وهى بهـذا التنظيم تراعى المصلحة ، وتؤكـد الترابط مـع الروح ، وبذلك يعيش الانسان بظاهره سـعيدا راضيا •

فاذا ما رضى الجسـد ورضيت الروح بمنهج الله تعالى • تحققت السـعادة فى الدنيـا والآخرة •

ويلاحظ أن الاخلاق الاسلامية تلتقى مـع العقيدة والشريعـة فتزيدهمـا حسنا وجمالا •

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن جعل الاسلام قابلا للانتشـار والذيوع فهو فوق انجذاب الانسان اليه وهو يسعى لمصلحته • نزل من عنـد الله تعالى فى صورة معلومات وحقائق ، سهلة الفهم ، ومعهـا دليل صدقهـا والاقتناع بها ، وأيضـا جعل نقلها للناس أمرا سهلا حيث جاءت بمستوى عقل الانسان ، وعلى قـدر طاقته وحركته •

ولم يقف الاسلام عند جماعة معينة ، أو قـوم مخصوصين ، وانما كان للناس أجمعين الى يوم القيامة •

وقد تجلت رحمة الله بالناس فكلف الله المؤمنين بتبليغ الاسلام الى كل الناس • وجعل ذلك واجبا عليهم • حيث قال الله تعالى : « **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكـر وأولئك هم المفلحون** » (١) •

وقال سبحانه : « **فلولا نفر من كل فرقـة منهم طائفـة ليتفقهوا فى**

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٠٤ •

الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » (١) ٠

وقال تعالى : **« يا أيهـا الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فمـا بلغت رسالته »** (٢) ٠

وقال سبحانه : **« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسـنة وجادلهم بالتى هى أحسن »** (٣) ٠

ومن هذا المنطلق وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسـلم يبلغ الاسلام بكل طاقته ويوجه أصحابه والمسلمين الى القيـام بواجب التبليغ حيث يقول عليه الصلاة والسلام :

« بلغوا عنى ولو آية » (٤) ٠

« ألا ليبلغ الشـاهد منكم الغائب » (٥) ٠

« تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم » (٦) ٠

ومن الآيات والأحاديث نلحظ :

أن تبليغ الدعوة للناس أمـر واجب يقوم به العلماء وغيرهم ٠

كل على قدر طاقته ، وبذلك يعيش الجميـع الخير والفلاح بتكاتفهم على الأمـر بالمعروف والنهى عن المنكـر ، ويتمكنون بذلك من توجيه الحياة وفق منهج الله تعالى ٠

والجماعة المسلمة مسئولة عن توجيه الدعـوة ، وتربيـة الدعـاة لأهمية ذلك فى مجال تبليغ الاسلام ونشره فى العالمين ، لأن تقدم العلوم، وتطور الحضارات وكثرة المذاهب أدى الى ضرورة الاعتماد عـلى

---

(١) سورة التوبة : آية ١٢٢ ٠

(٢) سورة المائدة : آية ٦٧ ٠

(٣) سورة النحل : آية ١٢٥ ٠

(٤) صحيح البخارى كتاب الأنبياء – باب ما ذكر عن بنى اسرائيل جـ ٦ ص ٤٩٦ ٠

(٥) صحيح البخارى – كتاب العلم جـ ١ ص ٣٧ ٠

(٦) الفتح الربانى جـ ١ ص ٢٦٤ كتاب العلم باب فضل تبليغ الحديث

الجوانب النفسية ، والأسس العلمية فى فن الدعوة ، ومن ذلك ضرورة السعى للتفقه فى الدين ، والوقوف على كيفية التحرك به فى الناس •

والدعاة عليهم أن يعلموا دينهم استنباطا من مصادره • وان يبلغوه بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، والجدل باللين والرفق ، مراعين خصائص الناس ، وطبائع النفوس •• وبذلك يملكون البيان ، والاقناع ويقومون بالواجب الذى جعله الله فى الامة الاسلامية خالدا الى قيام الساعة •

وبالتتبع الواعى لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم يمكن استنباط منهج عملى لتبليغ الدعوة سلكه الرسول مع صحابته بدقة بالغة ، وحرص على النجاح ليكون أسوة ومنارة للجماعة المسلمة ، وللفرد المسلم فى مجال الدعوة والتوجيه ، والاعلام والارشاد •

ويمكن القول بثقة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع خطة عملية للدعوة يمكن الاستفادة بها لتكون أساسا للاعلام المعاصر ولغيره من وسائل التربية والتوجيه وأساسيات هذه الخطة تتلخص فيما يلى :

أولا : اختيار القادرين من أصحابه على عملية التبليغ • وتكليفهم بالقيام به ، فلقد اختار مصعب بن عمير رضى الله عنه وأرسله الى المدينة ، فبقى بها عاما دخل الاسلام والقرآن خلالها كل بيت ، وهذا الاختيار أمر ضرورى حيث لا يقدر على البلاغ كل من أسلم ، كما ان الكفء قادر على أداء ما يكلف به ، وغيره لا يقدر ، والاسلام كان يلاحظ تميز الافراد ويعطى لكل ما تميز فيه ، فأعلم الصحابة بالانساب أبو بكر رضى الله عنه ، والفاروق هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وسيف الله هو خالد رضى الله عنه ، وأقضى الصحابة على رضى الله عنه ، وأعلمهم بالفرائض زيد رضى الله عنه • وهكذا •

ثانيا : دعوة الناس والتحرك اليهم حيث هم فرسول الله صـــلى الله عليه وسلم كان يدور على القبائل ، ويرسل أصحابه الى الامصــــار للدعوة الى الله تعالى •

ثالثا : الاستفادة من كل الوسائل المتاحة لتبليغ الدعــوة فرسول الله صلى الله عليه وسلم قد استفاد بكل ما أمكنه فدعــا بنفســه ، وكلف غيره وناقش الناس ، وقرأ عليهم القرآن الكريم ، وخطب فيهم ، وأرسل الرسائل ، واستقبل الوفود ، وجاهــد فى سبيل الله ، كمــا كانت أخلاقه وأعماله دعــوة الى الله تعالى بالقدوة والأسوة •

رابعا : تفهيم القادرين على التبليغ تعاليم الاسلام ، مــع الاحاطة بما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية من تصويــر للنفوس ، وطــرق للجــــدل والحوار ، ومناهج للتوجيه والارشاد ، مع التأكــد من هــذه الاحاطــة : **فلقــد اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل رضى الله عنه وسأله حين أرسله قاضيــا على اليمن حيث قال لــه عليه السلام : كيف تقضى اذا عرض لك قضــاء ؟ •**

قال معاذ : أقضى بكتاب الله تعالى •

قال صلى الله عليه وسلم : فان لم يكن فى كتاب الله ؟

قال : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم •

قال عليه السلام : فان لم يكن فى سنة رسول الله صلى الله عليه وســلم •

قال معاذ : أجتهــد رأيى ولا آلو ؟ •

فضرب الرسول صدره وقال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لمــا يرضى رسول الله » (١) •

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ـ باب اجتهاد الرأى عنــد عــدم النصوص ج ٢ ص ٦٩ •

خامسا : الالتزام بقيم الاسلام وأخلاقه وأحكامه فى كل حركة الدعوة ونشاطها ، وذلك أن الدعاة يقابلون أخلاطا عديدة من الناس ، ويرون صورا كثيرة من ردود الافعال ، وعليهم أن يكونوا ازاء كل ذلك صورة صادقة عن الاسلام ، يعبرون عن أحكامه ، ويصورون تعاليمه عملا وسلوكا • وبذلك تكون دعوتهم بالقول والعمل معا • وفى عصرنا الحديث تجددت الحضارات ، وتنوعت الثقافات ، وتقدم البشر ، وظهرت العلوم ، واستحدثت الوسائل وصار واجبا على المسلمين أن يتابعوا واجبهم فى تبليغ الاسلام مستفيدين من التقدم الهائل فى كل المجالات •

ولم يعد مقبولا أن نستمر فى الدعوة بالأساليب القديمة لأن فعل ذلك والاكتفاء به كمن يركب دابة فى عالم الطائرات والصواريخ •

ان الاعلام فى العصر الحديث وسيلة للاتصال بالجماهير ، يمكنها أن تصل الى كل شخص فى هذا الكون أينما كان مكانه ، وتكلمه بلغته ، وتستثير وجدانه وعواطفه لتصل بذلك الى ما تريد •

ويمكن للاعلام أن يصل الى أقصى مكان فى لحظات قليلة ، وها نحن اليوم نسمع ونرى أحداثا تقع فى القمر فى لحظة حدوثها ، ونرى أن أحداث الدنيا كلها تنتقل الى كل مكان فى لمحة بصر أو فى أقل من ذلك •

ومن الحقائق المسلمة أن الانسان يعيش نهاره معرضا لتأثيرات اعلامية لتوجيهه والتأثير فيه • والعمل على تكوين رأى عام مقصود ، ذلك أن الصحيفة والاذاعة المرئية والمسموعة والملصقات والاعلانات ، كلها تمثل ضغوطا فكرية على حواس الانسان وعقله وفق منهج مدروس ، وخطة متكاملة ولذلك غالبا ما يصل الى هدفه •

ومادام الاعلام هكذا فواجب أن يوضع فى خدمة الدعوة • ليبلغ الاسلام بواسطته الى كل الناس بصورة سهلة • مقنعة • ومؤثرة •

وتبليغ الاسلام لا يقتصر على اطار معين ، أو وسيلة خاصـــة ، وانما هو رسالة مقدمة تؤدى بوسائل عديدة قديمـــة أو حديثة ، فكل وسيلة للاتصـــال يجب أن يستفاد بهـــا فى عملية الدعـــوة والتعريف بالاسلام •

ان وسائل الاعلام من صحيفة واذاعة مرئية أو مسموعة — ولها تأثيرها وسرعتهـــا وانتشـــارهـــا — يجب أن تكون فى عملية ابـــلاغ الاســـلام •

ان أصحاب المذاهب الباطلة كالشيوعية والبهائية والوجوديـــة والمادية وغيرهـــا يتخذون الاعلام وسائل لنشر أباطيلهم واذاعته بين الناس ، وهم فى هـــذا لا يفرقون بين مذهب الدولة وأعلامها ، وانمـــا جعلوا الاعـــلام فى خدمة سياســـة الدولة ومذاهبها واتجاهاتها •

ولذلك لـــم يعد مقبولا أن ندخل فى اعـــلام المجتمع المسلم بعض البرامج الدينية وكفى ، وبعدهـــا يبتعـــد الاعـــلام عن الاسلام موضوعا ومنهجا ووسيلة •• وانمـــا صار واجبا أن تتجه كافـــة وسائل الاعـــلام فى المجتمع المسلم لخدمة الاسلام • تشرحه ، وتبلغه ، وتدعو اليه • وتلتزم بتعاليم الاسلام فى السلوك ، وفى الاعمـــال ، وفى كل المظاهر والانشطة الاعلاميـــة •• وأصبح واجبا كذلك أن تتجه أقســـام الاعـــلام وكليـــاته فى المجتمعـــات الاسلاميـــة الى تقديم الدراســـات التى تخرج رجل الاعـــلام المسلم الذى يفهم دينه ، ويقدمه رسالة اعلامية منظمة فى أحـــد الوسائل التى سيعمـــل بهـــا سواء كانت اذاعـــة ، أو تلفزة ، أو صحيفة أو مجلة ، أو غير ذلك لانه رجل اعـــلام متخصص ورجل اســـلام مثقف •

وصار واجبا على كل فرد مسلم أن يستقبل الرسالة الاسلاميـــة بهديهـــا وارشادهـــا ليستفيد بها ، ويعيش على هديهـــا وتوجيهها •

وانما صار ذلك الامـــر ضرورة واجبة لأن الاعلام بمختلف منظماته ووسائله فى أى مجتمع مسلم اذا لـــم يعمل للاســـلام ، فلمن يعمـــل ؟ اذ لاخيار له اذا ابتعد عن اسلامه حيث لا يبقى الا الانتقال فى صـــف أعداء الله والاسلام ، وذلك أمـــر لا يجوز •

ومن هنا فرجل الاعلام ملتزم بمـا التزم به الرسول والدعـاة وان اختلفت الوسيلة والطريقة لأن الغاية واحـدة والهدف واحد ٠

ودعوى أن الاسلام يهتم به المتخصصون فقط أمـر مردود ، لأن الاسلام علم ، وكل من علم جزئية فيه صار مسئولا عن الاخبار بهـا ، ونشرهـا ، كمـا أن المسلم أيا كان موقعه مكلف بأن يعلم دينه حتى يتمكن من تطبيقه والعمل بتعاليمه ٠ وعليه اذا أن يدعو بما علم ٠

وهذه الدراسـة التى أقدمها اليوم تعد محاولة لتأصيل الاعلام اسلاميـا ومن أهدافها تحقيق ما يلى :

١ — بيان اهتمام الاسلام بالاعلام منذ اللحظة الأولى لنزوله حيث اشتمل القرآن على العديد من التوجيهات فى مجال حركة الاخبار والانباء والاعـلام ٠

٢ — توضيح الأصول الأساسية فى عملية الاعلام المعاصرة لاظهار أصالتها فى كتاب الله تعالى ليعلم الاعلاميون أنهم فى دراستهم ونشاطهم ينطلقون من مفهوم اسلامى وفى مجال تصور اسلامى خالص ٠

وذلك أمـر أساسى لأن تأصيل الفكر الاعلامى اسلاميـا يعرف بمناط القوة فى الاسلام ويدفـع الى الاعتداد بالدين ، وحبه ، والعمل لـه ٠

٣ — بيان مزايا حركة الاعلام فى الاسلام سواء فى جانب خصائص موضوعه ، أو فى أسلوب عرضه ، أو فى أخلاقيات رجاله وعلمائه ، أو فى اهتمامه بتحقيق المصلحة الخاصـة ، ونشر السعادة ، وتحقيق السلام ٠

٤ — اظهار السبق الاسلامى فى كل مجال حتى لا تصدق مزاعم الكافرين ، والمنافقين الذين يرون أن الاسلام أدى الى التخلف ، وينادون بالحياة على طرق الآخرين غربيين أو شرقيين ٠

ان اظهار الحقيقة يبين الداء ، وحينئذ يمكن علاجه والتخلص منه ،ان العيب فى المسلمين وليس فى الاسلام ، وعسى أن تعالج الحقيقة بعض

الداء ، وتدفــع المسلمين الى الثقة بدينهم ليتخلصوا من حركة الانهزام الرهيبة التى يعيشها المسلمون فى سياستهم الخاصـــة والعامة •

ومن صور الانهزام فى حياة المسلم تبعيته لغير المسلم فى شكل ملبسه ونظام معاشـــه ، وألوان اهتماماته ، وموضوعـــات افتخــــاره وتباهيه ، انه انهزام كبير يعيشه الرجال والنساء فى المجتمع الاسلامى الكبير • ولعل ما نراه فى اعلام الدول الاسلامية تأكيد صريح على هــذا الانهزام حيث أن المحتوى فى أغلبه لا يرضى الاسلام عنه أبدا ولذلــك كان اظهار السبق الاسلامى فى مجال الاعلام فى ضوء القرآن الكريم أملا فى استقلالية الاعلام المسلم ، والترفع به الى المستوى الذى يرضى الله ورسوله ، وليكون اعلام تبليغ للهدى ، ووسيلة للدعوة الى الله •

ومنهج تناولى لهذه الدراسة يعتمد بصورة رئيسية على التتبــع الموضوعى لآيات القرآن الكريم فى القضايا التى لهـــا اتصال بالاعـــلام والتوجيه ، كمـــا أنه يلجـــأ الى الاعـــلام المعاصر فى نظمه وصـــــوره ونظرياته ، ليرد الزيف ويثبت الحق وبخاصـــة ماله نظير فى الاسلام •

وسأقسم الدراسة الى قسمين حيث أورد كل قسم فى جـــــزء مستقل وبذلك يكون القسم الأول فى الأسس المنهجية للاعـــلام فى القرآن الكريم ، ويكون القســـم الثانى فى استعراض بعض المواقف التطبيقية للاعـــلام من خلال القرآن الكريم •

وفى تصورى أن دراســـة القسم الأول تحتاج لبحث القضايـــا التالية •

الأولى التعريف بالقرآن الكريم وبيان فضله على الاعـــــلام فى صوره ونظمه ونظرياته وتطبيقاته مع ابراز أهم أهداف القرآن فى الدعوة والتوجيه •

الثانية : التعريف بالاتصـــال والاعلام فى منطق القرآن الكريم مع بيان ما فيه من دقة واحاطة •

الثالثة : بيان أساسيات العملية الاعلامية مع توضيح اهتمام القرآن الكريم بهـــا •

الرابعة : توضيح موقف القرآن الكريم من المرســل فى مجال الاعــلام ٠

الخامسة : اظهار موقف الاسلام من الرســالة الاعلامية وذلــك من ناحيتين :

أولاها : ابراز حقيقتها ومزاياهــا ٠

ثانيتها : ايراد بعض الاساليب القرآنية التى تضمنت توجيهــا اعلاميــا بأحد قضايــا الاسلام ٠

السادسة : بيان اهتمام القرآن الكريم بالمتلقى باعتباره المقصود بالتوجيه والارشــاد ٠

وبذلك تنتهى الدراســة التى أتصورها للقسم الأول باذن اللــه تعــالى ٠

وأرجو ان انتهى من القسم الثانى قريبا بعون الله وتوفيقه ٠

ومراجع هذه الدراسة هى القرآن الكريم ، وكتب التفسير المختلفة على تنوعهــا ، تاريخــا ، ومنهجا ، واتجاها ٠٠ وكتب الاعــــلام بموضوعاتهــا المختلفــة ٠

وأخيرا :

فعلى كل دارس للاعلام فى المجتمع المسلم أن يعلم أن دوره هــو المســاهمة فى عملية التعريف بالاسلام بصورة حسنة طاعة لله تعالى وهو يوجهنا فى قوله تعالى :

« وقولوا للناس حسنا » (١) ٠

ونجاة من التقصير المعاقب عيه ٠

---

(١) سورة البقرة آية ٨٢ ٠

يقول النبى صلى الله عليه وسلم : **« والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكـــر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا ثم تدعونه فلا يستجاب لكم »** (١) ٠

ويجب علينا جميعا أن نتواصى بالحق والصبر ، يقول الله تعالى : **« والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحـــات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »** (٢) ٠

ويجب أن يشعر كل منا كمسلم بأن عليه أن يعمـــل ليسلم الأمانة لمن بعده وقد صدق فيهـــا ، وأخلص لهـــا ، وليموت يوم يموت وهـــو مسلم عاش بالتقوى وأحسن الاتباع ، يقول الله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون »** (٣) ٠

وسؤالى لله أن يهبنى التوفيق والسداد ، ويجعل الصعب عنـــدى سهلا ، وييسرلى الطريق ، وينير أمامى الحق والصواب ، ويجعل عملى هذا خالصـــا لوجهه — ويتقبله منى ، ويأجرنى عليه ، فهو — سبحانه — حسبى ، وهو نعم المولى ونعم النصير ،،،،،

أ ٠ د / أحمد أحمد غلوش

مكة المكرمة فى يوم السبت

٨/٥/١٤٠٦ هـ ، ١٨/١/١٩٨٦ م

---

(١) رياض الصالحين ص ١٥ ٠
(٢) سورة العصر ٠
(٣) سورة آل عمران آية : ١٠٢ ٠

الفصل الأول

القرآن الكريم
أســاس الاعلام الاســلامى

- تعريفــه
- شــمول تعاليمه
- تاصيله للاعــلام الاسلامى ٠

القرآن الكريم كتاب الله تعالى ، المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، دستور الاسلام وأساسه ، فيه بيان لكل قضية من قضـــايا الحياة ، من قصده نال الخير والفلاح ، ومن بعد عنه ضل وزاغ •

وضح القرآن الكريم أصول الدين وتعاليمه ، وبين وسائلهـــا ، واستعرض تاريخهـــا ، ونادى بمراعاة ذلك لمن يتصـــدى للدعوة وتبليغ دين الله تعالى •

كما سما القرآن الكريم بالأهداف المقصودة من عمليـــة الدعوة والاعلام حيث جعلهـــا بيانا للاســـلام ، والتزاما بتعاليمـــه ، واسعادا للانسان فى الدنيـــا والآخرة •

والاعــلام الاسلامى هو المسمى العصرى للدعــوة الاسلامية ، ولذا كانت التوجيهات القرآنية واحــدة لهمــا حيث اتحــد الاسلوب والهدف ، وما فى الوسيلة من تغاير وتنوع لا يباعد بين الاسلوب والغايـــة لأنها أداة يستفاد بهـــا ، حيث يوجهها المرسل نحو غايـــة يقصدهـــا ويعمل لهـــا •

وفى هذا الفصل سأتحدث عن القرآن الكريم من زاوية كونه أساسا ومصـــــدرا للاعـــلام الاسلامى ولذا سأتناول فيه المباحث التالية •

١ ــ التعريف بالقرآن الكريم •

٢ ــ شمول تعاليم القرآن الكريم •

٣ ــ تأصيله الاعــلام الاسلامى •

وستأتى هذه المباحث وفق الترتيب المذكور • والله الموفق •

تعريف القرآن الكريم

جاء محمد صلى الله عليه وسلم بدعـوته للناس أجمعين ، ليخرجهم من الظلمات الى النور ، ويهديهم للتى هى أقوم ، وقد أنزل الله تعـالى عليه القرآن الكريم ليكون دستور الدعـوة ، يحدد الأصـول ، ويرسـم المنهج لبناء الانسان الصالح ، واخراج خير أمـة فى الوجود ٠

والقرآن اسم خاص بكتاب الله تعالى مشتق من القـرائن حيـث الآيات يصدق بعضها بعضا ، ويشبه بعضهـا بعضـا ، أو من القرء بمعنى الجمع ، أو من القراءة بمعنى التلفظ ويذهب الامـام الشـافعى الى أنه علم غير مشتق خاص بكتاب الله تعالى (١) ٠٠ ويعرف القـرآن اصطلاحا بأنه « كلام الله تعالى المنزل بلفظه ومعناه على محمـد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته المتحدى بأقصر سوره منه المنقـول الينـا تواترا » (٢) ٠

وهذا التعريف الاصطلاحى للقرآن الكريم يشير الى أهم خصائصه وهى :

الخـاصة الأولى هى أن لفظ القرآن الكريم ومعنـاه من عند الله يقول تعالى مؤكدا ذلك « وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » (٣) ٠ يقول سبحانه (ان علينا جمعه وقرآنه) (٤) ٠

وقـد حفظ الله تعالى كتابه كمـا أنزله ، وهيأ لذلك العـديد من

---

(١) الاتقان فى علوم القرآن ج ١ ص ٥٠ بتصرف ٠
(٢) تعريف القرآن الكريم بالتعاريف المنطقية المعهودة متعذر ولذا فان التعريف المذكور يقرب حقيقته ، ويميزه عمـا عداه ٠
انظر (مباحث فى علوم القرآن ص ٢٠ للشيخ مناع القطان) ٠
(٣) سورة النحل آية ٦ ٠
(٤) سورة القيامة آية ١٧ ٠

الوسائل ففى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كـان اذا نزل **شىء** من القرآن الكريم أقرأه لصحابته ، وأمرهم بحفظه ، وحثهم على **كتابته** ، حتى انه عليه السلام جعل الكتابة بصورة عامة قاصرة عـلى القرآن الكريم دون سواه حيث قال عليه الصلاة والسلام : « **لا تكتبوا عنى شيئا سوى القرآن فمن كتب عنى شيئا سوى القرآن فليمحه** » (١) **ويقول** أبو هريرة رضى الله عنه خرج علينـا رسول الله ونحن نكتب الأحاديث • فقال : **ما هذا الذى تكتبون ؟ • قلنـا : أحاديث سمعناهـا منك • قال : أكتابا غير كتاب الله تريدون ؟ ما أضـل الأمم من قبلكم الا ما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالى (٢) •**

وبهـذا يتضح ان النبى صلى الله عليه وسلم وجه أصحابه الى أهم **عامل** يحفظ القرآن الكريم كمـا نزل من عند الله تعالى حتى لا يختلط به **غيره** وقـد منعهم من كتابة الحديث بصفة عامـة • ، • ومـا رخصـه **للبعض** فى الكتابه فقـد كان لأسباب خاصـة •

وهكذا حفظ القرآن الكريم فى الصدور وكتب فى الصحائف الا أنه لم يجمـع فى مصحف واحـد يقول الخطابى : « انمـا لـم يجمـع النبى صلى الله عليه وسلم القـرآن فى المصحف لمـا كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه ، أو تلاوته ، فلمـا انقضى نزوله بوفاته عليه السلام الهم الله الخلفـاء الراشـدين جمعه وفـاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة » (٣) •

وفى زمن الخليفـة الأول أبى بكـر الصديق رضى الله عنه بدأت **مرحلة أخرى** فى حفظ القرآن الكريم ، يحدثنا زيد بن ثابت فيقـول : « أرسـل الى ابو بكـر الصديق رضى الله عنه مقتل أهل اليمامة فاذا عمر بن الخطـاب عنده • قال أبو بكـر رضى الله عنه : ان عمر أتانى

---

(١) جامع بيان العلم وفضله • باب ذكر اهمية كتابة العلم جـ ١ ص ٧٦ •
(٢) تقييد العلم للخطيب البغدادى ص ٣٣ •
(٣) الاتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٥٧ •

فقـــال : ان القتل قــد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وانى أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وانى أرى أن تأمر بجمع القرآن • قلت لعمــر : كيف نفعل شــيئا لــم يفعله رســول الله صلى الله عليه وسلم • قـــال عمــر : هــذا والله خير ، فلم يزل عمــر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك • قال زيــد : قال أبو بكــر : انك رجل شـــاب عاقل لانتهمك وقــد كنت تكتب الوحى لرســول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه (١) ، فو الله لو كلفونى نقــل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمــع القرآن • قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم • ؟ قال : هو والله خير • فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح صدر أبى بكــر وعمــر رضى الله عنهما • فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف (٢) وصدور الرجال حتى وجدت آخــر سورة التوبة مع ابى خزيمة الانصـــارى (٣) لم أجدهــا مــع أحــد غيره (٤) (لقــد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم) حتى خاتمـــة براءة ، فكانت الصحف عند أبى بكــر (٥) حتى توفاه الله ثم عنــد عمر فى حياته • ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنه (٦) •

---

(١) يراد بهذا الجمــع • وضع الكتابات القرآنية المتفرقة فى مكان واحد فهو جمــع صحف لاجمــع المصحف الواحــد •

(٢) العسب جريد النخل كانوا يكتبون عليه ، واللخاف هى الحجارة والجلد وكانوا يكتبون عليهــا ايضا (انظر الفتح ج ١٩ ص ١٦) •

(٣) ابو خزيمة هو الصحابى ابن اوبس بن يزيد بن اصرم مشهور بكنيته دون اسمه • (انظر الفتح ج ١٩ ص ١٧) •

(٤) مراده انه لم يجدها مكتوبة عند غيره لأنه كان يجمع الآية محفوظة فى صدور الرجال او مكتوبة فى الجريد والجلد والحجر ، والذى ثبت ان الآيات المذكورة اجتمــع فيها زيد بن ثابت وعمر بن الخطــاب وأبو خزيمة رضى الله عنهم •

(٥) وهذا الجمع الذى امــر به الخليفة الأول من فروض الكفايــة لانه يســاعد على حفظ القرآن الكريم • وكل ما يحفظ القرآن فهو واجب وقــد اجمــع الصحابة على ذلك •

(٦) صحيح البخارى باب جمــع القرآن ج ٦ ص ٢٢٥ •

وهكذا حفظ القرآن فى عهد أبى بكــر فى مستودع عتيد ، ويــدل الحـــوار الــذى أشــار اليه الحديث الى حرص الصحابة عــلى الالتزام الدقيق بمــا تركهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك طال الاخــذ والرد بينهم ، فلمــا تأكدوا من أهمية جمــع الصحف فى المحافظة على كتاب الله تعالى مضوا اليه •

وفى عهد عثمان رضى الله عنه شــاهد حذيفــة بن اليمان اختلاف بعض المسلمين فى القراءة فقدم على عثمان وقال لــه : أدرك هـــذه الأمة قبل ان يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلى الينــا بالصحف ننسخهــا فى المصاحف ثـــم نردها اليك • فارسلت بها حفصة الى عثمان ، فأمــر زيد بن ثابــت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف • وقال عثمــان للرهط القرشيين الثلاثة : اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلســـانهم ، ففعلوا حتى نسخوا الصحف فى المصاحف ثم رد عثمان الصحف الى حفصة وارســل الى كل أفق بمصحف ممــا نســخوا وأمر بمــا سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق » (١) •

وحسنا فعل عثمــان رضى الله عنه فقــد حســم بصنيعه هــذا ما قــد ينجم عن اختلاف الحروف من منازعــات وجدل •

ومصحف عثمان رضى الله عنه هو المصحف المتواتــر فى الأمــة الاسلاميــة الى يومنا هــذا •

يقول الشيخ الزرقانى : « نستطيع أن نفرق بين مرات جمـــع القرآن فى عهوده الثلاثة • عهــد النبى صلى الله عليه وسلم ، وعهـــد أبى بكــر وعهــد عثمان رضى الله عنهم فالجمــع فى عهــد النبى صلى الله عليه وسلم كان عبارة عن كتابة الآيات وترتيبهــا ووضعهــا فى أماكنهــا الخاصـــة من سورها ، ولكن مــع بعثرة الكتابة • وتفرقهــا

(١) صحيح البخارى • باب جمع القرآن ج ٦ ص ٢٢٦ •

بين عسيب ، وعظام ، وحجارة ، ورقاع ، ونحو ذلك حسبما تتيسر أدوات الكتابة وكان الغرض من هـذا الجمـع زيادة التوثق للقرآن وان كان التعويل ابانئذ كان على الحفظ والاستظهار •

اما الجمـع فى عهـد أبى بكر رضى الله عنه فقد كان عبارة عن نقل القرآن وكتابته فى صحف مرتبة الآيات أيضـا ، مقتصرا فيـه على مـا لم تنسخ تلاوته ، مستوثقـا بالتواتر والاجمـاع • وكان الغرض منه تسجيل القرآن وتقييده بالكتابة مجموعـا مرتبا خشيـة ذهاب شىء منه بموت حملته وحفاظه •

واما الجمع فى عهد عثمان رضى الله عنه فقد كان عبارة عن نقل ما فى تلك الصحف • فى مصحف واحد أمام ، واستنساخ مصاحف منه ترسل الى الآفاق الاسلاميـة للمحافظة على كتاب اللـه تعالى من التغيـير والتبديل » (١) •

وقد استقبلت الأمة الاسلامية فى جميـع الأمصار جمـع عثمـان رضى الله عنه للقرآن الكريم بالرضى والقبول ، وأفرغ المسلمون جهدهم فى المحافظة على المصحف الامام ، فهو كتابهم ، يراجعون بـه حفظهم وهو أسـاس الحفظ لكل ناشىء جديد •

فاذا ما أضيف الى هـذا الجمـع العثمانى المكتوب ما جـاء من ترغيب شـديد على استظهار القرآن وحفظه فى الصـدور ، ومداومـة تعليمه وتعلمه • اذا أضيف هـذا الى ذاك لدل على مدى صيانة المسلمين لكتابهم ، وحرصهم على قبوله • ونقله الى من بعدهم كما هو •

وفى مجال الترغيب على حفظ القرآن الكريم ، ومداومة قراءته نقرأ الاحاديث التاليـة :

---

(١) نظرات فى القرآن ص ٤٣ ، ٤٤ •

- عن عثمان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** • وفى رواية أخرى •• « **ان أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه** » (١) •

- عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « **مثل الذى يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب ، والذى لا يقرأ القرآن كالثمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجـــر الذى يقرأ القرآن كمثـــل الريحانه ريحها طيب وطعمها مـــر ، ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثـــل الحنظلة طعمهـــا مر ولا ريح لهـــا** » (٢) •

- عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **لا حسد الا فى اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه أناء الليل وأناء النهار • فسمعه جار له فقال : ليتنى أوتيت مثـــل ما أوتى فلان • فعملت مثل ما يعمـــل ، ورجل آتاه مالا فهو يهلكه فى الحـــق • فقـــال رجل : ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثل ما يعمل** » (٣) •

- عن جبير بن نفير قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : **انكم لن ترجعوا الى الله بأفضل مما خرج منه** (٤) يعنى القرآن •

- عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليـــه وسلم **قال :** يقال لصاحب القرآن **اقرأ وارتق ورتل ، كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخـــر آية تقرأ بهـــا** (٥) •

- عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال

---

(١) صحيح البخارى • باب خيركم من تعلم القرآن ج ٦ ص ٢٣٦ •
(٢) صحيح البخارى باب فضل القرآن ج ٦ ص ٢٣٥ •
(٣) صحيح البخارى • باب جمـــع القرآن ج ٦ ص ٢٢٦ •
(٤) سنن الترمذى حديث رقم ٢٩١٢ والحديث مرســـل لأن جبيـــر تابعى : وقد رواه متصـــلا أبو أمامة رضى الله عنه •
(٥) سنن الترمذى حديث رقم ٢٩١٣ • وهو حديث حسن صحيح •

يجيء القرآن يوم القيامة فيقول : يارب حله ، فيلبس تاج الكرامة : ثم يقول : يارب زده ، فيلبس حله الكرامة ، ثم يقول : يارب ارض عنه ٠ فيرضى عنه ٠ فيقال له : اقرأ وارق ، وتزاد بكل آية حسنة » (١) ٠

— عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **ان القرآن شافع مشفع وما حل مصدق ٠ من جعله امامه قاده الى الجنة ٠ ومن جعله خلفه قادة الى النار (٢) ٠**

— عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الانزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » (٣) ٠

ان **هذه** النصوص جزء يسير مما ورد فى **هذا** الباب ، وكلها دفعت المسلمين الى المعايشة الدائمة لكتاب الله تعالى يقرأونه ويحفظونه ويعملون به ٠ حتى بقى فى الأمة كما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقيا من جبريل عليه السلام عن ربه عز وجل وبذلك حفظ القرآن بالتلقى كما حفظ بالكتابة والتدوين الأمر الذى يؤكد ثبوت القرآن الكريم وتواتره كما نزل من عند الله تعالى ٠

الخاصية الثانية للقرآن الكريم : أنه يتعبد بتلاوته فى الصلاة وغيرها على وجه العبادة قال تعالى **« فاقرءوا ما تيسر من القرآن (٤)**

---

(١) سنن الترمذى حديث رقم ١٩١٥ جـ ٥ ص ١٧٧ وهو حديث حسن صحيح ٠

(٢) الترغيب والترهيب كتاب قراءة القرآن جـ ٢ ص ٢٤٤ ٠

(٣) صحيح مسلم باب فضل قراءة القرآن جـ ٥ ص ٥٥١ الشعب ٠

(٤) سورة المزمل آية ٢٠ ٠

ويتفرع من هذه الخاصية أن القراءة فى الصلاة بالقرآن لا تجوز الا بالنص العربى محافظة على حقيقة القرآن الكريم •

الخـاصـية الثالثة : أنه معجز بلفظه ومعناه لا يقدر الانس والجن ولو اجتمعوا على أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه •• وهـذا الاعجاز متحقق حيث تحدى القرآن العرب وطلب المنازلة حيث قال الله تعالى **« وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله » (١)**

كما أن مقتضى مواجهة هذا التحدى وجدت عند العرب فهم أهل الفصاحة والبلاغة ، وقـد جاءهم الرسول بدين يبطل دينهم ويسفه عقائدهم ومع انتفاء الموانـع عندهم فقـد عجزوا عن الاتيان بمثـل أقصر سوره من القرآن الكريم •

يقول تعالى : **« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (٢) »** فاخبر سبحانه انه لو اجتمعت الانس والجن كلهم ، واتفقوا على أن يأتـوا بمثل ما أنزله على رسوله لما طاقوا ذلك ولمـا استطاعوه ، ولو تعاونوا او تساعدوا ، وتظافروا فان هذا الأمـر لا يستطاع • وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق • الذى لا نظير له ، ولا مثـال لـه ، ولا عديل له (١) •

وعجز البشر عن الاتيان بمثل القرآن الكريم أبعد مدى من الاتيان بمثل الفاظه ومعانيه فهم عاجزون عن الاتيان بمنهج مستقيم كمنهجه ، فى الاحاطة ، والشمول ، وتحقيق المصلحة الحقيقيـة للنـاس ولكافة عناصر الحياة •

وبهذه الخصائص يعرف القرآن الكريم ويتميز عن أى كـلام سواه •

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٥ ص ١١٥ ط الشعب •

(٢)سورة الاسراء آية ٨٨ •

شمول تعاليم القرآن الكريم

القرآن الكريم أساس الحياة الاسلامية جميعا . حيث اشتمل على تفصيل محكم للقضايا الثابتة التى لا تقبل اجتهادا ، ولا تتبدل صورها التطبيقية بتبدل الزمان والمكان والانسان . وذلك كأركان العقيدة، والعبادات المشروعة المحددة ، واحكام المواريث وهكذا .... كما اشتمل على المبادىء العامة والقواعد الكلية لكل قضية تتغاير صورها العملية متأثرة بالزمان والمكان كالشورى . واعداد القوة ؛ وصور البيع والشراء . وهكذا .

والسنة بيان للقرآن الكريم ولذلك فهما معا يتضمنان توضيحا للمنهج الربانى الذى اختاره الله تعالى ليحيا به الناس فى الحياة الدنيا حياة طيبة وليسعدوا فى الآخرة بما أعد لهم من جنة ونعيم .

ان منهج القرآن الكريم شامل لكل القضايا الحياتية ، محيط بكافة النظم التى يحتاج الانسان اليها ولذلك يهتدى به كل من اتبعه وتمسك بتعاليمه .

ففيه تطمئن النفس ، ويسعد الانسان يقول تعالى « **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** » (١) جاء فى الظلال . فى القرآن شفاء ، وفيه رحمة لمن خالطت قلوبهم بشاشة الايمان فاشرقت ، وتفتحت لتلقى ما فى القرآن من روح وطمأنينة وايمان ، فى القرآن شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة ، فهو يصل القلب بالله ، فيسكن ويطمئن ، ويستشعر الحماية والأمن ، ويرضى فيستروح الرضى من الله والرضى عن الحياة ، والقلق مرض والحيرة نصب ، والوسوسة داء ، ومن ثم فهو رحمة للمؤمنين .

---

(١) سورة الاسراء آية ٨٢ .

وفى القرآن شفاء من الهوى والدنس والطمع والحســد • ونزغات الشيطان ، وهى من آفات القلب تصيبه بالمرض والضعف والتعب وتدفع به الى التحطم والبلى والانهيار • ومن ثم هو رحمة للمؤمنين •

وفى القرآن شفاء من الاتجاهات المختلة فى الشعور والتفكير ، فهو يعصم العقل من الشطط ، ويطلق له الحريــة من مجالاته المثمرة ، ويأخذه بمنهج سليم مستقيم ، ويعصمه من الزلل والشطط • وكذلــك هو فى عالم الجســد ينفق طاقاته فى اعتدال بلاكبت وبلا شــطط فيحفظه سليما معافى ، ويدخــر طاقاته للانتاج المثمر • ومن ثــم فهــو رحمة للمؤمنين (١) •

وكما يصلح القرآن الفرد ظاهرا وباطنا يصلح الناس مجتمعين وذلك بتشريع النظم العديدة التى تحدد المســار العملى السليم لكل نشاط يقــوم به البشر • حيث نرى فى القرآن الكريم مبادىء تنظيم العلاقة بين الزوجين : حيث يقول تعالى :

٭ « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليهــا وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (٢) •

٭ « وعاشروهن بالمعروف » (٣) •

٭ « فامســاك بمعروف أو تسريح باحسان » (٤) •

ونرى كذلك فيه مبادىء التعــامل بين الناس •• يقول تعالى : •

---

(١) فى ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٢٤٨ •
(٢) سورة الروم آية ٢١ •
(٣) سورة النســاء من آية ١٩ •
(٤) سورة البقرة آية ٢٢٩ •

*** انما المؤمنون اخوة (١) ٠**

*** وان هذه أمتكم أمة واحدة (٢) ٠**

*** وتعاونوا على البر والتقوى (٣) ٠**

*** وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا (٤) ٠**

كما نقرأ مبادىء التعامـــل الدولى • يقول تعالى :

*** وان جنحوا للسلم فاجنح لهـــا وتوكل على الله (٥) ٠**

*** واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم (٦) ٠**

ونرى فى القرآن الكريم مبادىء التنظيم الاقتصـــادى • يقول **الله تعالى :**

*** « واحل الله البيع وحرم الربا » (٧) ٠**

*** « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافـــا مضاعفة » (٨)٠**

*** « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » (٩) ٠**

*** « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » (١٠) ٠**

---

(١) سورة الحجرات آية ١٠ ٠
(٢) سورة الانبياء آية ٩٢ ٠
(٣) سورة المـائدة آية ٢ ٠
(٤) سورة الحجرات آية ٨ ٠
(٥) سورة الأنفال آية ٦١ ٠
(٦) سورة الأنفال ٦٠ ٠
(٧) سورة البقرة آية ٢٧٥ ٠
(٨) سورة آل عمرة آية ١٣٠
(٩) سورة الحديد آية ٧ ٠
(١٠) سورة التوبة آية ٩٤ ٠

* **« خــذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » (١)**

ونلحظ فى القرآن الكريم مبادىء الحكم والسياسة • يقـــــول تعـالى :

* **« وأمرهم شورى بينهم » (٢) •**

* **« وشاورهم فى الأمر » (٣) •**

* **« واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » (٤) •**

وهكذا نجد القرآن الكريم يضع المبادىء الأساسية لسائر الانظمة التى تصـــلح أمــر الناس أفرادا وجماعات • وتأتى الســنة توضح وتبين ما جــاء فى كتاب الله تعالى ليتكامل البناء ، ويتم المنهج •

ان القرآن الكريم لم ينزل من عند الله ليكون تراثا ثقافيـــا مجردا أو قصصا تاريخيـــا للعلم وفقط ، وانمـــا أنزله الله تعالى ليحدد قواعـــد السلوك ، ويرســـم منهج العمــل • ويأخذ بيد الناس الى النـــور والفوز والفلاح ، يقـــول الله تعالى •

ـ ونزلنـــا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمـــة وبشرى للمسلمين (٥) •

ـ كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بـــاذن ربهم الى صراط العزيز الحميد » (٦) •

ـ ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقـــوم ويبشر المؤمنين الذين

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٣ •
(٢) سورة الشورى آية ٣٨ •
(٣) سورة آل عمران ١٥٩ •
(٤) سورة النساء آية ٥٨ •
(٥) سورة النحل آية ٨٩ •
(٦) سورة ابراهيم آية ١ •

يعملون الصالحات أن لهم اجرا كبيرا (١) .

وهذه الآيات تشير الى حقيقية القرآن الكريم ودوره مع النــاس فلقــد حوى بيانا لكل ما يحتاج اليه الانسان . يصلح به شأنه . ولا عذر لمخلوق فى المحاسبة بعــد بلوغ القرآن الكريم اليه .

وهذا القرآن يخرج الناس من الظلمات التى ترين عليهم وتفســد دنياهم وأخراهم وهى صور عديدة فهنــاك ظلمــة الوهم والخرافة ، وظلمة الحيرة فى معرفة المنهج المستقيم ، وظلمة التخبط فى وســاوس الشيطان الرجيم ، وظلمة الضلال حين البعد عن منهج الله تعالى .... نعم يخرج القرآن الكريم الناس من هذه الظلمات وغيرهــا ليضعهم فى النور ، ويراد به النور الذى يقضى على كافــة الظلمات ، فى باطن الانســان وظاهره ، وفى فكر الانسان . وعمله وخلقه ، انه نــور الايمان الصادق الذى يتحول فيه الفــرد الى عبد ربانى يســلم وجهه لله وهــو محســن .

والايمــان بالله نور يشرق فى القلب فيصفو وتصفو به القبضــة الطينية ، وتشف وتمتلىء بالتوحيد الخالص .

والايمان نور فى مجال التفكير تنزاح به الخرافات ، وتسقط معــه الأوهــام ولا يبقى معه الا الحق الذى يوضح الهدى ، فيعيش الانسان بضمير مستريح . وهوى مستسلم لقضــاء الله وقدره .

والايمــان نور يحقق القيم الخالدة التى تســعد الحياة كالحب ، والعدل ، والخضوع لله رب العالمين .

ان الانسان يعيش الحياة ويرى أمامه السبل العديدة . ولو ترك الفصل فيها لعقله وحده لما ميز بينها ، ولذلك كان القرآن الكريم هاديا للحق ، مبعدا عن الباطل ، وبه تتحقق البشرى لمن التــزم بـــــــه وأطـــاع .

---

(١) سورة الاسراء آية ٩ .

وعلى الجملة فالقرآن الكريم كتاب شـــامل فى دقـــة ، محيط فى روعة ، لأن منزله الله العليم الخبير •

والواجب أن يضعه المسلمون فى الموضع الذى نزل له ، ويرجعوا بحياتهم كلهـــا اليه ، لا يقضون فى شـــأن من شئونها من عند انفسهم ، بل لا بدلهم أن يرجعوا الى حكم الله فيهـــا ليتبعوه ، وحكم الله هـــذا يعرف من مصدره الذى بلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس •

وحينئذ يعيش المسلمون الخير كله ، ويعلمون بحق **« أن هـــذا القرآن يهدى للتى هى أقوم »** •

تأصيل القرآن الكريم

للاعلام الاسلامى

نزل القرآن الكريم تبيانا لكل شىء ، لاخراج النـــاس من ظلمـــات الجاهلية الى نور الايمان بكل جوانبه ونتائجه ، وهـــو أمـــر يحتم وصول القرآن الكريم الى الناس ليتمتع الجميـــع بهـــذا الخير العميم الـــذى كلفهم الله به .

ومن هنا كانت ضرورة الدعوة ، ويراد بهـــا توصيل تعاليم الاسلام كمـــا جاءت فى القرآن الكريم والســـنة النبوية الى الناس ليؤمنـــــوا ويخرجوا من ضـــلال الجاهلية وظلماتهـــا الى نور الاســـلام واليقين .

والدعـــوة بهـــذا المفهوم عملية فنية تحتاج الى جوانب ترتكـــز عليهـــا وأهم جوانب الدعـــوة ما يلى :

١ ـــ تحديد القضية المقصود توصيلهـــا للنـــاس وهى الاسلام فى الجملة ، الا أن الاســـلام لا يبلغ جملة واحـــدة . ولذلك فانه يجزء الى موضوعـــات محددة يمكن تبليغهـــا من غير عنت أو ملل . والاسلام كله هو الرسالة التى جاء الرسول صلى الله عليه وسلم ليبلغ الناس بها . وقد بلغها عليه السلام مجزءة ، موزعة على مدة استمرت ثلاثة وعشرين عـــامـــا .

٢ـــ وشخصية حامل الاسلام ومبلغ قضاياه للنـــاس هو الداعى . وأول الدعاة رسول الله صلى الله عليه وســـلم ومن بعده تتابع المسلمون على تبليغ الدعـــوة بالمنهج الذى كـــان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ووجود الداعى ضرورة فى عملية الدعـــوة لأن الاسلام موجود فى الكتاب الكريم والســـنة النبوية . ولذلك فهو فى حاجة الى من يحمله ويبلغه للنـــاس كمـــا هو موجود فى مصـــادره المحفوظة .

٣ — والداعى يبلغ الاسلام فى اطار معين ، وبوســيلة خاصة — فهو يكتبه فى رسالة ، أو يعلنه على منبر ، أو يطبقة عمليا كقدوه متحركة أمام الناس • والوسيلة متغيرة ، ولذلك تعددت صورهـا قديما وحديثا •

٤ — والداعى الذى يبلغ الاسلام يضع قضـاياه فى أسـاليب بيانية متنوعة تكون قادرة على التوضيح والبيان ، لأن البلاغ يقتضى ذلك ، ومن المعلوم أن الاسلوب اذا كان غامضـا لا يعد بلاغا فى الحقيقـة ، ولذلك تجد القرآن الكريم يستعمـل البيان مـع البلاغ كوصف محدد لحقيقته يقول تعالى • **« فانما على رسولنـا البلاغ المبين » (١) •**

ان القرآن الكريم يطلق اسم البينات والبينـة على الاســلام المبلغ اشارة الى ضرورة الوضوح والبصيرة •

يقول تعالى :

*** ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون » (٢)•**

*** لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب المشركين منفكين حتى تأتيهم البينـة : (٣) •**

٥ — والداعى الذى يبلغ الاسلام يجب عليه أن يتلاءم مـع الجمهور الذى يدعـوه • فلا بد من لغة يفهمهـا المدعـوون حتى يفهموا مضمونها ، ولا بد من دوران الدعـوة حـول القضايا النافعـة والمفيدة التى يتأثـر بهـا هؤلاء المدعوون •

تلك جوانب عملية الدعـوة الى الله تعالى وهى موجودة مـع دعوات الله للناس منذ بعثة أول رسـل الله آدم عليه الســلام وانتهـاء بخاتم الانبيـاء محمد صلى الله عليه وسلم •

---

(١) سورة التغابن آية ١٢ •
(٢) سورة البقرة آية ٩٩ •
(٣) سورة البينة آية ١ •

والدعاة فى عمليـــة الدعوة عمودها الأساسى ، فعليهم فهم قضيتهم بدقة ، وعليهم حسن عرضها ، واختيار الوقت والمكان المناسب لها ، وعليهم مخاطبة الناس بمـــا يقنعهم ويناسب عقولهم • ولذلك كـــان التركيز فى اختيارهم وتدريبهم وتوجيههم وحمايتهم من الأســـاسيات فى نجاح الدعوة الى الله تعالى (١) •

ان الافكار الهدامة ، والدعوات الباطلة التى تتعارض مـــع الاسلام دين الله تعالى تجيد عرض باطلها ، وتهتم بكل مثير جذاب لا يعنيهـــا الا انشار فكرها ، وهدم الاسلام ، واضعاف المسلمين ، وهذا يحتم مضاعفة الجهـــد ، ومواصلة العمـــل المخلص لحماية الاســـــلام وتقوية المسلمين •

وفى العصر الحديث ظهر الاعـــلام بوسائلة المختلفة كأداة للتوجيه والتأثير • وقد فاق — بحق — ما عداه من أدوات التوجيه والارشـــاد من عـــدة وجوه •

فهو أولا : واســع الانتشـــار يمكنه الوصول الى كل مكـــان فى هذا الوجود • لا تقف الحواجز الطبيعية أمامه فهو يركب الأثير • ويتحرك مع الهواء • وقـــد ســـاعدت المخترعـــات الحديثة عـــلى هذا التوســـع فظهرت المطابع • وظهرت الصحف التى تجمـــع كلمـــاتهـــا فى مكان ، وتطبع فى مكـــان آخـــر بواسطة رسائل أثيرية معينة •

وهو — ثانيـــا : سريـــع الوصول للجمهور حيث الكلمـــة المذاعـــة تصـــل فى نفس وقت التلفظ بها • ومن السهل ان يخاطب انســـان مـــا فى شرق الدنيـــا جمهوره فى غربهـــا وكأنه موجود أمامه •

وهو ثالثا : قوى التأثير حيث أجاد فن مخاطبة المستمع ، وفن اقناعه • ولذلك ، نجده يعدد برامجه تبعـــا لتعدد طبائع الناس • ويدخل المؤثرات الصوتية والصورية فى رسائله • وقـــد ســـاعدت الابحـــاث

---

(١) انظر المقدمة ص ١٠ وما بعدهـــا •

العلميـــة العديدة فى التعرف على الطبيعة الانسانيـــة ، وكشف طـــرق التأثير ، ومعرفـــة ألوان وأساليب الاقنـــاع والجذب •

ولذلك كان للاعـــلام الحديث أهمية وخطورته ، فهو صـــوت الأمم فى التعبير عن مذهبهـــا واتجاهاتها ، وهو وســـيلتها فى نشر الاخبار وتوجيه الرأى العام ، والتأثير فى الجماهير ، وهو صـــوت الأمة المعبر عن حضارتها وعاداتها وتقاليدها ، وهو الطريق لمحاربة الخصوم ، ورد مفترياتهم •

والمسلمون مكلفون بابلاغ دينهم بكل وسيلة ممكنة ، فى اطـــار المشروعية الاسلامية ، وهذا التكليف يلزمهم باستخدام الاعـــلام المعاصر فى خدمة الدعـــوة الدينيـــة ، حيث يوجهـــون مخترعات العهد توجيهـــا اسلاميـــا صحيحـــا •

ان الاعـــلام فى الدولة الاسلاميـــة اعلام ملتزم فى حركته وهدفه بتعاليم الاسلام • وبذلك فهو لون من ألوان الدعـــوة الى الله تعالى •• **ويمكن حينئذ ان نطلق عليه مسمى الاعـــلام الاسلامى •**

ان القرآن الكريم وضح أصول عملية الدعـــوة ، وجـــدد معالم حركتها ، ورسم الأطر الفنية لكافة جوانبهـــا وأبرز الأهداف المرجوة منها • وذلك أمـــر معروف تحتويه العديـــد من الأبحاث القديمـــة والحديثة •

وعلى نمط ما قدم القرآن الكريم لعملية الدعوة يمكن أن يستفاد منه فى الاعـــلام حين تصدق النوايا فى التوجه الى القرآن الكريم كنبع تستقى منه الأمة حياتهـــا ونشاطهـــا ، عملهـــا وفكرها ، مع تأكيد العزم على أن يكون التلقى من القرآن للتنفيذ والتطبيق ، وحينئذ يلتقى الاعلام الاسلامى بأصوله القرآنية •

ان العملية الاعلاميـــة تعتمد على أركان معينة لا بد منها وهى :

١ ــ **الرسالة** : وهى الموضوع الذى يدور حوله الاعــلام والذى يراد ايصاله الى **الجمهور** •

٢ ــ **المرسل** : وهو الشخص الذى يقوم بتوصــيل الرســالة الى الناس •

٣ ــ **الوسيلة** : ويراد بها الأداة التى تحمل الرسالة الى المتلقين •

٤ ــ **المتلقى** : ويراد به الجمهور الذى توجه له الرسالة :

٥ ــ **رد الفعل** : ويراد بــــه معرفة الاثر ورد الفعــل •• (١) الذى تتركه الرسالة الاعلامية فى المستمعين •

أن البحث فى موقف القرآن من الاعــلام تجعلنا نقف أمــــام أمرين •

الامر الأول : استعمال القرآن الكريم لبعض المفاهيم الاعلامية المعاصرة متضمنه التوجيهات والوصايا المتصلة بهذه الأركان •

الأمر الثانى : وضوح المبادىء القرآنية لأساسيات عملية الاعلام على هيئة توجيهــات نظرية مجردة ، أو بصورة تطبيقــات واقعية عملية •

وكلا الأمرين يجعلنــا نؤمن بيقين أن القرآن الكريم يؤصــــــل للاعــلام الاسلامى • ويضعه فى موضعه المطلوب •

وسوف نشير الى هذين الأمرين بشىء من التفصيل •

---

(١) الاعلام والتنمية ص ٤١ •

أولا : المفاهيم الاعلاميــــة في القرآن الكريم

اشتمل القرآن الكريم على العديد من المفاهيم المتصلة بالاعلام وها أنا أورد بعضـــا منهـــا •

١ ــ الآذان :

الآذان في لغة العرب : الاعــلام والاخبار (١) ، يحكى القرطبى اجماع العلماء على هذا (٢) ، يقول الفقهاء : والآذان هو الاعلام والاخبار بوقت الصلاة ، وقد ورد الآذان ومشتقاته في القرآن الكريم بهـــذا المعنى •

يقول الله تعالى : **« وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله »** (٣) ومعناه اعلام واخبار ببراءة الله ورسوله من هؤلاء المشركين في يوم الحج الأكبر • وهو يوم النحر على الراجح وفيه أعلن أبو بكـر رضى الله عنه البـــراءة من المشركين وطهارة الحج حيث قال : لا يحج بعـد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ، وفي العـام التالى لهـذا العام حج بالناس صلى الله عليه وسلم فلم يحج معه الا مسلم (٤) •

ويلاحظ أن أمير الحج هو أبو بكر رضى الله عنه وأن الذى أذن في الناس بالبراءة هو على بن أبى طالب كرم الله وجهه مأمور لا أمير •

ويقول تعالى : **« ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون »** (٥) أى نادى مناد بصوته يخبرهم بأمـر ويعلمهم بشىء ، يقول ابن الانبارى : أذن معناه أعلم اعلاما بعد اعلام ، والتأذين هو النداء والتصويت بالاعلام والخبر (٦) •

---

(١) الصحاح مادة (أذن) جـ ٥ ص ٢٠٦٨ •
(٢) تفسير القرطبى جـ ١٣ ص ٣٢٦ •
(٣) سورة براءة آية (٣) •
(٤) تفسير القرطبى جـ ٨ ص ٦٩ •
(٥) سورة يوسف آية (٧٠) •
(٦) تفسير الرازى جـ ١٨ ص ١٧٨ •

والآية تحكى ما حدث من يوسف واخوته عليهم السلام فانـــــه لما وضع صواع الملك فى رحل بنيامين ، وأخذ الركب فى المسير نادى المنادى وأعلم بصور متكررة أنكم سرقتم الصواع ، وكانت تلك حيلة لَلم الشـــمل ، واجتمـــاع الوالدين مع الأبناء (١) على نحو ما هو مبسوط فى كتب التفسير •

ويقول تعالى **« واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم »** (٢) ومعناه أعلم وأخبر بصورة واضحة بليغة ، تنتفى عندها الشكوك ، وتزول معهـــا الشبهة ولا يبقى الا الحق والواقـــع ، (٣) والآية نص فى أن الشكر سبب للمزيـــد منه كما أعلم الله وأخبر •

ويقول تعالى : **« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »** (٤) ومعناه أعلم وأخبر وذلك أنه لما فرغ ابراهيم عليه السلام من بناء الكعبة أمره الله تعالى بهذه الآية ليعلم الناس بالحج فقال ابراهيم عليه السلام : وما يبلغ صوتى ؟ قال : عليك الآذان (المناداة) وعلينا البلاغ » ، فصعد الصفا وقال : « يأيها الناس ان الله كتب عليكم حج البيت العتيق فسمعه ما بين السماء والأرض ، فما بقى شىء سمع صوته الا أقبل يلبى ويقول : لبيك اللهم لبيك » ووصول صوت ابراهيم المشرق والمغرب ليس بمستبعد على قدرة الله تعالى » (٥) •

ويلاحظ من الآيـــات :

أولا : ان الأذان ومشتقاته فى الآيات المذكورة وفى غيرهـــا يعتمد على الصوت والمناداة كوسيلة للاعـــلام والاخبار ونقل الحقائق وهى وسيلة ليست منكرة فى الدراسات المعاصرة فعمليات « التواصل الصوتى بين الناس بلغ مداه ، وأجهزة البث تدخل الكلمة المنطوقـــة فى كل بيت ،

---

(١) انظر تفسير القرطبى ج ٩ ص ٢٣٠ •
(٢) سورة ابراهيم آية (٧) •
(٣) تفسير الرازى ج ١٩ ص ٨٥ •
(٤) سورة الحج آية ٢٧ •
(٥) تفسير الرازى ج ٢٣ ص ٢٨ •

وتؤثــر فى نفس الوقت على تفكير مئات الألوف من الناس ، ومديرو الاعلانات يستغلون الكلمة المنطوقــة فى الترويج ، والسياسيون يتنبهون يوما بعد يوم الى قوة تأثير الكلمة وسلطانهــا على النفوس (١) •

ان نظم الاعــلام تستخدم اللغــة أساسا للتواصل وتجعلهــــا مجالا للتعبير ولذلك كان الآذان وسيلة اعلامية معتمدة فى النظريــــات المعاصرة •

ومما يلاحظ أن المســـــاجد الكبيرة فى الاســـلام كان يؤذن فيها أكثر من واحــد حيث يكرر الثانى ما قاله الأول ، والثالث ما قاله الثانى، وهكذا ليبلغ الآذان الى المدى المرجو منه •

وفى العصر الحديث دخلت مكبرات الصوت المســجد لتنقل الآذان الى الجماهير البعيدة با . ان الأذان وهو [illegible] من الاذاعــة والتلفاز يه[illegible] رسالة اعلاميــة •• وبذلك فالأذان نفســه استفاد من الاعـــــلام المعاصر

ثانيا : بالنظر فى جوانب الآذان نلحظ تكامل عملية اعلامية حيــث فيه الرســـالة وهى نفس الآذان ، وفيه المرســـل وهو المؤذن ، وفيه الوسيلة وهو اللغة الصوتية والأداة التى قد تنقله فى بعض الحــالات ، وفيه المستقبل وهو الجمهور الدى يوجه الآذان اليه ، وفيه رد الفعل حيث يستجيب لـــه من يستجيب فيصلى ويهمله من طمس الله على قلبــه •

ثالثا : تدل ألفاظ الآذان واستعمالاته القرآنية أنه حين التعميم يشمل الاعــلام بمختلف صوره ، فهو اعــلام بالقضيـــة التى يتناولها ، ويجب أن يلاحظ فيه التعميم لتبقى دلالته على مقصودنا هنــا ، ولأن تخصيصه بالمنــاداة على الصلاة يبعده عن الصورة الاعلاميــة بشمولها، وأيضـــا فانه تخصيص بلا مخصص وذلك لا يجوز ••

ان القرآن الكريم أطلق لفظ الآذان على الاخبار ، والمناداة ،

---

(١) سلطان الكلمة ــ بحث منشور بمجلة الفكر المعاصر يونية ١٩٧٠ م

والتعليم ، وابلاغ الحقائق ، وذلك أمـر يجب أن يستمـر مع مفهومه وحقيقته •

رابعا : الآيات المذكورة تشير الى مبادىء هامة تفيـد الاعـلام ومنهـا •

(أ) قوة الرسـالة واظهار أهميتهـا • وذلك واضح من الآيـة الأولى حيث فيها الاشـارة الى مصدر الرسالة المؤكد لقوتهـا وصدقها فهى من الله ورسوله •

(ب) اختيار الأمور الجانبية التى تؤدى الى الانتفاع بمحتوى الرسالة وذلك كتخير الوقت المناسب حيث يمكن للجمهور أن يستـمع ويستفيد • فلقد جاءت الآية الأولى وبلغ مضمونهـا للنـاس فى يـوم الحج الأكبر حيث تتجمع الخلائق من كل المذاهب والأصقاع فى موسم الحج للخطب والمنافـرة ، وهذا يكفل للرسـالة الذيوع والانتشار •

(جـ) يلاحظ أن الذى قام بتبليغ الرسالة للنـاس هو على بن أبى طالب رضى الله عنه برغم أن أمـر الحج هو أبو بكـر رضى الله عنه وذلك لأن عليـا عصبة لرسول الله ، والمبلغ فيه براءة وانهـاء للتحالف وذلك يناسبه أن يكون المبلغ عليـا لقربه من رسول الله • وهذا يشير الى ضرورة اختيار المرسـل ليكون على مستوى الرسـالة ليستفيد الناس بمـا يقول •

(د) لاحظت الآيات الايجاز الواضح فى الرسالة لتتناسب مـع المستمعين فهم مشغولون بأمورهم وأحوالهم فناسب الايجاز معهم ، وذلك أمـر يجب مراعاته •

(هـ) لا مانع من تكرير الرسـالة لتأكيدها ، وايصـال مضمونهـا للجمهور المقصود فان الآيات تشير الى ذلك بمضاعفة الفعل ، وقـد قال المفسرون أن التضعيف يفيد الاعـلام بعـد الاعـلام ، والاخبار بعد الاخبار •• وهكذا •

وبهذا نقول مطمئنين أن الآذان بصورة عامـة يعطى تصورا متكاملا للمفهوم الاعـلامى •

٢ ــ البلاغ :

من الألفاظ القرآنية المتصلة بالاعـلام البلاغ ، والبلاغ يفيـد عدة معان لغويـة : فهو الوصول ، يقال بلغت المكان أى وصلت اليـه ، وهو الادراك : يقال : بلغت الهـدف أى أدركته ، وهو التمـام والكمال ، يقال : بلغ الغلام اذا كمل أشـده وتمت قوته ، وهـو الفصاحـة يقال : كلام بليغ أى فصيح (١) •

ومن جملة هذه المعانى يمكن فهم معنى تبليغ الرسالة وابلاغها على أنهـا تعنى ايصـال الاسلام الى الناس تاما كاملا فى قوة مقنعـة ، وفصـاحة بينة •

وعلى ذلك فالبلاغ يتضمن العناصر التالية :

ــ ايصال الرسالة الاسلامية للناس •

ــ تمام الرسالة المبلغة بكمال عناصرهـا ومعانيها •

ــ اشتمال عملية التوصيل على الاقناع العقلى ، وقـوة الترتيب ، وحسن العرض •

ــ صياغة الرسالة بالبلاغ يكون فى اطار أسلوب فصيح خـال من الغرابة ، والثقل ، والشذوذ اللفظى •

ان البلاغ عملية اعلامية فهو يحمـل قضية هى الاسلام ، ويرسله رسول هو الداعية الذى يوصله للناس عبر وسيلة متاحة ، وبمنهجية واعية جادة • وقد وردت كلمة البلاغ فى القرآن الكريم وأفادت هذه المعانى •

يقول تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لـم تفعل فمـا بلغت رسالته » (٢) •

---

(١) مختار الصحاح بتصرف يسير •

(٢) سورة المائدة آية (٦٧) •

وفى الآية أمـر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بتوصيل رسالة الله كلهـا للناس ، يروى النبى صلى الله عليه وسلم أنه أيام اقامته بمكة كـان يجاهـر ببعض القرآن ولا يجاهـر ببعض آخـر اشفاقا على نفسه من تسرع المشركين اليه والى أصحابه ، فلمـا نزلت الآيـة جهر بكل ما أنزل اليـه ، وأعلم الناس به ودعاهم الى الله ، فالبلاغ توصيل الرسالة الى النـاس بتمامهـا وكمالهـا بالأسلوب المقنـع ، وبالوسيلة التى تجعل التوصيل للنـاس أجمعين .

ويراد بالمجاهـرة المواجهـة الشـاملة كالمناداة من فوق الجبل ، والخطبة فى الجمـع الغفير ، ويراد بعـدم المجاهـرة الاتصالات الفردية القائمة على المعرفة الشخصية المسبقة ، وعلى هذا يمكن فهم كيف كانت الدعوة سرية فى مراحلهـا الأولى مـع النبى صلى الله عليـه وسلم .

ويقول تعالى : « الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله وكفى بالله حسيبا » (١) .

والآية تصف رسل الله تعالى بأنهم يقومون بعملية توصـيل دين الله تعالى الى الناس بلا خوف من مخلوق ، اذ خوفهم من الله فقط ، ولهـذا فهم يبلغون بأمانة وقوة ، وعلى العلماء ورجال الاعلام والدعاة أن يكونوا مثلهم ، والتضعيف فى التبليغ يعنى تكرار الدعوة والمبالغة فى ايصالهـا لتكون عامـة للناس ، وشـاملة لجميع المكلفين .

يقول ابن كثير : وسيد الناس فى التبليغ بقوة وأمانة وقصد الخشية لله ومن الله فقط هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسـلم ، فانه قـام بأداء الرسالة وابلاغهـا الى أهل المشـارق والمغارب ، الى جميـع أنواع بنى آدم ، وأظهر الله تعالى كلمته ودينه وشرعه على جميع الشرائع والأديان ، ثم ورث مقـام البلاغ عنه أمته من بعـده ، فكان أعلى من قام بهـا بعده أصحابه رضى الله عنهم ، بلغوا عنه كمـا أمرهم فى جميـع

---

(١) سورة المـائدة آية (٩٢) .

أقواله وأفعاله وأحواله ، ليله ونهاره ، حضره وسفره ، فرضى الله عنهم وأرضـــاهم ، ثـــم ورثه كل خلف عن سلفهم الى زماننا ، فبنورهم يقتدى المهتدون ، وعلى منهجهم يسلك الموفقون » (١) •

ويقول تعالى : « **فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين » (٢) •**

والآية تشير الى انحصـــار دور الرسول فى ابلاغ الدعوة فى وضوح وبصيرة الى الناس وتوصـــيل رسالة الله اليهم ، ووصف البلاغ بالمبين يعنى ضرورة قيامها على الفصاحة والوضوح والاقنـــاع •

وعلى هذا فكلمة البلاغ تفيد ايصال فكرة ما ، الى غايتها وموضعهـــا المقصود ، وبارتباط البلاغ بالدين يظهـــر أن البلاغ عمليـــة اعلامية ، فمصدر الدين هو الله ، والدين هو الرسالة يحملهـــا الرســـول ويبلغهـــا الى الناس واضحة بينة ، وذلك يعنى أن البلاغ اعـــلام بالاســـلام •

ويلاحظ من الآيات :

(أ) البلاغ كمـــا يتصـــل بالمعانى يتصـــل بالمحسوس الا أن ارتباطه بايصـــال الفكر والقيم يحصره فى الجانب المعنوى الخاص بنقل المبدأ والفكرة •

(ب) تبليغ الرسائل يحتاج الى أركـــان يقوم عليهـــا وهـــــذه **الأركان هى :**

ــ مبلغ الرســـالة •

ــ الاتجاه المباشر الى من تقصدهم الرسالة •

ــ استعمال الوسيلة الحاملة لرسالة •

وبانضمام الرسالة الى هذه الأركان نرى أنفســـنا أمـــام عملية

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٩٢ •

(٢)

اعلامية متكاملة ـ ومما يجدر الاشـارة اليه أن القرآن الكريم سـمى الاسـلام بالرسالة (١) •

(جـ) يرتبط البلاغ والتبليغ بالقضـايا الأكثر أهمية التى تشتد الحاجة اليهـا ، ويتجمـع الاهتمام حولهـا ، فهى وظيفـة الرسل عليهم صلوات الله وسلامه ، ومضمونها مع الرسـل هو دين الله تعالى •

ولعل هذا هو سر تسمية البيانات الهامة بلاغـا ، وتسميـة بعض المؤسسات الاعلاميـة المعاصرة بالبلاغ والتبليغ •

(د) يحتاج التبليغ والبلاغ الى الأسلوب الفصيح ، والاقتنـاع القوى ، مـع اختيار الظرف المناسب للايصـال ، ولا بـد من اثـارة النظـر العقلى وهـذا ما عناه الامام الغزالى حين قال : ويشترط فى التبليغ أن يثير داعية النظـر والفكـر فى الانسان •

٣ ـ الاذاعـة :

تسند « ذاع » للمعانى وتفيد الفشو والانتشار يال « ذاع الشىء ، وذاع الخبر » بمعنى فشا وانتشر ، ويأتى رباعيا ومنه أذاعـه ، وأذاع به أى أفشاه وأظهره ونادى به فى الناس ، وبه فسر الزجاج قولـه تعالى : « **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعـو به** » قال : أى أظهروه ونادوا به فى الناس •

والاذاعة مصدر من الرباعى تدل على المناداة بالخبر ، وتشير الى دورها فى الشيوع ، والانتشار ، والظهور •

ومفهوم الاذاعة من حيث المدلول اللغوى يقترب من مفهومهـا الحديث الذى يقصـد بها الوسيلة التى ترسـل رسائلهـا عبـر برامج مختلفـة لجمهور عريض هو مجالهـا فى الذيوع والانتشـار •

وقد جاءت الكلمة بهذا المفهوم فى القرآن الكريم :

---

(١) انظر آية رقم ٦٧ من سورة المائدة •

يقول الله تعالى : « **واذا جاءهم أمـــر من الأمن أو الخـــوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمـــر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لا تبعتم الشيطان الا قليلا** » (١) .

وهذه الآية نزلت فى المنافقين تبين شيئا من فســـادهم وهو أنه اذا جاءهم الخبر بأمـــر من الأمور سواء كان ذلك الأمر من باب الأمن أو من باب الخوف أذاعوه وأفشـــوه . وكان ذلك يحقق ألوانا عديدة من الضر أهمهـــا .

(أ) التسرع فى نشر الخبر بلا تثبت منه يؤدى الى الوقوع فى الكذب الكثير .

(ب) كان المنافقون ينســـبون الخبـــر الى رســـول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الأمـــر فى جانب الأمن زادوا فيه مما يطمـــــع المسلمون فاذا وقـــع أورث شبهة عند ضعفاء الايمـــان . وان كـــان الأمـــر فى جانب الخوف تزلزل الضعفاء . فهو فى الحالين يشوش على العـــامة .

(جـ) اذاعة الخبر يؤدى الى تتبع ما وراءه . واستقصـــاء الحال وذلك سبب لظهور الاسرار وانكشاف ما فى ستره مصلحـــة .

(د) ان نشر الخبر واذاعته بهذه الطريقة يؤدى الى تمكين الكفار من الكيد للمسلمين . واعداد الخطط المناسبة لاغاظة المؤمنين .

ولذلك وجه الله حثه للنـــاس أن يرجعوا الخبر قبـــل نشره الى من يقـــدر المصلحـــة ولا يذيعونه الا باذن من الرســـول صـــلى الله عليه وسلم أو من أولى الأمر منهم .

وأما المبادىء الاعلامية الموجودة فى الآية فمن أهمها :

---

(١) سورة النساء آية ٨٣ .

أولا : التحقق من قيمة الأخبار قبل نشرهـا واذاعتها ، فان الآيـة تنكـر على من يبادر الى الأمور قبل تحققهـا فيخبر بهـا ، أو يفشيها آو ينشرهـا وقـد لا يكون لها صحة ٠

ثانيا : لابـد من ارجـاع الأمـر الى أهـل الخبرة والتخصص والعلم فهم الأقـدر على معرفـة الصحيح من غيره كمـا أنهم الأعرف بمـا يـذاع وبمـا لا يـذاع ، ولذلك نعت الآية على هؤلاء المنافقين أنهم لـم يرجعوا الخبر قبـل نشره الى الرسول والى أولى الأمر منهم٠

ثالثا : ليس كل ما يعلم يذاع لأن الجماعة المسلمة لهـا أعداؤهـا المتربصون بها ، واذاعة كل شىء يؤدى الى الأضرار بالجماعة المسلمة ٠
رابعا : من علامة الثقة فى الشخص أن يكون كتوما لبعض ما يسـمع فليس كل ما يسمع يكون صدقـا ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

- **« كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما يسمع »** (١) ٠
- **« بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع »** (٢) ٠

٤ - الاعـلان :

أعلن كشف المستور ، وهو ضد السر يقال : أعلن الخبر ، أذاعـه وأبانه ، وأظهره ٠ ومصدر أعلن اعلانا ومن مجموع كتب اللغة يفهم من الاعـلان أنه اظهار المستور بصوت عال واضح مع التشويق اليه ٠

وقد جاءت كلمة أعلن ومشتقاتها فى القرآن الكريم ٠

يقول الله تعالى : **« ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا »** (٣) ومعنى أعلنت لهم « دعوتهم جهارا » يقول الرازى : انـه عليه السـلام بدأ بالمناصحة فى السر ثم ثنى بالمجاهرة ، فلمـا لـم يؤثـر ذلك

---

(١) تفسير الرازى جـ ١٠ ص ٢٠٤ بتصرف يسير ٠
(١ ، ٢) صحيح مسلم فى المقدمة باب النهى عن الحديث بكل ما سمع جـ ١ ص ٧٢ ٠
(٣) سورة نوح آية (٩) ٠

جمـــع بين الجهـــر والسر ، لأن الجمع بينهما أكثـــر تأثيرا من أحدهمـــا وحـــده (١) ٠

وجاء فى الظلال أن نوحا عليه السلام جهـــر بالدعوة تارة وزاوج بين الاعـــلان والاسرار تارة أخرى ، وكان يطمعهم أثناء ذلك فى خيرى الدنيـــا والآخرة (٢) ٠

فكأن الاعلان هنا يفيد الكشف والاظهار مع التشويق والترويج ٠

ويقول تعالى : « وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون »(٣) والآية تبين أن الله مطلع على ما فى قلوب الكافرين ولو تصوروه مخفيـــا مستورا ، وهـــو مطلع أيضـــا على ما يظهرونه ويتحدثون عنه علانية ، وعبر عن القلب بالصدر لانه أعم واشـــمل ، وما اكنوه وما أعلنوه خاص بعداوتهم لرســـول الله صلى الله عليه وسلم يقـــول الرازى : قـــدم سبحانه وتعالى ما تكنه صدورهم لأنه أسباب لمـــا يعلنون ، والعـــلم بالسبب يؤدى الى توضيح اتجاهـــات المسبب وأهدافه (٤) ٠

وفى هذا ملمح اعلامى له أهميته وهو أن الاعلان قائم على الترويج والدعايـــة لأمر ما ، وله سببه الخفى ، فمن أراد معرفـــة أسرار الاعلان فليعرف سبب القول به ٠

ومن الآيات نلحظ :

(أ) الاعلان : اظهار خبر ما والجهر به ، مع احاطته بالترغيب والتشويق وهو ما يعرف بالدعاية فى العصر الحديث ٠

(ب) يرتبط الاعلان فى المصطلح الحديث عاليا بالعائد الاقتصادى

---

(١) تفسير الرازى ج ٣٠ ص ١٣٦ ، ١٣٧ ٠
(٢) فى ظلال القرآن ج ٦ ص ٣٧١٢ ٠
(٣) سورة النمـل آية (٧٤) ٠
(٤) تفسير الرازى ج ٣٠ ص ١٣٨ بتصرف ٠
(٥) سورة فاطر آية (٢٩) ٠

وبالمبالغة فى الوصف ، وهو ليس كذلك فى منطق القرآن الكريم لأنه فى كتاب الله تشويق صادق للدخول فى الدين ، والاقتناع بقضية صحيحة •

(جـ) مرحلة الاعلان والجهر قوة ضاغطة فى مجال الدعوة تشير الى أعلى مستويات التأثير فى المستمع ولذلك كانت آخـر محاولات نوح عليه السلام فى الدعوة •• وجاءت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد المرحلة السرية •

(د) الظاهر المعلن مرتبط بالخفى المستور • وعلى الاعلاميين الاسلاميين أن يقوموا بتحليل اعلانات الآخرين ليعرفوا ما وراءهـا من خطط وأهـداف •

٥ ــ الاشـــاعة :

الاشاعة هى الانتشار السريـع والتكاثر ، يقال : شـاع الشيب بمعنى انتشر فى الرأس ، وشاع الخبر أى ذاع وانتشر ، والشائعة هى الاخبار المنتشرة ورجل مشياع أى مذياع لا يكتم سرا (١) •

والاشاعة فى اصطلاح العلماء هى الأحاديث والأقوال والأخبار التى يتناقلهـا الناس دون التثبت من صحتهـا ، أو التحقق من صدقها (٢) •

أو هى « النبأ الذى يكون مصدره مجهولا وله سرعة فى الانتشار ذات طابع استفزازى أو هادى حسب طبيعة ذلك النبأ » (٣) •

وقد وردت الاشاعة بمشتقاتها فى القرآن الكريم :

يقول الله تعالى : **« أن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون »(٤)**

---

(١) لسان العرب مادة شاع •
(٢) الاشاعة ص ١٦ •
(٣) الرأى العام الاسلامى وقوة التحريك • ص ٤٤ •
(٤) سورة النور آية ١٩ •

وهذه الآية جاءت فى اطار الآيات التى تناولت قصة الافك وقــد نزلت حين رمى جماعة من المنافقين عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها بالبهتان على نحو ما ذكرت الآيات •

وقد تناولت الآيات تأديب المؤمنين على السلوك القويم ومنــه ما جاء فى الآية التى معنا فهى تأديب لمن سمع شيئا من الكلام السىء وقام بذهنه شىء منه • وتكلم به ، فعليه أن لا يكثر منه ، ولا يشيعه ولا يذيعه ، وبخاصة اذا اتصــل الكلام بأمــر ذى بال أو بشخص كريم تقى •

وهذا المعنى يشير الى أن الاشاعة تظهر وهى تشبه الصدق ، وتتلبس بذلك على الناس • وعلى المسلم الصالح أن يبتعد عن الفاحشة واشــاعتهــا •

وعلى المؤمنين أن يحذروا الوقوع فى نشر الاشاعات المتصلة بالسوء والضرر حتى لا ينالهم عذاب الله الأليم فى الدنيــا وفى الآخرة ، ومبالغة فى التحذير لم تقف الآية عند انذار المشيعين للفحشــاء وانما توجهــت لمن يرضى بنشر الفــاحشـــة ، ويجب ذلك • وعرفته بأن مجرد التعاطف مع هذا يوقــع صاحبه تحت طائلة عذاب الله تعالى ومن الآية نلحظ :

١ ـــ الاشاعة خبر لا حقيقة لــه تهدف الى التأثير فى الرأى العام وفق قصــد مطلقهــا •

(ب) الاشاعة لا يعرف مصدرها • وتلتقى مع موضوع يهـــم الجماهير • وتختار الاشاعات مجالهــا فى الموضوعات التى خفيــت حقيقتهــا لأن مجرد معرفة الحقيقــة يقضى على الاشاعات •

(جـ) البيئة الاسلامية الصادقة ترفض الاشاعة ولا تروجهــا ودائما تنفر منهــا •

(د) ليس بالضرورة أن تكون كل الاشاعات ضارة ومع ذلـك يجب اهمالها لأن الخبر الذى لا يعرف مصدره وليس له حقيقـة يجـب اهماله ورفضه • وعلى المسلمين أن يقاوموا الاشاعات بالمنهج الاسلامى وأهم ملامحه ما يلى :

١ ـ عدم ترديد الاشاعة وصرف النفس عن القول بهـا لقـوله تعالى : « **ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنـا أن نتكلم بهـذا سبحانك هذا بهتان عظيم** » (١) •

٢ ـ على المسلم أن يفكر فى موضوع الاشـاعة ، وهل يقبله على نفسـه ؟ انه يرفضه لنفسه وعليه أن يرفضه بالنسبة لغيره لأن المؤمن لا يكمـل ايمانه الا اذا أحب لأخيه ما يحب لنفسه •

٣ ـ التثبت من الاشـاعة واظهار الحقيقة لقوله تعالى : « **يا أيهـا الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومـا بجهالـة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** » (٢) •

٤ ـ التنسيق بين أجهزة التوجيه والارشاد والاعـلام لأن حدوث تناقض بينهـا يؤدى الى احداث بلبلة وتساؤلات الأمر الذى يساعد على نشوء الاشاعة ونموهـا •

٥ ـ عدم تتبع عورات المسلمين والستر عليهم وعـدم ترديد مـا يشـاع • يقول النبى صلى الله عليه وسـلم : « **لا تؤذوا عباد اللـه ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم فانه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه** » (٣) •

٦ ـ دحض الاشـاعة والرد عليها بعد الدراسـة والعرض على المختصين المهتمين بالموضوع فان عمـر بن الخطـاب لما سـمع

---

(١) سورة النور آية ١٦ •
(٢) سورة الحجرات آية ٦ •
(٣) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٧٥ •

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق نساءه ذهب اليـه بسرعة فلما علم من الرسول أن ذلك لم يحدث أعلنه للناس مباشرة وأخذ يكـرره حتى يقضى على الاشـاعة •

٦ ـ الخبـر :

يستعمل الخبر فى نقل معلومات عن حدث مضى مع احتماله الصدق والكذب لذاته ، جاء فى تاج العروس أن « الخبر ما أتاك من نبأ عمن تستخبر » (١) ومثل هذا القول جاء فى قواميس اللغة الأخرى •

يقول الشيخ محمد حجازى : ان الخبر فى مفهوم القرآن الكريم يستعمـل فى الكشف عن الوقـائع القريبة العهد بالوقـوع • أو التى لا تزال مشـاهدهـا قائمة ماثلة للعيان (٢) •

ورجال الاعـلام يرون أن الخبر نقل المعلومات التى يدور حولها اهتمام الناس وتعود عليهم بالفائدة والنفـع فهو عندهم « تقرير يصف فى دقة وموضوعية حادثة أو واقعة أو فكرة صحيحة تمس مصالح عدد من الناس ويكون لها أثر فى اثارة اهتمامهم وتنمية المجتمع وترقيته » (٣) وقد وردت كلمة الخبر ومشتقاتها فى القرآن الكريم :

يقـول الله تعـالى :**«اذ قال موسى لأهله انى آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون»** (٤) •

وهذه الآية تصور جزءا من قصـة موسى عليه السلام لأنه عليه السلام لما سار بأهله قاصدا مصر ضل الطريق فى ليل وظلام فآنس من جانب الطور نارا تضطرم وتتأجج ، فقال لزوجه انى رأيت نارا سأذهب

---

(١) تاج العروس ج ٣ ص ١٦٦ •
(٢) الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم ص ٢٨٩ هامش •
(٣) فن الخبر الصحفى ص ٥٦ •
(٤) سورة النمل آية ٧ وفى معنى هذه الآية نرى آية رقم ٢٩ من سورة القصص •

اليها لأعرف ممن عندها خبر الطريق • وموقعه ، أو أحضر لكم على الأقل ببعض منها تستدفئون به • فكان كمـــا قال حيث رجع منها بخير عظيم ، واقتبس منها نورا عظيما فلقد أتاها ورأى عندهـــا منظـــرا هائـــلا عظيما والنار تضطرم فى شجرة خطراء ولا تزداد النار الا توقدا ، ولا تزداد الشجرة الا خضرة ونضرة ، ونظـــر فرأى نورهـــا متصلا بعنان السماء، وجدها محاطة بالملائكة • يقول ابن عباس : لم تكن نارا وانما كانت نورا (١) وبعد ذلك كان اصطفاؤه للنبوة والرسالة •

ونلحظ أن موسى عليه السلام لم يعلم حقيقة النار ولا ما عندهـــا حيث فوجىء بمـــا وقع • وقد أفاد الخبر ذلـــك فى الآية •

ويقـــول الله تعـــالى : « **يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قـــل لا تعتذوا لن نؤمن لكم قـــد نبأنا الله من أخباركم** » (٢) •

والآية نزلت فى شـــأن المنافقين الذين تخلفوا عن الخـــروج مـــع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وقـــد عرفت الآية الرسول والمؤمنين بأن المنافقين يبدون أعذارا فلا تصدقوهم وقولوا قـــد أعلمنا الله أحوالكم » (٣) •

وبذلك استعملت الآية كلمة « الاخبار » فى الامور القائمـــة الماثلة للعيان التى وقعت من وقت قريب •

ويقـــول تعـــالى : « **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منـــكم والصابرين ونبلوا أخباركم** » (٤) •

ومعنى الآية أن الله تعالى يشير للمؤمنين أنه سيعاملهم معـــاملة المختبر بأن يأمرهم بالجهـــاد حتى يعـــرف من امتثل منهم للجهـــاد ،

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٣٥٦ •
(٢) آية ٩٤ من سورة التوبة •
(٣) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٣٨٢ •
(٤) سورة محمد آية ٣١ •

وصبر على دينه ومشاق تكاليفه كمـا أحاطهم بأنه سيظهر أخبارهـم ويكشفها ليتضح الواقـع ويزول الالتباس بين الناس • ويعـرف المؤمن من المنافق • وهذا الاظهار من الله حق لأنه سبحانه يعلم كل شيء (١) •

ويقـول الله تعالى : « **يومئذ تحدث أخبارها** » (٢) •

والآية تتحدث عن بعض مشاهـد القيامة حيث تقـع الزلزلـة وتتحدث الأرض عن الأعمـال التى حصلت عليهـا من الناس وتصـف حالهـا معهم وذلك هو أخبارها •

ويلاحظ من الآيات ما يلى :

الخبر كشف معلومات مستورة لا يعرفهـا الناس لأنها لو كانت معلومة لكانت واقعا وعلمـا •

الخبـر يتصـل بالأحداث القريبة الوقوع أو التى لا تزال مشـاهدها قائمة ماثلة للعيان (٣) •

يكون الخبر محل اهتمام من الأفـراد الموجه اليهم • ولذلـك حسن له أن يوضع فى قالب جذاب مثير •

تكون الاخبـار فى الاغلب مفيدة فى التربية والتنميـة والترقى بالفرد والجماعة •

يأخـذ الخبر قيمته من قيمة مصـدره • ولذلك كانت أخبـار الله تعالى صادقة وهادفـة • ولهـا وقعها • وقدرها •

٦ ـ النبـأ :

يرى بعض العلماء أن النبا هو الخبر وعلى ذلك جـاء فى لسـان

---

(١) فتح القدير جـ ٥ ص ٤٠ •
(٢) سورة الزلزلة آية ٤ •
(٣) فن الخبر الصحفى ص ٥٦ •

العرب أن النبأ هو الخبر (١) • وجاء فى الصحاح أن النبأ الخروج • تقول نبأت من أرض الى أرض أى خرجت منهـا الى أخرى ، ويقال نبأت به اى تحدثت به والنبأ الخبر ، تقول نبأ وأنبأ أى أخبر (٢) •

أما تاج العروس فقـد فرق بين النبأ والخبر فقـال : « النبـأ خبر ذو فائـدة عظيمة يحصـل به علم أو غلبة ظن • ولا يقـال للخبر فى الأصـل نبـأ حتى يتضمن هذه الاصول الثلاثة (٣) •

ويذهب العلماء المعاصرون الى أن النبأ هو الخبر ولا يفرقون بينهما فى الاستعمال •

وقد جاءت الكلمة ومشتقاتها فى القرآن الكريم ومنها :

(أ) يقول الله تعالى : « **واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق** » (٤) •

والآية تتحدث عن قصة هابيل وقابيل ولدى آدم عليه السـلام وتفاصيلهـا معروفـة مشهورة •

وكلمة النبأ هنا تتعلق بذكـر أحداث موغلة فى القدم • لأنهـا اخبار لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بمـا حدث لولدى آدم عليه السـلام ، وبمثل هذا جاء النبأ فتحدث عن أمور موغلة فى القـدم فى آيات القرآن الكريم (٥) • وهى كلها واضحة الدلالة على أن النبأ هـو الخبر الصحيح الهـام الذى لـه شأن من الفائدة والجدارة بالاهتمام مع تميزهـا بالبعـد التاريخى فهى موغلة فى القدم ضارية فى شـعاب

---

(١) اللسان مادة نبا •
(٢) الصحاح مادة نيا •
(٣) دراسات فى فن التحرير الصحفى فى ضوء معالم قرآنية ص ١٩
(٤) سورة المائدة آية ٢٧ •
(٥) يراجع ذلك فى آيات : الاعراف آية ١٧٥ ، التوبة آية ٧٠ ، ويونس آية ٧١ ، وابراهيم آية ٩ ، والشعراء آية ٥ ، والقصص آية ٣ ، وص اية ٢١ ، والتغابن اية ٥ •

الزمن (١) .

ويقول الله تعـالى : « **عم يتساءلون عن النبـأ العظيم** » (٢) .

والآيات تتحدث عن موضوع عظيم يتساءل الناس فيه ويتحاورون حوله وهو البعث ويوم القيامة .

وهـذا النبـأ يتعلق بموضـوع هـام فهو ليس خبرا عاديـا . ومثله حديث الهدهد لسليمان عليه السلام « **وجئتك من سبأ بنبـأ يقين** » (٣) .

فلقـد حمـل اليه نبأ خطيرا وهو انحراف أهل سـبأ عن الحق فى العقيـدة .

ان الخبر هنا حديث الوقوع بالنسبة لحكايته الا أنه خطير وعظيم . وله أمثلة عديدة فى القرآن (٤) .

ويقول الله تعالى : « **وإذ أسر النبى الى بعض أزواجه حديثـا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبـأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير** » (٥) والآية تشير الى قصة حدثت فى بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فانـه عليـه السلام أسر الى حفصة بأمرين لمـا رآهـا غضبت ليترضاهـا ، وهمـا : تحريم الامة على نفسه ، والثانيـة : أن الخلافـة بعـده ستكون فى ابى بكـر وفى أبيها عمر رضى الله عنهمـا من بعـده ، وطلب منهـا أن يكون ذلك سرا فلمـا أنبأت أى أخبرت عائشة به ولم يكن يعلمهن أظهر الله لرسـوله مـا فعلت فأشار الرسول لعائشة الى بعـض

---

(١) دراسات فى فن التحرير الصحفى ٢١ .

(٢) سورة النبأ آية ١ ، ٢ .

(٣) سورة النمـل آية ٢٢ .

(٤) انظر سورة الانعام آية ٦٧ ، وسورة ص آية ٦٧ ، وسورة الحجرات آية ٦ .

(٥) سورة التحريم آية (٣) .

وسكت عن بعض فادركت حفصة أن الرسول علم بموقفها فتساءلت عمن أخبره (من أنبأك بهذا) ، قال نبأنى الله فهو العليم الخبير بكل شيء (١) • فالنبأ فى الآية يشير الى الخبر الذى يعلن لأول مرة وكان سرا مجهولا لا يعرفه أحد من الناس • وله خطورته وأهميته •

ويقول تعالى : « **وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم** » (٢) والآية تشير الى احدى معجزات المسيح عيسى بن مريم وهى أخبار القوم بما يأكلون فى بيوتهم ، وبما يحتفظون به ، وهى الأشياء التى تعد سرا لا يدركها أحد •

ويقول تعالى : « **يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم فى قلوبهم** » (٣) فقد كان المنافقون يتآمرون على رسول الله صلى الله عليه وسلم سرا ، وكانوا يخافون أن تنزل سورة من الله تقول لهم فى قلوبكم كيت وكيت ، يعنى أنها تذيع أسرارهم اذاعة ظاهرة فكأنها تخبرهم عن أسرارهم ، وقد نزلت فعلا هذه السورة ، وهى سورة براءة ، ولذلك تسمى سورة الحافرة لأنها حفرت عما فى قلوب المنافقين • (٤) والتنبوء هنا متصل بأسرار مدفونة لا يعلمها الا الله حقيقة •

ويقول تعالى : « **ولا ينبئك مثل خبير** »(٥) والآية تشير الى أن الخبر الهام الدقيق يتميز بقوة مصدره واحاطته ، وصدقه لأن الخبير أشمل من العليم كما ذكر المفسرون •

ويقول تعالى : « **ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر** » (٦) والآية تشير الى أن كل ما فيه لطف بالعباد قد وجد لأهل مكة ،

---

(١) تفسير الرازى ج ٣٠ ص ٤٣ •
(٢) سورة آل عمران آية (٤٩) •
(٣) سورة التوبة آية (٦٤) •
(٤) تفسير الرازى ج ١٦ ص ٢١ •
(٥) سورة فاطر آية (١٤) •
(٦) سورة القمر آية ٤ •

فأخبرهم الرسول باقتراب الساعة ، وأقام الدليل على صدق خبره ، وهو نبأ عجيب غريب فى نظرهم ولذلك كان وقعه عليهم شديدا ، وكانت صورة الهالكين لهم مفزعة ، (١) وتلك حكمة فى الخطاب أن يتخير رجل الاعلام ما يؤثر على المستمع من خبر وأسلوب ، والنبأ فى الآية متصل بالعجيب من الأخبار كما هو واضح •

ان النبأ فى القرآن كله يشير الى عملية اعلامية فهو بين طرفين مرسل ومستقبل وله موضوعه الذى هو رسالة اعلامية صغيرة •

ومن الآيات نلحظ ما يلى :

١ ـ النبأ معلومات موجزة تركز مسألة من المسائل الحيوية المؤدية لتحقيق غاية معينة •

٢ـ النبأ اظهار خبر أو أخبار مستورة لا يعرفها الا مصدرها ولذلك فظهوره يكون له وقعه وأثره •

٣ ـ النبأ يتصل بواحد من الأخبار التالية :

ـ الأخبار الموغلة فى القدم كأنباء الأمم الماضية وقصص السابقين •

ـ الأخبار العظيمة الخطيرة المتصلة بأمور نهما شأنها فى الجماهير التى توجه اليهم •

ـ الأخبار الصادقة المؤكدة البعيدة عن الريب والزيف •

٤ ـ يأخذ النبأ قيمة مصدره ولذلك فأنباء الوحى كلها حق وصدق •

٥ ـ وكالات الأنباء وهى ترسل الأخبار تضع علامات خاصة على الأنباء الهامة والأكثر أهمية ، والعاجلة والعاجلة جدا ، ورجال

---

(١) تفسير الرازى ج ٢٩ ص ٣١ •

الاعـــلام يطمئنون الى أن دق الجرس فى آلات الاستقبال (التكرز)تشير الى أهمية الخبر الوارد ، فبعض وكالات الأنباء يدق (١٢) مـــرة قبـــل وبعد الخبر (١) والبعض يدق (١٠) بعد الخبر (٢) وهكذا «٣» •

والقرآن الكريم يشير الى أهمية انبائه بعلامات بيانية وذلـــــك كالاستفهام فى قوله تعالى «قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله»(٤)

وكالقسم والتأكيد • قوله تعالى • « ولتعلمن نبأه بعد حــين » (٤)• وكذكر أهمية النبأ المذكور فى قوله تعالى : « تلك من أنباء الغيـــب نوحيهـــا اليك ما كنت تعلمهـــا أنت ولا قومك من قبل هذا » (٥) •

وهكذا يشير القرآن الى الهـــام من الانباء ، ويرمز اليهـــا برموزه الخاصـــة •

٦ — يشير القرآن الكريم الى أن بعض الأنباء قـــد تكون ملفقـــة كأخبار الفساق والمنافقين واعداء الاسلام وحينئذ ينبغى للمستمع أن يبذل جهده ليتأكد من صحة ما يصله ما يصله من نبأ ان كان محتملا للتكذيب ومثال ذلك ما فعله سليمان عليه السلام مع الهدهد حينما جاءه بنبـــــأ سبأ حيث قال لـــه « قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين » (٦) وارسله بكتاب الى القوم ليعرف رد الفعل عندهم •

وأيضـــا يقول الله تعالى : « يا أيهـــا الذين أمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » (٧)

---

(١) هى وكالة الاسوشيتد برس •
(٢) هى وكالة اليونايتدبرس •
(٣) الخبر الاذاعى ص ١٨٦ •
(٤) سورة المائدة آية (٦٠) •
(٥) سورة هود آية (٤٩) •
(٦) سورة النحل آية ٢٧ •
(٧) سورة الحجرات آية ٦ •

وبذلك فالمؤمنون مأمورون من التثبت والاستيثاق من الأنباء قبـــل قبولها والحكم عليهـــــا •

وهذا المنهج الاسلامى يجب أن يؤخذ بـــه فى زماننا هـــذا الذى كثرت فيه الوشايات والأقاويل •

* * *

وعلى ضوء هذا الاستعراض السريـــع لبعض مفاهيم القـــرآن الكريم نلحظ بوضوح مـــدى أهتمام القرآن بالاعلام والتوجيه ، ممــــا يجعلنا ان نقول — باطمئنان — أن القرآن الكريم يؤصل للاعلام ليكون وسيلة هدى ، وطرق خير ورشـــاد •

ثانيا : تحديد أركان العملية الاعلامية

فى القرآن الكريم

القرآن الكريم فى جملته رسالة الله للناس ، خاطب الله به رسوله ليحمله لخير أمـــة أخرجت للناس ليبقى فيهم هاديا ، وموجها ، ومحددا للمنهج الربانى الذى يجب أن يصطبغ به المسلمون •

والســـنة النبوية تبين القرآن الكريم وتوضحه ، وتأخذ حجتهـــا منه ، وهمـــا معا يقدمان المنهج كاملا وواضحـــا •

ونزول القرآن وثبوته يقتضى ضرورة الاقبال عليه والالتزام بتعاليمه ليتحقق الاسلام الواجب لمن آمن بالله ورسوله •

ان القرآن الكريم ــ بالمفهوم الاعـــلامى ــ عبارة عن رسائل توجيهية تميزت بكافة الخصائص الفنية التى تحتاج لهـــا أى رســـالة موجهة لجمهور ما من أجل تحقيق هــدف مقصود ، مـــع تفـــرد هـــذه التوجيهـــات القرآنية بقدرات مصدرهـــا ، والتزامهـــا بالحـــــق وقصـــدها لهدف سام كريم •

وهنا نجد انفسنا أمام سؤالين همـــا •

ــ هل نجد فى القرآن الكريم بيانا لأركان عملية الاعلام والتوجيه

ــ وهل يمكن استنباط سياسة للاعلام من القرآن الكريم ؟ •

وبالنسبة للسؤال الأول فيكفى ان نعيش مـــع قصص القرآن الكريم لأنه يبرز أركان الاعـــلام بوضوح •

ففى كل قصة نجد رسول الله عليه السلام هو حامـــل الرسالة ، والرسول شخص يختاره الله تعالى من عباده الصالحين ، ويصطفيـــه للرسالة ، وينزل عليه وحيه ويكلفه بابلاغ الناس دين الله تعالى •

والرسل جميعا يتميزون بالعصمة ، والخلق الكريم ، ويتمتعون بكل كمال يمكنهم من بيان الدين ، وايصـاله للنـاس ، وقـد وضـح القرآن أهم صفاتهم فقال تعالى :

*** « الذين يبلغون رسالات اللـه ويخشونه ولا يخشـون أحدا الا الله وكفى بالله حسيبا » (١) ٠**

*** « وابراهيم الذى وفى » (٢) ٠**

*** « ولقـد اتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين » (٣) ٠**

*** « وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقـام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنـا عابدين » (٤) ٠**

*** « انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبـا وكانوا لنـا خاشعين » (٥) ٠**

*** « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (٦) ٠**

ان رسل الله هم أئمة الهدى ، والقدوة الحسنة لكل من حمـل الرسالة من بعدهم ٠ لانهم فى ذاتهم اتصفوا بصفـات خلقيـة وسلوكية حيث خوفهم من الله فقط ، يوفون ما عليهم ٠ ويعملون الخير وينشرون الرحمة للعالمين ٠ وفى بيانهم تميزوا بالبلاغة والفصـاحة ، ومع ما حملوه من دين الله تعالى كانوا الصدق ، والاخـلاص ٠ بذلوا كل ما امكنهم من نفس ونفيس ٠ لا يبغون أجرا ولا جزاء دنيويا ٠ بـل انحصر همهم فى طاعة خالقهم ٠ وتبليغ رسالته للناس ، لا يخشون أحدا

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٩ ٠
(٢) سورة النجم آية ٣٧ ٠
(٣) سورة الانبياء آية ٥١ ٠
(٤) سورة الانبياء آية ٧٣ ٠
(٥) سورة الانبياء آية ٩٠ ٠
(٦) سورة الانبياء آية ١٠٧ ٠

الا الله ، ولا ينتظرون جزاء الا من ربهم سبحانه وتعالى • ورسل الله علموا ما كلفوا بحمله وقد أعانهم الله على ذلك ، يقول الله تعالى •

*** « لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه » (١) •**

ورسل الله تعالى كانوا يتخيرون حين يبلغون الرسالة فيعرضون رسالتهم جزءا جزءا لأنهم أصحاب رسالة وأملهم أن تتحقق الفائدة ، وينتصر الناس باتباع الدين ، ولذلك رأينا القرآن المكى ينزل فى مكة طوال ثلاثة عشر عاما ، وكله يدور حول قضية واحدة هى قضية العقيدة ، التى يمكن عرضها فى لقاء واحد ، ولكن تحقق هدف التبليغ يحتاج الى هذه الأناة ، والى تكرار الطلب ، والى قراءة الموضوع مرة بعد مرة •

لقد أخذ القرآن المكى يفسر للانسان سر وجوده ، ووجود هذا الكون من حوله ، كان يعرفه بقضاياه الاساسية ويقول له :

من هو ؟

ومن أين جاء ؟

ولماذا جاء ؟

والى اين يذهب فى نهاية المطاف ؟

وما مصيره هناك ؟

ومن الذى يتحكم فيه خلال هذه المراحل ؟

وعرف القرآن المكى الانسان كيفية التعامل مع كل ماعداه :

مع العباد ••

ومع خالق العباد والكون وكل شىء ••

---

(١) سورة القيامة آية ١٦ — ١٩ •

ومع الكـــون وكل شيء ٠

ولم يجاوز القرآن المكى قضيـــة العقيدة الا بعد ان علـــم اللـــه سبحانه وتعالى أنها استوفت ما تستحق من البيـــان ، وانها استقرت فى قلوب الجماعة المؤمنة التى قدر الله لهـــا أن تقوم بالدعوة الى الدين ونشره فى العالمين ٠

ورجال الاعـــلام الاسلامى فى العصر الحديث يجب أن يتخذوا صفـــات رســـل الله معالم لهم فى حياتهم وأدائهم حيث لانجـــاح الابها ، ولا فائدة فى ايصـــال الرسالة الاعلامية الا اذا كانت من مرســـل يتمتع بالخلق ، وحب الخير ، مـــع القدرة على التبليغ ، واستعمـــال الأصول الفنية التى تجعله يتخير الزمان ، والمكان ، والشخص الـــذى يوجه الرسالة اليه ٠

ومن هنا نجد فى القرآن الكريم الأسس التى توجه المرســـل ، وترشـــده نحو النجاح والفلاح ٠

واذا جئنا للرسالة فى القرآن الكريم نلفاهـــا لاخفاء فيهـــا ، لأن القرآن هو الدين ، وهـــو الرســـالة الموجهة للناس اجمعين ، وكل آية فيه تعـــد رسالة موجزة ، وكل توجيه فى القرآن الكريم لـــه خصائصه التى يقول الله فيهـــا :

* « الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » (١) ٠
* « انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » (٢) ٠
* « افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيـــه اختلافا كثيرا » (٣) ٠

« الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هـــدى للمتقين » (٤) ٠

---

(١) سورة هود آية ١ ٠
(٢) سورة النحل آية ١٠٣ ٠
(٣) سورة النساء آية ٨٢ ٠
(٤) سورة البقرة آية ٢،١ ٠

*** « المر تلك آيات الكتاب والذى أنزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون » (١) .**

*** « الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل لـــــه عوجا » (٢) .**

*** « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هـــذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (٣) .**

هذا هو القرآن :

وتلك **هى** طريقته فى عرض قضـــاياه .

الاحكـــام والدقة ، التفصيل والايضـــاح ، البيـــان والفصـــاحة ، التوازن وعـــدم التعارض والاختلاف ، الصدق والحقيقـــة ، الهدايـــة والاقناع ، خلوه من النقص والعوج ، تســـاميه الى مستوى يعجـــز البشر عن الاتيان بمثله ، كل ذلك وطاقة البشر تتحمله . حفظـــا وفهمـــا وتســـعد به حين تطبقه ، وتلتزم بتعاليمه .

ان **هذه** المزايا تضع مرة آخـــرى معالم النجـــاح لأى رســـالة اعلامية من أجل تحقيق هدفهـــا المنشود . من ناحيه الموضـــــوع والاسلوب معـــا .

واذا انتقلنـــا **الى الجمهور المتلقى** الذى تقصـــده الرســـالة ، وتجعله هدفـــا تحقق به غايتهـــا ، فاننـــا نجد القرآن الكريم من هذا المنطلق يؤكـــد حرصه على هداية الناس وتحقيق الخير لهم يقـــول الله تعالى :

*** « أن هذا القرآن يهـــدى للتى هى أقوم » (٤) .**

*** « أن هو الا ذكر للعالمين » (٥) .**

---

(١) سورة الرعد آية ١ ، ٢ .
(٢) سورة الكهف آية ١ .
(٣) سورة الاسراء آية ٨٨ .
(٤) سورة الاسراء آية ٩ .
(٥) سورة التكوير آية ٢٧ .

والقرآن حين يدعو الناس لمـا فيه ذكرهم وفلاحهم يتبـع منهجـا مقنعـا ، واقعيـا ، صالحـا للانسـان أيا كان موقعه ، وأينمـا كان موطنه . ولنضرب لذلك مثلا واحـدا .

يقول الله تعالى : « **وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انمـا تعبدون من دون الله أو ثانا وتخلقون افكا أن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقـا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون** » (١) .

هذه آيات قرآنية تشير الى مقطع من قصة ابراهيم عليه السـلام وقضيتها تدور حول دعوة قومه الى توحيد اللـه تعالى باخـلاص يدفعهم الى الايمان به . الاها وربا .

هذه هى الرسـالة .

وقومه هم الجمهور .

وما دام المطلوب هو ايمان الناس فلا بد من اقناعهم واستثارتهم بالحق . موضوعـا ، ومنهجـا .

ويظهر هذا فى الآيات من عدة أوجه ، حيث بدأت **أولا** بعقد مقارنة بين التوحيـد والشرك قائمة على العلم الصحيح . لأنهم لو كانوا يعلمون الخير من الشر لاستطاعوا معرفة أن التوحيـد هو الخير كله ، **وثانيـا** بينت لهم فسـاد ما هم عليه لأنهم يعبدون أصناما مصنوعة من الحجر أو من الخشب أو من غيرهمـا ، وقـد صنعوها بأيدهم ، وسـموهـا آلهة بالسنتهم ثم أخذوا فى عبادتهـا ، وذلك ضـلال وباطل ، اذ كيف يؤله المخلوق العاجز ، الضعيف ، وآية العجز فى هذه الآلهـة أنهـا لا تقـدر على ايجـاد رزق مهما كان ضئيلا ، **وثالثا** وضحت لهم ان الالاه الحق هو الرزاق الخالق الذى يستحق العبادة دون سـواه . وهو الله رب العالمين . **ورابعا** أكـدت لهم أن الرزق يحتـاج الى شكر المنعم المتفضـل ليدوم ويزداد .

---

(١) سورة العنكبوت آية ١٦ ، ١٧ .

ان المقارنة تجعلهم ينظرون ويتأملون ، وأدله العجز والضعف تجعلهم يهملون الباطل ويهجرونه ، وأخيرا بمعرفة قدرة الله والوقوف على صفات الله سبحانه وتعالى تجعلهم يصدقون ويؤمنون ويشكرون ٠

وتلك كلها مناهج لاقناع الانسان ٠

ان القرآن الكريم وهو يخاطب الناس يعرف بهم وبخصائصهم ليتمكن الدعاة ورجال الاعلام من حسن التوجيه والارشاد ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى :

*** « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » (١) ٠**

*** « قد نعلم أنه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » (٢) ٠**

*** « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون » (٣) ٠**

*** « ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن أنا كنا معكم أو ليس الله باعلم بما فى صدور العالمين » (٤) ٠**

---

(١) سورة المائدة آية ٨٢ ، ٨٣ ٠

(٢) سورة الانعام آية ٣٣ ٠

(٣) سورة الانفال آية ٢ ٠

(٤) سورة العنكبوت آية ١٠

وفى القرآن الكريم عديد من الآيات تشير الى خصائص الناس وأصنافهم ، وهو تعريف مهم يحتاجه رجل الاعلام ليعد رسالته مناسبة للناس . مقنعة ، مفيدة .

وأما أثر التوجيه ورد الفعل الذى يحدث فى الناس فلقد وضحه القرآن الكريم وهو يبين مواقف المؤمنين والكافرين حيث لكل منهم رده ورأيه ويمكن بمعرفته معرفة أمر الرسالة فى الناس . وبهذا نرى أن القرآن الكريم حدد اسس الحركة والعمل لكل جانب من جوانب العملية الاعلامية ، وهى فى نفس الوقت جوانب للدعوة الى الله تعالى .

وسيأتى لذلك تفصيل وتوضيح خلال البحث بتوفيق الله تعالى .

وعلى الجملة فان ما رأيناه من ايراد بعض المفاهيم الاعلامية فى القرآن الكريم ، واهتمام القرآن بجوانب العملية الاعلامية يجعلنا نؤكد بثقة ان القرآن الكريم اساس للاعلام الاسلامى . وكل ما يحتاجه هو صدق النية ، وقوة العزيمة والاقبال الصادق على الله تعالى .

وبالنسبة لامكانية الوقوف على سياسة القرآن الكريم فى الاعلام فهى مسألة تحتاج لدراسة طويلة ولذلك سأجعل لها الفصل التالى .

* * *



الفصل الثانى

السياسة الاعلامية
فى القــرآن الكــريم

١ ــ أهــداف الاعــلام الاسلامى ·

٢ ــ فنية حركة الاعــلام الاسلامى ·

٣ ــ الخصائص العامــة للاعــلام الاسلامى ·

السياسة الاعلامية :

نزل القرآن الكريم خطابا للنـاس ، واقنـاعا للعقول • والقلوب • والعواطف ، وتمكن بعون الله تعالى من تخريج جيل من الصحابة رضوان الله عليهم ، جيل متميز بصدق العقيدة ، وحسن الخلق ، ودقة الالتزام فى كل مناحى الحياة • وبخاصة فى مجال الاعلام والتوجيه •

ان هـذا الجيل يمثل ظاهرة تاريخيـة ، أوجدهـا القرآن الكريم ذات مرة بكل مزاياهـا ، وتسـاميها ، الأمـر الذى يعـد انقلابا حقيقيـا فى حياة الناس لـم يتكرر مـرة أخـرى حتى يومنا هذا •

وذلك الوضع يوجه كل باحث نحو القرآن الكريم ليعـرف بقـدر استطاعته البشرية منهج القرآن فى التوجيه والخطاب ، وخطته فى الوصول نحو الهـدف المنشود مع الفـرد • ومـع الجمـاعة • ومع الأمـة • ومـع الناس أجمعين •

وبتعبير آخـر يتجه الباحث نحو القرآن الكريم لاكتشاف السياسة القرآنية فى الدعـوة والاعـلام التى خرجت الجيل الأول عسى أن نتمكن من النجاح ولو بصورة جزئيـة حين تنكشف الغمـة ، ويتضح السبيل • ونتمكن من الاستفادة من سياسـة القـرآن الكريم ومناهجه فى كل مناحى الحياة • وبخاصة فى مجال الاعـلام والتوجيه •

ويراد بتعبير السياسة الاعـلامية تلك الاسس والمبادىء النظرية والعملية التى تحقق أهدافا معينة فى مجتمع ما • بالوسائل المتاحة (١) •

وعلى هـذا فان تعبير السياسة الاعـلامية أوسع واشـمل من تعبير نظام الاعلام ، وفلسـفة الاعلام ، وذلك لأن السياسـة تحـدد الهدف ، وسبل تحقيقه ، والمبادىء الاخلاقية التى يلتزم بها كل طرف من أطراف العملية الاعـلامية •

---

(١) المسئولية الاعلامية فى الاسلام ص ٢١٠ •

وهنـــا نجد أنفسنا أمام بعض النقاط التى لابد من توضيحها لنعرف منهـــا أطر السياســـة الاعلاميـــة فى القرآن الكريم ٠ وهـــذه النقـــاط هـــى :

١ ــ أهـــداف الاعـــلام الاسلامى ٠

٢ ــ فنية حركة الاعـــلام الاسلامى ٠

٣ ــ الخصـــائص العـــامة للاعـــلام الاسلامى ٠

وسوف أتناول هذه النقاط فى المباحث التالية :

* * *

المبحث الأول
أهداف الاعـلام الاسلامى

يهدف الاعـلام الاسلامى الى تحقيق الخير للفـرد وللجماعـة ، وحين يتحقق هذا الخير ـ نرى الدنيا وقد أينعت بشرع الله تعالى ،ونرى الخلائق كلها وقد سعدت بتسليم الأمر لله ، فاليه يرجع الأمر كله ، وله الحكم ، واليه المآب •

ان هـدف الاعـلام الاسلامى ينحصر فيمـا يلى :

١ ـ نشر دين الله فى الناس :

التعريف بالاسـلام على الوجه الصحيح أمـر واجب لقـوله تعـالى :

*** « ولتكن منكم أمة يدعـون الى الخير ويأمرون بالمعـروف وينهون عن المنكـر واولئك هم المفلحون » (١) •**

*** « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقه منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهـم اذا رجعـوا اليهم لعلهم يحذرون » (٢) •**

ومعنى الآية الأولى كونوا أمـة داعية للخير آمرة بالمعروف ناهية عن المنكـر ، وأمـر الله الناس فيهـا ظاهـر مؤكـد حيث دخلـت لام الأمر على الفعل المضارع لتفيد دوام حكم الأمر ، واستمرار وجوب الدعـوة على الامـة الاسلاميـة جميعـا ••• وقـد ذهب بعـض العلماء الى أن التعريف بالاسلام ، وتبليغ دعـوة الله تعالى عمل واجب على القادرين عليه فقط ، بمعنى أن من فى الآية للتبعيض، ومع هذا فيلاحظ

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٤
(٢) سورة التوبة آية ١٢٢

أن الخطاب موجه للأمة كلهـا ، مما يجعلنـا نشعر أن واجب التبليـغ على الأمة من ناحية الاعداد وتهيئة الرجال ، وواجب على القـادرين من ناحية القيـام بالدعـوة يقول الامـام الشـافعي : فرض الكفـاية يكون واجبا على العموم • وواجبا على الخصـوص • فوجوبه على الخصوص يختص بالقـادرين الذين هيئوا لذلك العمل الخاص ، ووجوبه على العموم انما يكون باعداد هؤلاء القادرين • وتربيتهم • واعدادهم •

وتشير الآية الثانية الى ان التعريف بالاسـلام يجب ان ينفر له جماعة كنفير الآخرين للجهـاد ، فحكمه حكم الجهاد فى سبيل الله تعالى • ان الأمة الاسـلامية ملزمة اليوم اكثـر من أى وقت مضى بالقيـام بتبليغ الاسلام ، وايصاله للعـالم كله • لأن الأفكار تتصـارع بوعى وقوة ، والأمم تبذل الكثير من أجل نشر مبادئهـا فى النـاس ، ولا يصح أن يقصر المسلمون ازاء هـذا فى التعريف بالاسـلام • ونشره فى العالمين •

والاعلام هو وسيلة ايصـال الفكرة ، وتبليغ الخبـر ، وتوجيه الرأى العـام ، وابراز اتجاهـات الحكم والسياسـة ، وهـو وسيلة مؤثرة ومقنعة بصورة واضحة •

ومن هنا وجب على المسلمين وضع اعلامهم فى خدمة دينهم لأن الواجب لا يؤدى الا بمـا يقادره ، ولا يسـقط عن المكلفين الا بالوفاء به كاملا غير منقوص ، وابعـاد الاعـلام بماله من تأثير عن حركـة الدعوة الى الله تعالى تقصير لا يجوز فى حكم الشرع وفى حكـم العقل ، لأن الشرع يقضى بتبليغ الاسلام ونشره فى الناس أجمعين ، بوسيلة مثيرة للانتباه ، موقظة للعقول ، ويأتى الاعـلام كوسـيلة معـاصرة فى قمـة وسائل التبليغ بل ان غيرهـا لا يغنى عنهـا ، وكثيرا ما نرى التأثير الضـار فى الاعـلام غير الملتزم • الأمـر الذى يجعلنـا نؤكـد على ان الاستفادة بالاعـلام فى التعريف بالاسـلام أمر واجب •

وحكم العقل يقضى بضرورة الاستفادة بالاعــلام فى تبليغ الاسلام لأن صاحب الرسالة الأمين لا يرتاح الا اذا أدى الأمانة عــلى وجهها الصحيح ، وليس ذلك فى مجــال التبليــغ الا باستخدام الاعــــلام المعاصر .

يقول الشيخ محمد الخضر حسين — بحق — : « ولا تنس ان المضلين المخــادعين فى هــذا العصر قــد تهيأ لهم من وســائل الدعــاية مالم يتهيأ لغيرهم . فمن نواد تفتح ، وصحف تنشر ، وجمعيات تعقد ، وأموال تنفق ، وجاه يبذل ... وهناك طائفــة عصت لــم تفســـق عن جحود وتمرد ، وانمــا أوتيت من قبل الجهل . وعــدم صــفاء البصيرة فوضعت بجانب حقائق الاســلام ما يتبرا منه الاسلام ... وهذا كله يجعـــل الدعــوة الى الدين من أفضل الواجبات ، وأحمد المساعى حيث أن الفائدة حينئذ محققة » (١) .

وأيضــا يذهب الاعلاميون الى أن من وظائف الاعــلام خــدمة مبادىء الأمة ونشر فلسفتها ، وتكوين رأى عــام بين الناس يتلاقى مــع توجيهات الحكم والسياسة ، وذلك يكون اذا كان الاعلام جزءا من حركة الدولة ونشاطهــا ... ان كان الأمــر كذلك (وهو كذلك بشـــهادة الواقع والحقيقة) فالواجب ان يعمــل الاعــلام فى الدولة الاسلامية فى خدمة الدين ، والتعريف به ، ونشره بين النـــاس أجمعين .

ان البرامج المتخصصة ، والبرامج الموجهــة ، وكافــة برامج الاعــلام يجب أن تتحرك فى اطار الدعوة الى الله تعالى ، ليستفيــد التبليــغ من التنوع الاعلامى المعاصر .

واذا كنا نقول بالاعــلام الاسلامى فان اسلامية الاعلام لا تحدث الا بمحتوى الوسيلة ، لأنهــا أداة قابلة للتشــكل بأى شــــكل تبعــا

---

(١) الدعوة الى الاصلاح ص ٩ ، ١٠ بتصرف .

لمضمون الرسالة ومحتواهـا ، ولا يكون الاعـلام اسلاميـا الا اذا كان اسلاميـا فى محتواه . واتجاهه وتوجهـه .

وحينما يكون الاعـلام فى خدمة التعريف بالاسلام فانه يقوم بشرح الاسلام وابراز قضـاياه بصورة مفهومة وسهلة ، استنباطـا من القرآن الكريم ، واستمرارا لدوره فى الناس . يقول الله تعالى :

*** « قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيره انا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين » (١) .**

*** « ولقـد صرفنـا فى هذا القرآن من كل مثل وكان الانسـان اكثر شىء جدلا » (٢) .**

*** « طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى » (٣).**

*** « فلذلك فادع واستقم كمـا أمرت ولا تتبع أهواءهم وقـل آمنت بمـا أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنـا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمـع بيننا واليـه المصير » (٤) .**

*** « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنـا وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى لـه ما فى السموات وما فى الأرض ألا الى الله تصير الامور » (٥) .**

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٨ .
(٢) سورة الكهف آية ٥٤ .
(٣) سورة طه آية ١ ، ٢ ، ٣ .
(٤) سورة الشورى آية ١٥ .
(٥) سورة الشورى آية ٥٢ ، ٥٣ .

*** « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » (١) ٠**

ومن مجموع هذه الآيات وغيرها نرى كيف عرض القرآن الكريم الاسلام بصورة سهلة فهو سبيل الله ومنهجه الذى يتبعه المؤمنون الصادقون ، وقد جاء القرآن بهذا المنهج فى صورة أمثال ومواعظ ، ليقتنع الناس بخطابه ، ويتذكروا ما فيه ، ويؤمنوا بالله تعالى فهو الرب المنزل لكتابه ، المجازى العباد على أعمالهم ، اذ الجميع راجع اليه سبحانه للحساب والجزاء ، والعاقل من أيقن ، والتزم الصراط المستقيم ، واتبع شرع الله القويم ٠

والاعلام الاسلامى يعرض الاسلام ، ويدلل على صدق قضاياه ويرد زيف المبطلين ، وبذلك يكون التعريف كاملا ، وهذا المنهج فى الاقناع وتجلية الحق يستفيده رجال الاعلام من القرآن الكريم ٠

ففى مجال ايراد الدليل المثبت لصدق قضايا الاسلام ٠ تبرز قضية التوحيد مثلا حيث نرى القرآن الكريم يثبتها بالأدلة العديدة المتميزة بالايجاز والدقة والاقناع ولنقرأ هاتين الآيتين ، يقول الله تعالى :

*** « والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ، وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ٠ ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين » (٢) ٠**

*** « وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » (٣) ٠**

---

(١) سورة الجاثية آية ١٨ ٠
(٢) سورة النحل آية ٨٠ ٠
(٣) سورة النحل آية ٦٨ ٠

نقرأ هاتين الآيتين ونجد أدلتها سهلة الفهم تلامس الواقـــع وبذلك تقدم الدليل المقنع على ان الله تعالى واحـــد لا شريك له •

ونلاحظ أن هذه الأدلة صالحة لجميع البشر ، فما من انســان الا وله اتصـــال بالانعـــام والبيوت والنحل ممـــا يشير الى منهـــج القرآن فى اختياره لأدلته •

ويأتى الدليل القرآنى دائما مفحما رغم ايجـــازه • ومن أمثـــلة ذلك قول الله تعالى :

❊ « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » (١) •

❊ « أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون » (٢) •

ففى ايجاز يبين القرآن الكريم أن ثبـــوت التوحيد لله أمر مقرر عقـــلا لأن تعدد الآلهة يؤدى الى فســـاد العـــالم ، ولكن الحقيقية هى أن الله واحد ولذلك جاء كل شىء موزونا وبمقدار دقيق لا يضـــــل ربى ولا ينسى ، وما دام الخالق واحدا فالواجب أن يعبد وحده اذ لا يصح أن يتســـاوى الخالق والمخلوق فى أمر واحد •

ان الاعـــلام الاسلامى ملتزم بتبليغ دين الله تعالى ، وتعريف الناس بكافـــة جوانبه — عقيدة وشريعة — وفق المنهجية التى اشرت اليهـــا حيث بها يكون التعريف الواضح ، والتدليـــل المقنـــع المناسب لكل الناس على اختلاف طوائفهم وطبائعهم •

٢ — ايجاد الانســـان الصالح :

من أهداف الاعـــلام فى المجتمـــع المسلم ايجـــاد الانســـان الصـــالح الذى استقامت سريرته ، واستقـــام ظاهره وسلوكه ، فهو

---

(١) سورة الانبياء آية ٢٢ •
(٢) سورة النحل آية ١٧ •

فى سريرته يبطن الايمان بعقيدة التوحيد ، ويؤمن بأن الله واحد لا شريك له ، فهو سبحانه المتفرد بالعزة والجلال ، والملك والملكوت ، وأنه لا اله الا هو سبحانه وتعالى • وفى ظاهره يعمل بحق عقيدة التوحيد التى آمن بها •

انه متى استقرت عقيدة لا اله الا الله فى أعماق النفس استقر معها فى نفس الوقت كل نظام تتمثل فيه شهادة التوحيد • مما يجعل الظاهر انعكاسا أمينا للباطن المستور •

ان طبيعة الاسلام تقضى بجعل التوحيد أساسا لبقية أجزاء الدين ، أصوله وفروعه ، فهو دين يقوم على قاعدة الألوهية الواحدة ••• كل تنظيماته وتشريعاته تنبثق من هذا الأصل الكبير ••• وكما أن الشجرة الضخمة ، الباسقة ، الوارفة ، المديدة الظلال ، المتشابكة الاغصان ، الضاربة فى الهواء لا بد أن تضرب بجذورها فى التربة على أعماق بعيدة وفى مساحات واسعة تناسب ضخامتها • وامتدادها فى الهواء ، فكذلك هذا الدين ••• ان نظامه يتناول الحياة كلها ، ويتولى شئون البشرية كبيرها وصغيرها ، وينظم حياة الانسان فى الدنيا والآخرة ، وفى عالم الغيب والشهادة •

انه اذا مؤسسة ضخمة هائلة ، ولابد لها من جذور وأصول تعتمد عليها الفروع • والأغصان ، وبها تزدهر الثمار ويحلو النتاج •

وعلى الاعلاميين فى توجههم الى زرع العقيدة الحقه فى الأفراد ان لا يتعجلوا جنى الثمار لأن زرع العقيدة فى القلوب عملية دقيقة وشاقة تحتاج الى الصبر والأناه ، ومداومة الجد والعمل •• ولهذا بقيت الدعوة فى مكة قبل الهجرة منحصرة فى اثبات العقيدة • ولم يتجاوزها القرآن الكريم الذى نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكة قبل هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم •

ان زرع عقيدة الاسلام فى النفس معناه هجر أى أثر للجاهلية ، واهمـــال أى صورة من صور الحياة المـــادية البغيضة التى تبعد الانسان عن حقيقة التوحيد والايمان .

وكان اقتصار الدعوة على التوحيـــد فى مكة بأمر الله تعـــالى . حيث هو الطريق . وهو الأساس . وغيره ينبنى عليه .

ان صلاح العقيدة يؤدى الى طهارة النفس والخلق ، وتزكية الروح والقلب دون خوف من مخلوق ، لأن الرقابة بالعقيدة تكون فى الضمير الذى يطمع فى ثواب الله تعالى ، ويخاف من عقابه ، سبحانه هـــو الكبير المتعـــال .

ان زرع العقيدة بالاعـــلام الصـــادق يحتاج الى توجيـــه العقـــل نحو آيات الله فى الكون ، وفى الحياة ، وفى ذات الانســـان نفســـه ليرى قدرة الله وأثره على خلقـــه المبـــدع العجيب . والقرآن الكريم ملىء بهـــذه الآيـــات التى تســـاعد رجال الاعـــلام على فهمهـــا ، والتوجه بهـــا للمدعوين .

ان أمـــر الانسان لو استقام على أمـــر الله لصـــار شـــخصـــا معتدلا فى فكـــرة وسلوكه ، ايجابيـــا فى حركته ونشـــاطه ، موفقـــا فى قراره وسكونه ، نظيفا فى مظهره ومخبره ، يكفى انه انســـان صالح . أسلم أمره لله تعالى راضيا بقضاء الله وقدره .

– يؤدى واجبه فى الأرض ويتوكل على الله فى السماء .

– يستعلى على الزيف والدنايا ويسلم أمره لله .

– **يسعى للرزق بكل طاقته ويترك النتيجة لله .**

– **ينفق ممـــا أعطاه الله . ويدع حساب الغد لله .**

– **يسير مع الأقدار مؤمنـــا بانه لن يقـــع الا ما قضى الله .**

– **يكدح ويعمل ويرجو الخير من الله .**

هذا هو الانسان الذى يجب أن يبنيه الاعلام الاسلامى وسوف يكون يوم أن نكون صادقين فى أن يكون •

٣ - اسعاد المجتمع بالاسلام •

السعادة هى أمنية الجميع فى كل زمان ومكان لانها تمام الخير وغايته ، وهى قمة الفوز والفلاح •

« والسعادة هى الخير المطلوب لذاته وليست تطلب أصلا ولا فى وقت من الاوقات لينال بها شىء آخر ، وليس وراءها شىء آخر أعظم منها يمكن أن يناله الانسان ، والافعال الارادية التى تنفع فى بلوغ السعادة هى الافعال الجميلة ، والهيئات والملكات التى تصدر عنها هذه الافعال هى الفضائل لما تجلب من سعادة ، والافعال التى تعوق عنها هى الشرور والقبائح ، والهيئات والملكات التى تصدر عنها هذه الافعال هى النقائص والرذائل والخسائس »(١)
ان السعادة غبطة روحية ، وسمو معنوى •

وقد اجتهد الناس فى الوصول للسعادة فبعضهم يراها فى الثروة والمال ، وبعضهم يراها فى الجاه والسلطان ، وبعضهم يراها فى الولد والذرية ، وليس الطريق هو ذاك •

ان السعادة الحقيقية فى اسلام الامر لله ، وتطبيق تعاليمه والتزام أوامره التى يتوصل اليها بطريق الوحى المنزل من الله على الناس بواسطة رسل الله عليهم السلام ، فهم الذين جاءوا لاخراج العباد من ظلمات الكفر الى نور الايمان • جاءوا لرد الناس الى منهج الله الذى خلقهم وأوجدهم كما شاء وأراد سبحانه وتعالى •

ان تدبير الله للكون وتسخيره للانسان يقضى بضرورة اتباع المنهج الذى وضعه الله لهم • والناس محكومون بقوانين فطرية

---

(١) المدينة الفاضلة ص ٤٧ للفارابى •

من صنع الله فى نشأتهم ونموهم ، وصحتهم ومرضهم ، وحياتهم وموتهم كما هم محكومون بهذه القوانين فى اجتماعهم واحداثهم ، وهم لا يملكون تغيير سنة الله فى الكون والحياة .. ومن ثم ينبغى أن يلتزموا بقـوانين الله فى حياتهم وأنشطتهم ، ويجعلوا شرع الله طريقهم ودينهم . وبذلك تتحقق لهم السـعادة . ويعيشون الخير كله .

ان من الظلم للنفس أن يتمتع صاحبهـا بكون ربه المفطور ، ويهمل شرع الله المسـطور .

وليس من العـدل أبدا أن نرفل فى نعم الله ونتغاضى عن أوامره .

ان دور الاعـلام فى المجتمـع المسلم تعليم الناس هذه الحقيقـة ومداومة التذكير بها ، لأن بهـا جاء الرسل ، ولهـا كانت الدعـوة ووجوب تبليغها على المسلمين ، وهى الأساس لكل سعادة اجتماعية وشـخصية .

ان المسلمين المعاصرين يشكون من أمراض عديدة ، ويبحثون عن دوائها ، والحقيقة أن مرضهم فى بعدهم عن الاسـلام ، وعلاجهم فى الالتزام الشـامل الدقيق بشرع الله تعالى ، وآيات القرآن صريحه فى هـذا . يقول الله تعالى .

*** « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسـهم » (١) .**

لقد أودع الله فى الانسـان طاقات هائلة ، ظاهرة وخفية جعلهـا سبحانه مهيأة للعطاء أن استقامت وارتقت . وعلى كل انسان أن يبدأ باصلاحها لتسعده بدورها . ولن يسعد الناس الا بمنهج الله تعالى وعليهم أن يلوموا أنفسهم اذا بعدوا عن الله وعاشوا فى فقر وهوان . فهم سبب الضياع والمآسى . ولنقرأ ذلك فى كتاب الله تعالى .

---

(١) سورة الرعـد آية ١١

يقول الله تعالى : « **والذين اهتدوا زادهم هــدى واتاهم تقواهم** » (١) ٠

❋ « **يا أيهــا الذين آمنــوا ان تنصروا اللــه ينصركم ويثبت اقدامكم** » (٢) ٠

❋ « **فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأمــــا الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجســـا الى رجســــهم وماتواوهــم كافرون** » (٣) ٠

❋ « **ولا تكونوا كالذين نســوا الله فأنســاهم أنفســهم أولئك هم الفاســقون** » (٤) ٠

❋ « **ولا تقولوا لمــا تصف ألسنتكم الكذب هــذا حــلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكـــذب لا يفلحون** » (٥) ٠

❋ « **ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشــه ضنكا ونحشره يــوم القيــــامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصـــيرا قــال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى** » (٦) ٠

❋ « **وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيــــها رزقهــا رغدا من كل مكـــان فكفرت بأنعم الله فأذاقهــا الله لباس الجــــوع والخوف بمــا كانوا يصنعون** » (٧) ٠

❋ « **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقــوا لفتحنا عليهم بركات من**

---

(١) سورة محمد آية ١٧ ٠
(٢) سورة محمد آية ٧ ٠
(٣) سورة التوبة آية ١٢٤ ، ١٢٥ ٠
(٤) سورة الحشر آية ١٩ ٠
(٥) سورة النحل آية ١١٦ ٠
(٦) سورة طه آية ١٢٤ ، ١٢٥ ٠
(٧) سورة النحل آية ١١٢ ٠

السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون (١) ٠

القضية واضحة اذا من هذه الآيات وغيرهـا كثير فى الكتـاب والسنة ، فمن استقام واهتـدى ، وآمن وأطاع يزداد هـدى ، وينصره الله ، ويعيش البشرى فى الدنيا والآخرة ٠

وأما من عصى وبغى ولم يؤمن فهو المنافق الذى يعيش حياة الكذب والافتراء ، ويتملى فى الخوف والضنك والعبث والهزيمة ٠ وعليه أن يلوم نفسـه ٠

والاعلام الاسلامى طريق الناس لتوضيح هـذه الحقائق أمامهم ليسعد من يسعد عن بينة ، ويشقى الأشقياء عن بينة أيضا ٠

وأحب أن أشير هنـا الى قضيـة أساسـية فى نجـاح الاعـلام فى تحقيق هدفه ، وهى ضرورة التزام القائم بالاعلام بالاسـلام وتعاليمه فهما وتطبيقا — ليكون معلمـا بالكلمة وبالقـدوة ، كمـا أن على المؤسسة الاعلاميـة ككل ان تلتزم بهـدفها اذ لا يصح لهـا ان تدعـو للفضيلة والرذيلة معـا ، وتحاول نشر الحق والبـاطل معه ٠ لأن ذلـك يعنى أمام الجمهور عـدم الجدية فى التوجيه ، ويتحـول الاعـلام بذلك الى وسيلة تضيع الوقت ، وتقتل الطموح ، وتبتعـد عن منهج الله القويم ٠

ولا يصـح أبدا أن يتحول الاعـلام فى المجتمع المسـلم من أداة تربية وبناء الى وسيلة هدم وضياع ٠

واذا ما تحقق هـدف الاعـلام الاسلامى فعرف بالاسـلام ، وأنشـأ الفرد المسـلم ، وأخذ بيـد الجمـاعة المسلمة فاننا نرى أن كل شىء صار اسلاميا ٠ الرأى العـام ، وأساليب العلاقات العـامة وكل ألوان الدعاية والترويج ٠٠٠٠ وهكذا ٠ الأمر الذى يحقق السعادة وينشر السـلام ٠

---

(١) سورة الاعراف آية ٩٦ ٠

المبحث الثانى
الجوانب الفنيـــة
فى حركة الاعـــلام الاسلامى

من أجل تحقيق هـــدف الاعـــلام الاسلامى يتجه القرآن الكريم الى الجوانب الفنية التى تســاعــد على التأثير فى الناس ، لأن المقصود هو تحقق المنفعة للعالمين . يقول الله تعالى : **« فذكـــر أن نفعـــت الذكرى »** (١) .

والجوانب الفنيـــة المؤثـــرة لا يراد بها الاسلوب البيانى ، وشكل التراكيب اللفظية وانمـــا تعنى الشمول الواسع الذى تصـــب داخله الأســـاليب ، والتراكيب اللفظية ، ويمكن أن تكون هـــذه الجـــوانب موجهة للمرسل والرسالة والجمهور ولغير هؤلاء ، ويمكن استنباط بعض الجوانب الفنية فى حركة الاعلام الاسلامى فى النقاط التالية :

(أ) النفس البشرية تنجذب نحو الجديد ، تحاول كشـــف حقيقته ، ومعرفة أسراره ، وذلـــك كمـــا حدث من العـــرب عند نزول الحروف المقطعة فى القرآن الكريم ، فلقد أتوا اليها مع أنهم لم يؤمنوا أصلا لغرابتها وجدتهـــا ، وقد رأينـــا أن القرآن الكريم يعتمـــد هـــذه النقطة فى الدعـــوة والاعـــلام ، الأمر الذى استهوى العرب فى مكة قبل الهجرة ، وجعلهم يقبلون على ســـماع القرآن الكريم رغم عـــدم دخولهم فى الاسلام ، ومن أمثال هـــذا نقرأ قوله تعالى : **« ألم تركيف فعل ربـــك بعـــاد ارم ذات العماد الذى لـــم يخلق مثلهـــا فى البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الأوتاد الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد** (٢) ومن جملة هـــذه الآيات نعرف عادا ومساكنهـــا ، وضخامة أشخاصهـــا بصورة لا نظير لهـــا ، ونعرف ثمود وديارها ، وكيف نحتوا بيوتهم من الصخر

---

(١) سورة الأعلى آية ٩ .
(٢) سورة الفجر الآيات ٦ ــ ١٤ .

والجبال وبغوا ، وأفسدوا ، ولذلك كانت عاقبتهم أليمة ، وعـــذابهم شديد »(١) •

وبالنظر فى أسلوب هـذه الآيات نرى اتحـاد الفواصـل ، حيث انتهت كل آية بحرف الدال وبذلك يظهـر للصوت جرس يشبه سجع العرب ، ولذلك كان يقبـل العرب على هذا القصص ليعرفـــوا أخبـار الناس الذين سبقوهم وبخاصـة أن الاسلوب بليغ شـيق جميل »(٢) •

وهكذا كان القرآن فى توجهه للناس ، كان يتضمن مع الجدة والاثارة الافادة ، وتحقيق هـدف مقصود ، ذلك أن قارىء القصة وسامعهـا لا يقف منهـا موقفا سلبيـا ، فهو يدس نفســه على مسرح الحوادث ، ويتخيل ذاته فى هـذا الموقف أو ذاك ، ويوازن بين نفســه وبين أبطال القصــة فيوافق ، أو يستنكر ، أو يملكه الاعجاب •

والاســلام يدرك هـذا الميـل الفطرى فى القصـة ، ويستغله للتربيـة والتقويم ، ويستفيد به فى التوجه الى الناس •

(ب) نلحظ ان منهج الاســلام فى الدعوة والاعـلام يجعـل مسئولية التربية والتوجيه شاملة حيث يقـوم بهـا الأفراد ، وتقـوم بهـا الجماعـات فالأب مسئول عن ابنائه ، يقـول الله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا »**(٣) والولد من الأهل ، ووقايته من النار تكون بتوجيهه نحو المصلحة ، والزامه بالقيم المشروعـة ، والرجل مسئول عن زوجته يقول تعالى **« الرجال قوامون على النساء »** (٤) والمرأة مسئولة فى بيت زوجها • والدولة مســئولة عن بنيهـا ، تحمى عقيدتهم ، وكل ضرورات حياتهم وفق نظام متكامـل ، ان ممـا يدل على عموم مسئوليـة التوجيه قول النبى صلى الله عليه وسـلم

---

(١) تفسير النسفى جـ ٤ ص ٣٥٥ •

(٢) سوف نتناول القصـة بالدراسـة التفصيليـة فى مبحث « أساليب القـرآن الاعـلاميـة » •

(٣) سورة التحريم آية ٦ •

(٤) سورة النسـاء آية ٣٤ •

« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لـم يستطع فبلسـانه ، فان لم يستطع فبقلبه وهـذا أضعف الايمان » (١) • ويقول عليه السلام : **« ألا كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته فالامام الأعظم على النـاس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل على أهل بيته راع وهـو مسـئول عن رعيته »(٢) •**

والاسلام فى تعميم المسئولية يريـد أن ينشـأ المجتمـع النظيف الذى يتعاون كل ما فيه على التوجيه والتربيـة وفق منهج الله تعـالى ، يقول الاستاذ محمـد قطب : « فى المجتمـع المسـلم يتعاون الجميـع فيه على البر والتقوى ، ويتعاونون على تهيئة الجـو للأجيـال الناشئة أن تتربى فى ظل الاسـلام ونظمه •••••• فى هـذا المجتمـع ينشـأ الانسـان الصالح بقدر أقل من الجهد ، وقدر أكبر من الصلاح » (٣) •

(جـ) ومن حركة الاعـلام عدم مصادمة المخاطبين ، وانمـا يحسن اتيانهم من المـدخل الذى يرضـيهم ، ومن أمثلة قـوله تعـالى : **« ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسـبوا الله عدوا بغـير علم »** (١) وحينمـا كان التوجـه لأهل الكتاب تضمن الحديث توضيحـا لمقـام الرسـالة الثابت لموسى وعيسى عليهـما السلام ، وبيانـا كذلك لأسس دعواتهم التى هى فى نفس الوقت اسس الاسـلام ، وبهذا الاسلوب لـم يحـدث تصـادم مع عقلاء أهل الكتاب ولذلك قـال النجاشى حينمـا استمع لكـلام الله تعالى : هـذا والله يخرج مـع ما جاء به مـوسى من مشـكاة واحدة »(٥) • ويقـول اللـه تعـالى : **« واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهـم تفيض من الـدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فأكتبنا مع الشاهدين »** (٦) •

---

(١) صحيح مسلم كتاب الامـر بالمعروف •
(٢) صحيح البخـارى كتاب الاحكـام جـ ١٣ ص ١١١ •
(٣) منهج التربيـة ص ٢٧٠ بتصرف •
(٤) سورة الأنعـام آية : ١٠٨ •
(٥) النبوات ص ٢٩٤ •
(٦) سورة المائدة آية ٨٣ •

وفى اطار منهج التوجه لأهل الكتاب نقرأ قول الله تعالى :

« يا أهل الكتاب لـــم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التـــــوراة والانجيل الا من بعده »(١)

* **« وليحكم أهل الانجيل بمـــا أنزل فيه »(٢) ٠**

* **« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم »(٣) ٠**

* **« يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم »(٤) ٠**

* **« والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون »(٥) ٠**

وبالنظر فى هذه الآيات وغيرها كثير نلحظ أن الدعـــوة كانت تراعى مشاعر المخاطبين واتجاهاتهم ، ولذلك لـــم تتصـــادم معهم بطريقـــة مباشرة ، انهـــا كانت تورد بعض القضـــايا المتفق عليهـــا ، جذبا لثقتهم وفتحا لعقولهم وقلوبهم على النحو المذكور ٠

انهم أهل كتاب ، والمسلمون يؤمنون بكتابهم هذا ٠

وهو اتباع رسول ، والمسلمون يصدقون به ٠

وهم يعبدون الها واحدا ، والمؤمنون يعبدونه أيضا ٠ فلم التعارض ابتداء ! ٠ ولم احداث النفرة والبغضاء ! ٠

ولم لا نستفيد باظهـــار الجوانب المشتركة ! ٠ كمـــا تعلمنـــا من تطبيقـــات الاسلام فى التوجه الى الناس ودعوتهم الى دخـــول دين الله تعـــالى ٠

---

(١) سورة آل عمران آية : ٦٥ ٠
(٢) سورة المـــائدة آية : ٤٧ ٠
(٣) سورة آل عمران آية : ٦٤ ٠
(٤) سورة المائدة آية : ٦٨ ٠
(٥) سورة العنكبوت آية : ٤٦ ٠

وليس معنى ذلك اهمـــال الجوانب الاسلامية التى انفرد بهـا الاســلام • لان اظهار الجوانب المشتركة هو منهج وأسلوب ، وليس غاية وهدفا ، انه مدخــل لكســب ثقــة القــوم ، وجــذب انتباههــم نحو القضــايا المطروحــة •

(د) ومن مناهج الدعوة والاعــلام الاتيان بالصورة العجيبة التى تحــدث الدهشــة عنــد المستمع وهو ما يعرف بحالة الزلزلــــه الفكريه عند المتلقى ، ازاء هــذه الحالة يجد المتلقى نفسه مشدودا لهذا الجديد العجيب ، ولانه فوق جذبه لانتباه المستمع يعطى انطباعــا بمــــدى قدرته وعبقريته ، وهذا جانب اخر فطر الانسان على احترامه وتقديره ، وهــذه النقطه مستفادة من أسلوب الاسلام فى اقنـــــاع الناس ، وتصديقهم برسول الله صلى الله عليــه وســـلم ، فلقـــد جاء رسول الله مؤيــدا بمعجزات عديدة من الله تعــالى تشـــهد لــه بالصدق ، وتدفــع الناس الى الايمــان بدين الله تعالى ، وطـــاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم على بينه فيمــا دعاهم اليه ، وتلك ســنة شاملة لرســل الله جميعــا ، فلقــد اظهر الله عــلى أيديهم معجزات عديدة لتحقيق هذه الغــاية ، ودائمـــا كانت المعجزة تتميز بأمرين •

الأمر الأول :

تكون المعجزة دائمــا فى جنس ما تفوق الناس فيه لتنــاسب أحوالهم ، وليعرفوا عجزهم ازاءها ، يقـــول ابن حجر : وكانت معجزة كل نبى تقع مناســبة لحال قومه كمــا كان السحر فاشيا عند فرعــون فجاءه موسى عليه السلام بالعصا على صــورة ما يصــنع الســحرة لكنها تلقف ما يصنعون ، وكذلك احيــاء عيسى عليــه الســلام المــوتى وابراء الاكمــه والأبرص لكــون الاطبـــاء والحكمــاء كانوا فى ذلك الزمان فى غاية الظهور ، ولهــذا لمــا كان العرب الذين بعث فيهـــم النبى صلى الله عليه وســلم فى الغايــة من البلاغــة والفصــاحـــة

جاءهم القرآن الكريم (١) •

الأمر الثانى :

تقوم المعجزة على التحــدى حيث لا يقدر أحــد أن يتوصــل اليهــا بسبب • ولذلك تحدى الله العــرب أن يأتوا بمثــل أقصر سورة من القرآن الكريم فقال تعــالى :

* **« فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين » (٢) •**

* **« فاتوا بعشر سور مثله » (٣) •**

* **« فاتوا بسورة من مثله » (٤) •**

يقول ابن تيميــة : (طالبهم بالاتيان بمثله اما احداثا ، واما تبليغا عن الله أو عن مخلوق ، ولم يكلفهم نفس الاحداث ليظهر عجزهم من جميــع الجهات • (٥) • وقــد تنزل التحــــدى من مثــل القـــرآن كله الى مثــل عشر سور منه ، الى أقصر سورة من القرآن الكريم ، وبذلــك بان عجزهم وثبت •

ان المعجزة بهــذه المزايا تؤدى الى جــذب الناس ، والى تحقيق الثقــة والى الاسراع فى الايمــان ، ولذلك يقــول النبى صلى الله عليه وسلم : **« ما من الأنبياء نبى الا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحــاه اللــــه الى • فأرجــو أن أكــون أكثرهم تابعا يوم القيامة »**(٦) يقول ابن حجر : وانما حســــن ترتيب هــذا الرجاء على معجزة القـــرآن المستمرة ، لكثــرة فائدته ، وعموم نفعــه ، ولا شتماله على الدعــوة والحجة والاخبار بمــا ســيكون ،

---

(١) فتح البارى : جـ ٩ ص ٦ ، ٧ •
(٢) سورة الطور : آية : ٣٤ •
(٣) سورة هود : آية : ١٣ •
(٤) سورة البقرة : آية : ٢٣ •
(٥) النبوات : ص ٢٩٦ •
(٦) صحيح البخارى كتاب فضائل القرآن جـ ٩ ص ٣ بشرح فتح البارى •

فعم نفعه من حضر ، ومن غاب • ومن سيوجد ، وقد جمع بعضهم اعجاز القرآن الكريم فى أربعة أشياء :

أحدها : حسن تأليفه والتئام كلمه مع الايجاز والبلاغة •

ثانيها : صورة سياقه وأسلوبه المخالف لاساليب كلام أهل البلاغة العرب نظما ونثرا حتى حارت فيه عقولهم •

ثالثها : ما اشتمل عليه من الاخبار عن أحوال الامم الماضية •

رابعها : الاخبار بما سيأتى من الأحداث الكونية التى وقع بعضها فى العصر النبوى وبعضها بعده(١) •

وهذه النقطة فى المنهج الاسلامى لها أهميتها عند المستمعين ، ولذلك يحسن عرض القضايا الهامة بصورة مثيرة ، والاشارة الى المستقبل مع تصويره بما يؤكد ضرورة التنبه له •

ويجب أن يكون واضحا أنه لا معجزة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانما الذى نتمثله هو منهجية المعجزة ، وقدرتها على التأثير لنأخذ منها بقدر الطاقة البشرية •

ومما يفيد رجال الدعوة والاعلام فى هذا المجال ما نقرؤه من تصوير للجنة وللنار ، ولحال المؤمن ، ولحال الكافر فى الاخرة ، مما يضع المستمع أمام مسئوليته فى الدنيا •

(ﻫ) ومن مناهج الدعوة والاعلام فى التوجه الى الناس اتباع أسلوب التدرج ، والبدء بالقضايا الاساسية التى يتفرع عنها غيرها وذلك واضح من البدء بالدعوة لقضايا العقيدة التى استمرت طوال الفترة المكية وذلك لان العقيدة هى اساس للشريعة ، ومن آمن وصدق سهل عليه أن يطيع ويعمل •

---

(١) فتح البارى ج ٩ ص ٧ •

وأسلوب التدرج واضح فى تحريم الخمـــر على وجه المثـــال ، ولذلك كان أول ما نزل فى الخمر هو قول الله تعـــــالى : **« ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا »** (١) حيث أشارت الآية الى ما فى السكر من رزق بعيـــد عن الحسن كمـــا يستفـــاد من عطف الرزق الحسن عليه •

وبعـــد ذلك نزل قول الله تعالى : **« يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للنـــاس واثمهمـــــا أكبر من نفعهمـــا » (٢)** وهذه اشارة الى التحريم لأن ما اثمه أكبر من نفعه أولى بالترك •

ثم نزل قوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنـــوا لا تقربوا الصـــلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون »**(٣) حيث اشارت الآية الى منع المســـلم من الصلاة وهو سكران • وهـــذا تحريم جزئى •

وأخيرا كان التحريم الشـــامل للخمـــر وذلك فى قوله تعـــالى : **« انمـــا الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمـــل الشيطان فاجتنبوه »(٤) •**

وهذا التدرج يفيـــد فى التأثير والطاعة •

ان منهج الدعوة والاعـــلام وهو يعتمد النقاط المشـــار اليهـــا يهدف الى تحقيق تأثير فى الناس به يتقبلون الاســـلام ، ويفهمـــون مسائلة ، ويخلصون لدين الله تعالى • وهـــذا الاثـــر هو رد فعـــل على ما دعوا اليه •

ولا يضير المنهج مواقف الكفـــار والمنافقين حيث كانوا يتخذون مواقف مضـــادة للدعوة بصورة صريحة أو ملتوية • لان هؤلاء انحرفوا بفطرتهم عن طبيعتهـــا • وبذلك فهم مرضى يحتاجون لعلاج خاص •

---

(١) سورة النحل : آية : ٦٧ •
(٢) سورة البقرة : آية : ٢١٩ •
(٣) سورة النســاء : آية : ٤٣ •
(٤) سورة المائدة : آية : ٩٠ •

المبحث الثالث

خصائص الاعلام الاسلامى

يهدف الاعلام الاسلامى الى تربية الفرد بالحق ، وايجاد المجتمع المستقر بالدعوة ، واصلاح أمور الدنيا والآخرة بمنهج الله تعالى ، وتحقيق السعادة الشاملة بالمحافظة على الحقوق وأداء الواجبات .

وتحقيق هذه الاهداف يتم وفق خطة واقعية ، ومنهج فنى يخاطب الانسان كله — عقله وعواطفه ووجداناته — من أجل تحقيق الهدف المقصود بالحكمة والموعظة الحسنة .. ان سياسة الاعلام الاسلامى تؤكد ملامحها بوضوح هدفها ، وبيان منهجها فى توجيه الكلمة ، ومخاطبة الناس ، واظهار خصائصها التى تميزها عن سواها .

والاعلام بصورة عامة يخضع فى حركته لاحدى نظريات (١)

---

١ ـ نظريات الاعلام أربع هى :

(أ) نظرية السلطة : وهى أقدم نظريات الاعلام ، تقوم على التسلط وفرض رأى الحاكم ، وترتكز هذه النظرية على سلطة الكنيسة والحق الالهى المزعوم لرجال الكنيسة فى العصور الوسطى ، وتقيد هذه النظرية الاعلام بقيود عديدة ليبقى خاضعا للسلطة الفوقية .

(ب) نظرية الحرية : تقوم هذه النظرية على أساس اطلاق حرية الناس فى أن يعبروا عن مرادهم بحرية مطلقة ، وبأى وسيلة يريدونها بعيدا عن أى قيد أو تسلط .

(ج) نظرية المسئولية الاجتماعية : تعد هذه النظرية تطورا لنظرية الحرية لأن الحرية المطلقة تؤدى الى ضرر كثير ، وأساس هذه النظرية أن الحرية حق ومسئولية فى نفس الوقت .

(د) النظرية السوفيتية :هى امتداد لنظرية السلطة ، وكل جديد فيها أن السلطة المتحكمة سلطة شيوعية تتحكم لتفرض مذهبها ونظامها وانما سميت السوفيتية نسبة لأول دولة شيوعية فى العالم .

ولكل نظرية مبادئها وعناصرها ، ولها تطبيقاتها ، ويعتمد المعسكر الشرقى نظريتى التسلط والسوفيتية ، ويعتمد المعسكر الغربى نظريتى الحرية والمسئولية ، أما العالم النامى فهو يخلط بين هذه وتلك تبعا لتوجهه الدولى .

الاعـــلام حيث لكل منهـا هدفهـا وأسلوبهـا ، وملامحهمـــا ، وحيث أن الســياســة الاعلاميــة تحتوى على النظريــة والنظــام الذى تتحرك فى دائرته . والفلســفة العامــة لها والهدف المقصود فقد جعلت هــذا الفصــل فى دراســة « السياسة الاعلاميــة فى القرآن الكريم » حيث تناولت فى مبحثه الأول أهــداف الاعــلام الاسلامى ، وفى مبحثه الثانى أشرت الى بعض النقــاط فى منهج حركــة الاعـــلام الاسلامى فى توجهه للنــاس ، وفى هــذا المبحث سأتناول ــ بعـــون الله ــ بالدراســة والتوضيح ــ خصــائص الاعــلام الاسلامى ومزاياه التى بهــا ينفرد عن سائــر ألوان الاعــلام الأخرى ، وذلــك فيما يلى :

* * *

الخاصية الأولى

الربانيـــــة

الاعـــلام الاســـلامى له نسب متين ، لأنه مرتبط بالاسلام دين الله تعالى ولذلك كانت الربانية احـــدى خصـــائصـــه ، وتعنى هذه الخاصية للاعلام أن يكون متصـــلا بالله تعالى ، رب كل شيء ومليكه من كـــافـــة جوانبه ، فمصدره تعاليم الله تعالى لا يحيد عنهـــا الى غيرهـــا أبدا ، ومنهجه الحركى وفق منهج الله وغايته الانتصـــار لدين الله رب العالين ، ولكل هـــذا كان اسلاميـــا ٠

والربانيـــة تعنى التزام الاعـــلام بحكم الله ، والمســـلم دائما يأخذ عن الله عقيـــدته وشريعته وخلقه ، يقول الله تعالى :

ـ « ان الحكم الا لله أمر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثـــر الناس لا يعلمون » (١) ٠

ـ « قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العـــــــالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » (٢) ٠

ان الله سبحانه هو الحاكم المشرع ، والمالك لكل ما خلق ، وقـــــد جعل قدرته دليـــلا على أحقيته ، وأمـــر ـ سبحانه ـ بأن يعبد وحده ، وان يتوجه الانســـان اليه فى مرضه وصحته ٠ وحركته وســـــكونه ٠ وجعل سبحانه الاسلام دينا كاملا تاما ، يقول الله تعالى **« اليـــوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » (٣)**

---

(١) سورة يوسف آية ٤٠ ٠
(٢) سورة الأنعام آية ١٦٢ ، ١٦٣ ٠
(٣) سورة المائدة آية ٣ ٠

وقـد نزلت هذه الآية فى أخريات عده صلى الله عليه وسلم بالدنيـا لتوضـح حقيقـة كمـال الدين وتمامه ، وتأكيد ان الله رضى الاسـلام دينا يتعبد الناس بتكاليفـه ٠

والمسلم الصـادق يؤمن بهـذا فيأخـذ من دينه مسـتفيدا من كما له وتمامه ويقدمه على ما عداه ، لأن ما عداه ناقص ، وقـاصر ، والعاقل لا يترك الكامـل ويأخذ الناقص لان ذلك لا يجوز !! ولا يفيد !٠

والتزام الاعـلام بتوجيهـات الاسلام يحقق لـه هدفه ، ويجمع الجمهور حوله ، ويجعله متوازنا فى حركته توجهه ،

ان وجود الاسلام فى حياة الناس لا يكون الا باخلاص العبودية لله وقصر التلقى عليه سبحانه وتعالى ٠

واذا كان ذلك هو حكم الله فواجب أن ترجـع البشريـة بجملتهـا الى دين الله تعالى ومنهجه فى الحيـاة ٠

ثم ان القرآن الكريم يسـأل :

ـ أانتم أعلم أم الله ؟؟؟ (١) ٠

ويجيب

ـ والله يعلم وانتم لا تعلمون !! ٠

ويحسم القرآن قضية العلم بأسرار الكـون والحياة فيقـول تعالى« **وما أوتيتم من العلم الا قليـلا** » ويقول « سبحانه **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** » (٢) ٠

والذى يعلم هو الذى يخلق ، ويرزق ، ويعطى ، ويمنـع ، ولهـذا وجب على الناس أن يتيقنوا بأنه هو الذى يحكم ويوجه ٠

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٠ ٠
(٢) سورة الملك آية ١٤ ٠

يقول تعـــالى :

ـ « وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (١) ٠

ـ « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » (٢) ٠

ـ « ان الحكم الا لله امر ان لا تعبدوا الا اياه » (٣) ٠

ـ « فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول » (٤) ٠

ان الاسلام هو دين الله الذى يجب ان يكون هـــو المنبع للاعـــلام الاسلامى لينتصر الناس بالايمـــان ، ويسعد البشر بطاعـــة الله تعالى والتعبد لـــه سبحـــانه دون سواه ٠ ومن حق الاسلام على المسلمين ان يتحركوا به الى الأمام ، ويوصلوا تعاليمـــه للنـــاس لينقذهم من العبودية لغير الله تعالى ، ويبعدهم عن الانضواء فى حـــزب الشيطان الرجيم ٠

وكيف يرتضى رجل الاعـــلام المسلم ان يعصى الله ويطيع غيره وهو يقرأ قوله تعالى ٠

ـ « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيمـــا شجر بينهم ثـــم لا يجدوا فى أنفســـهم حرجا ممـــا قضيت ويسلموا تسليما » (٥) ٠

وحينما يلتزم الاعـــلام بالاســـلام تجده اسلاميـــا فى موضوعه ، وحركته ، وهدفه ، حيث يجعل رسائله على تنوعهـــا فى موضوع نزل الوحى به عقيدة وشريعـــة ، ودائمـــا يلتزم بالحـــلال المشروع ٠

ان رجل الاعـــلام الذى يجعل الاســـلام موضوع رســـائله يلتزم بتطبيق الاسلام على نفسه أولا ليكون موجهـــا بكلامـــة وأعماله،

---

(١) سورة الحشر آية ٧ ٠
(٢) سورة الاحزاب آية ٣٦ ٠
(٣) سورة يوسف آية ٤٠ ٠
(٤) سورة النســاء آية ٥٩ ٠
(٥) سورة النســاء آية ٦٥ ٠

فقــد دلت التجارب والاحــداث ان التوجيه بالعمــــل أسرع فى تحقيق الفائدة من الكلمــة المجردة ، وأيضــا فان تضــارب كلام المرســل مع سلوكه يؤدى الى الشــك ، والريب ، وعـــدم التصديق •

والقائم بالاعــلام الاسلامى مؤمن يمثل تجارب دعــاه الوحدانية من آدم عليه الســلام الى رسولنــا محمــد صلى الله عليه وســلم وعليه ان يستفيــد من تجاربهم ودعواتهم • لأن المســلم بصــورة عامة مكلف بالاستفــادة من حوادثهم وقصصهم • يقــول الله تعالى :

— « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » (١) •

— لقد كان فى قصــصهم عبرة لأولى الالباب » (٢) •

— « وكلا نقص عليك من انباء الرســل ما نثبت به فؤادك وجــاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » (٣) •

وهكذا يعيش الدعاة ورجال الاعــلام حياتهم يتمثلون رســـــل الله فى عملهم وسلوكهم ، يأخذون منهم العظة والعبرة ، ويجدون الثقــة والأمان ، ويتفكرون فى طبائع الناس وكيفيــة مخاطبتهم ، وحينما يلتزم الاعــلام الاسلامى بالاســلام فى محتواه ومضمونه يعمــل على وضع الجمهور المتلقى فى اطــار عباد الله المخلصين ، وذلك بتحسين الطاعــة أمامه ، وتخويفه من المعصية ، وتعريفه بمسئوليــاته وواجباته التى خلق لهــا ، وهى منحصرة فى قوله تعالى : **« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (٤) •**

ولو سأل الانســان نفســه عن كيفيــة مجيئه الى هــذه الدنيــا ، وعن رسالته خلالهــا ، وعن الأمل الأخير المنتظر من السعى فيهــا •

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٦ •
(٢) سورة يوسف آية ١١١ •
(٣) سورة هود آية ١٢٠ •
(٤) سورة الذاريات آية ٥٦ •

لو سأل عن ذلك . وتفحص الواقع لعلم أن الدنيا بما لما وما عليها قنطرة عبور ، ومنطقة عمل ، فليست هى الغاية ، وليست هى الأمل ويكفى أن الانسان مهما حصل من دنياه لا يلمس سعادة حقيقية بما حصل بل يتعب من أجل المزيد والمزيد .

ان بدء الانسان سر الهى لا يعلمه الا الله ، والعمل فى الدنيا محدود بتعاليم الله ، والنهاية هى الى الله **« وأن ربك المنتهى »** (١) .

وصناعة الاسلام للفرد تهدف الى جعله عبدا ربانيا خالصا فى قصده وأمله . سالكا طريق الخلق الكريم ، واضعا نصب عينه الالتزام الدقيق بكل ما جاء من الله تعالى ، مستشعرا مسئولية التكليف التى نيطت به من بين سائق المخلوقات .

يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم **« تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتى ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض »** (٢) .

الانسان المؤمن اذن يدرك الدنيا وعليه أن يدرك الآخرة ، عليه أن يعيش عبدا مطيعا مستسلما ، وعليه أن يعيش بواجباته ومسئولياته ، وعليه أن يعلم أن الكائنات جميعا تخدم نفسها وغيرها ، والانسان عليه أن يعمل لنفسه وفطرته ، وفى نفس الوقت يعمل ليكون عبدا لله تعالى .

هذه هى الربانية فى الغاية والهدف وهى احدى خصائص الاعلام الاسلامى التى يحدد للانسان المؤمن غايته وطريق سعادته، يقول ابن القيم رحمه الله : « فى القلب شعث لا يلمه الا الاقبال على الله ، وفيه وحشة لا يزيلها الا الأنس بالله ، وفيه حزن لا يذهبه الا السرور بمعرفته ، وصدق معاملته ، وفيه قلق لا يسكنه الا الاجتماع

---

(١) سورة النجم آية ٤٢ .
(٢) مستدرك الحاكم فى روايته عن أبى هريرة .

عليه ، والفرار اليه ، وفيه نبرات حسرات لا يطفئهـــا الا الرضى بأمره ونهيه وقضـــائه ، ومعانقـــة الصبر على ذلك الى وقت لقائه ، وفيـــه فاقة لا يسدهـــا الا محبته والانابة اليه ، ودوام ذكره ، وصدق الاخلاص له ولو أعطى الدنيـــا وما فيها فلن تســـد تلك الفاقة أبدا » (١) .

ان الارتباط بالله يبعـــد النفس عن الصراع والتمزق ، لأن وحـــدة الهـــدف تريح النفس والعقل والضمير ، يقـــول الدكتور يوسف الرضاوى « لقـــد اختصر الاسلام غغايات الانســـان فى غاية واحـــدة هى ارضاء الله تعالى ، وركز همومه فى هم واحـــد هو العمـــل على ما يرضيه سبحانه وتعالى ، ولا يريـــح النفس الانســـانية شىء كمـــا يريحهـــا وحدة غايتهـــا ووجهتها فى الحياة ، اذ بذلك تعرف :

من أين تبدأ ؟ .

والى أين تسير ؟ .

ومع من تسير ؟ .

ولا يشقى الانســـان شىء مثل تناقض غاياته .

ان عقيدة التوحيد تمنح المسلم يقينـــا بأن لا رب الا اللـــه يخاف ويرجى ، ولا اله الا الله ، يتجنب ســـخطه ، ويلتمس رضـــاه ، وبهـــذا أخرج المســـلم كل الأرباب الزائفـــة من حياته ، وحطم كل الأصنام الماديـــة والمعنويـــة من قبله ، ورضى بالله وحده ربا ، عليـــه يتوكل واليه ينيب ، وبه يعتصم (٢) « **ومن يعتصم بالله فقد فقـــد هـــــدى الى صراط مستقيم** » (٣) .

ان تشريـــع الاسلام فى العبادات الفرديـــة والجماعيـــة تصنع الفرد والجماعة . وتربطهم بالله رب العـــالمين . والحياة حينئذ هى

---

(١) الروح ص ٣١٢ .
(٢) الخصائص العامة للاسلام ص ٢٥ .
(٣) سورة آل عمران آية ١٠١ .

كمـا قال تعالى « **كلوا من رزق ربكم واشكروا لـه بلدة طيبة ورب غفور** » (١) وكما قال أيضـا « **هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبهـا وكلوا من رزقه واليه النشور** » (٢) ٠

وعلى هذا فأى نظـام لا يوجه الى الله لا يكون اسلاميـا ٠ وأى جزئيـة فى أى نظـام تحارب الربانية ، وتجذب الى المـاديـة الشهوية فهى بعيدة عن دين الله الحنيف ٠

ودور الرسول صلى الله عليه وسلم فى ربط النـاس بربهم هو الدعوة والبلاغ بالكلمة ، والقدوة ، فى الجوانب المختلفـة والعلمـاء بعـد رسـول الله مكلفون بالعمل الدءوب لتمكين المنهج الربانى من كافة جوانب الحيـاة ٠

وعلى الجملة فان الربانيـة تعنى ان يكون الأخـذ من اللـه فقط وان يكون التوجه لـه وحده ، سبحانه وتعالى ٠

---

(١) سورة سبأ آية ١٥ ٠
(٢) سورة الملك ية ١٥ ٠

الخاصية الثانية

المسئولية الشرعية

لا يصلح أمر الناس الا بالنظام الذى يحدد لكل فرد دوره وعمله ، وعلى أساسه يكون الحساب والجزاء فى الدنيا والآخرة ، وقد حدد الاسلام تكاليفه ، ووضع لأعمال الانسان الأحكام الشرعية المتصلة بأدلتها التفصيلية ، وبذلك صار المسلم مسئولا عن سائر عمله سواء صدر من قبله أو من لسانه ، أو من جوارحه.

والمسئولية لها أطراف ثلاثة :

ــ **السائل** : وهو السلطة العليا التى تملك حق المحاسبة والجزاء .

ــ **المسئول** : وهو الشخص المنوط به عمل معين . فهو محاسب على أدائه وعمله .

ــ **موضوع المساءلة** : وهو العمل الذى كلف به الانسان وصار مسئولا عنه .

والاعلام الاسلامى يعتمد المسئولية الشرعية كخاصية تميزه عن غيره ومعناها أن **رجل الاعلام** يعد مسئولا عن رسائله التى يعدها ويوجهها للجمهور المتلقى ، عليه أن لا يخرج بها عن الاطار الاسلامى ، فهو مثاب ان التزم حدود دينه وشريعته ، وهو كذلك معاقب ان عصى الله واعتدى على ما حدد له من نظم ، وموضوع المساءلة هى تعاليم الاسلام ، ونظمه ، والدعوة وجزاء هذه المسئولية يكون فى الدنيا والآخرة . فلقد شرع الله العقوبات الشرعية من قصاص ، وحدود ، وتعازير ، لتستقيم أمور الحياة

على الخير والسلام ، والخليفة أو الوالى يقيم شرع الله على من اعتــدى وبغى بالكذب ، أو بسب الناس ، أو بالقذف والشتم ، أو بنشر الفاحشـــة واثارة الغرائز بالمحــرم • كل ذلك معاقب فى شرع الله تعالى ، ورجــل الاعــلام مسئول عن رسائله وعليه أن يلتزم روح الاســلام وحقيقته وبخاصـــة أنه قـــوى الأثــر فى الناس •

لقد حرم اللــه الفحش والتفحش ، وأمــر بستر العــورة وغض البصر ، وعــدم الاختلاط ونهى عن الكذب وقول الزور ، وحـــرم موالاة الظالمين والبغـــاة ، وحث على الأمــر بالعــدل والاحسان ، ووجه نحو الرشـــد والوضـــوح ، وكل تلك قضـــــايا بـــارزة فى اطار مسئوليـــة رجل الاعـــلام فى الاسلام •

وحين يستشعر المسلم حدود مسئوليته يمتلىء قلبـــه بالخوف من الله ، ويحاسب نفسه عن كل نشاطهـــا ، ويصدق فى كل حركته ليفوز فى أخراه بالجنة ورضوان الله تعالى •

ان حدود المسئولية فى الاسلام مرتبطة بالجزاء الالهى ، والانسان مسئول عمـــا كلف به من قـــول أو عمـــل ، يقـــول الله تعالى :

ـ « ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » (١) •

ـ « وأوفوا بالعهــد ان العهــد كان مسئولا » (٢) •

ـ « فلنســألن الذين أرســل اليهم ولنسألن المرسلين » (٣) •

ـ « كل نفس بمــا كسبت رهينة » (٤) •

---

(١) سورة الاسراء آية ٣٦ •
(٢) سورة الاسراء آية ٣٤ •
(٣) سورة الاعراف آية ٦ •
(٤) سورة المدثر آية ٣٨ •

— « وقفوهم انهم مسئولون » (١) ٠

— « كل امرىء بما كسب رهين » (٢) ٠

— « وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » (٣) ٠

— « فمن يعمـــل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمـــل مثقال ذرة شرا يره » (٤) ٠

وهذه الآيـــات وغيرها كثير توضح بجـــلاء أن الانســـان مســـئول عن كل أعماله ، وسائله هو الله تعالى ، والدنيـــا كلهـــــا لا تساوى عند الله جنـــاح بعوضة ، ولا تقدر بلحظـــة فـــوز فى الاخـــرة ، وكلنـــا سيموت ، ولحظـــة السؤال آتية ، والعاقل هو الذى يستعد لمـــا بعـــد الموت ، حيث لا ينجيه الا عملـــه الصـــالح ، واستقامته على منهج الله تعالى ، والله سبحانه وتعالى محيط بالانســـان عليم بكل عمله وان كان خافيـــا مستورا ٠

ورجل الاعـــلام الاسلامى ليس كغيره من الاعلاميين الذين يعملون على ارضـــاء الناس باغضاب الله ، ويجعلون همهم وأملهم كسبا ما ليا ، أوجاهـــا دنيويا ، أو غرضـــا زائلا ، أو شهرة زائفـــة بين غير المؤمنين ٠

ان رجل الاعـــلام المســـلم يعمـــل على ارضـــاء ربه ويرجو ثوابه فى الدنيـــا وفى الآخرة ٠

ان الحيـــاة الدنيـــا وســـائر ما يلابســـها من لذائذ وآلام ، ومن متاع وحرمان ليست هى القيمـــة الكبرى فى الميزان ، وليســـــت هـــى

---

(١) سورة الصافات آية ٢٤ ٠
(٢) سورة الطور آية ٢١ ٠
(٣) سورة الزخرف آية ٤٤ ٠
(٤) سورة الزالزلة آية ٧ ، ٨ ٠

السلعة التى تقرر حساب الربح والخسارة ، ان القيمة الكبرى فى ميزان الحق هى العقيدة ، وان السلعة الرائجة عند الله هى الايمان ، وان النصر العالى هو انتصار الايمان وطاعة الله تعالى ، والفوز الحقيقى هو ما يكون فى الآخره بدخول الجنة بعد يسر الحساب ٠

وعلى الغافلين عن طاعة الله أن يعلموا أن الله مطلع عليهم ، وسوف يجازيهم عليها ، ولن يغفل عنهم أبدا ٠ يقول الله تعالى :

ـ « ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعى رءوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء » (١) ٠

ـ « فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون يوم يخرجون من الاحداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون » (٢) ٠

نعم ٠٠٠٠٠٠٠

نعم ٠٠٠٠٠٠٠

الله مطلع على عباده ، محيط بهم ، خبير بأعمالهم ، وهو سبحانه يمهل ولا يهمل ، ولذلك يؤخر جزاء الظالمين ليوم القيامة ، حيث يحشرهم أذلاء ، صاغرين ، ضعفاء ، ويقال لهم ذوقوا ما كنتم تعملون ٠

ان المطيعين لله أجراء عند ربهم ، وعملهم هو العبادة كما أراد ، وأجرتهم تأتيهم على دفعات ٠

---

(١) سورة ابراهيم آية ٤٢ ، ٤٣ ٠

(٢) سورة المعارج آية ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ٠

الدفعه الأولى طمأنينة فى القلب وشـــعور بالأمن والهدوء ٠

والدفعـــة الثانيــة ثنــــاء الملأ الاعلى وكل هذا وهم فى الدنيـــا ٠

أمـــا فى الآخرة فتأتيهم دفعة رائعـــة وهى الحســـاب اليســـــير والنعيم المقيم ٠ ولهم مع كل دفعة رضوان من الله اكبـــر ، انهم بطاعتهم ســـعداء وهم يثقون فى قول الله تعالى :

— « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعـــــل لهم الرحمن ودا » (١) ٠

— « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكـــر الله الا بذكر اللـــــــه تطمئن القلوب » (٢) ٠

— « ان الذين آمنـــوا وعملوا الصالحـــات كـــانت لهم جنـــــات الفردوس نزلا خالدين فيهـــا لا يبغون عنها حولا » (٣) ٠

— « ان الذين امنوا وعملوا الصـــالحـــات لهم جنـــات تجــــرى من تحتهـــا الانهار ذلك الفوز الكبير » (٤) ٠

— « ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين » (٥) ٠

هذه هى المسئولية الاســـلاميـــة للنـــاس ، وبخاصـــة الاعلاميين منهم ، وعلى كل ان ينظـــر لنفســـه وهو يعلم ٠

أن المسئولية فى تطبيقـــات الاســـلام ٠

والمحاســـب هو الله ، وولاة الأمـــر فى الناس ٠

والجزاء دنيوى وأخروى ٠

---

(١) سورة مريم آية ٩٦ ٠

(٢) سورة الرعد آية ٢٨ ٠

(٣) سورة الكهف آية ١٠٧ ، ١٠٨ ٠

(٤) سورة البروج آية ١١ ٠

(٥) سورة آل عمران آية ١٣٩ ٠

الخاصية الثالثة

« العــالميــة »

الاعــلام الاســلامى عالمى فى توجيهــه ، وهدفه . لأنــه يحمل رسالة الاسلام التى يجب أن تصــل لكل فــرد فى الوجــود ، والناس جميعــا هم أمــة الدعــوة التى يجب ان تصــلهم الدعـــوة عــلى وجههـــا الصحيح .

وهذه العالميـــة كخاصية للاعــلام الاســلامى تعنى أن الاعــلام فى الاسلام موجه لكل فرد ، فان كان مسلما فالتوجه يذكــره ، يقـــول الله تعالى : **« وذكــر فان الذكرى تنفــع المؤمنين »** (١) ويقول سبحانه: **« انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم أيمانا وعلى ربهم يتوكلون »** (٢) واذا لم يكن مسلمــا فالواجب أن يعرف الاسلام بينا واضحا ليدخــل فيه **« لئلا يكون للنــاس على الله حجة بعــد الرســل** (٣) ويقول تعالى **« وما كنــا معذبين حتى نبعث رسولا »** (٤) .

ولتحقيق عالمية الاعــلام الاسلامى تعددت وســائله ، وكثــرت صوره ، ليأتى شاملا لكل الناس .

والرسول صلى الله عليه وسلم وجه دعوته للعالم كله بوســائل متعددة حيث ارســل الرسل والرســائل ، وانتقل الى الناس ، واستقبل

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٥ .
(٢) سورة الأنفــال آية ٢ .
(٣) سورة النســاء آية ١٦٥ .
(٤) سورة الأسراء آية ٢٥ .

الوفود ، وأقــام العديد من الصلات مــع المسلمين ، ومــــــع غيرهم وذلك لكل يبلغ الاسلام الى الجميــع •

وبنــاء على هذه الحقيقة فان الاعــلام الاسلامى يجب أن يكون بعيدا عن العصبية ، وعن الاعتزاز بالشعوبية والقومية العرقية •

وعلى رجال الاعــلام ان يستفيدوا من منطق القرآن الكريم فى الخطــاب حيث كثــر فيه مناداة النـــاس جميعـــا ، ومناداة المؤمنين من غير ربطهم بشعب أو بأرض • لأن رابطـــة الدين أقوى وأنفـــع ، وايجــاد الانســان الصــالح ، والجماعــة المستقيمــة هى هـــدف التوجيه الاعــلامى ، والمؤمن أخ المؤمن ولو كــان أحدهمــا فى غــرب الدنيــا والآخر فى شرقهــا ، بلا تفرقــة بسبب اللون أو الجنس يقول الله تعالى : « **انما المؤمنون اخوة** » (١) •

ومن ســمات عالميــة الاعــلام الاسلامى أنه لا يعــرف الخبر السرى ولا نصف السرى ، ويراد بالخبر السرى ما يكون بين شــخصين أو بين عدد محدود معروفين باشخاصهم لا يتجاوزه الى غيرهم ، ويراد بالخبر نصف السرى ما ينشر بين الصفوه والقادة المعروفين بوظائفهم مع حجبة عن عامــة الناس (٢) •

الاسلام لا يعرف ذلك ، واعلامه علنى للنــاس جميعــا ، يقول الله تعالى —« **قل يا أيهــا الناس انى رسول الله اليكم جميعاً** » (٢) •

ويقول سبحانه « **ان الذين يكتمون ما أنزلنــا من البينــات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** »(٣) وهذه العلنية فى الاعــلام أمــر مرتبط بطبيعة الاســـلام نفســه ، فما دام هو دين الناس جميعــا ، وواجب أن يعرفه الجميــع ، ومعرفته

---

(١) سورة الحجرات آية ١٠ •
(٢) سورة الاعراف آية ١٥٨ •
(٣) سورة البقرة ١٥٩ •

تكون بلاغـا بينا واضحـا ، وكونه مجموعـة من المعـارف يحتم علنيته ليستفيد الجميـع به كمـا هو الواجب •

ان الله خالق الكون كله ، وهو خالق الانسـان ليكون خليفة فى الأرض ، يعمرها ، ويوجه نشـاطهـا نحو العبوديـة للـه فقـط ، بمنهج الله فقط ، وحينئذ يتسـاوى جميـع خلق الله فى المسئولية ، ويكون الناس جميـع الناس محل اهتمـام الاعـلام فى المجتمـع الاسلامى •

والاسلام الذى يحمله الاعـلام لا يتغير الزمان ، والمكـان ، والناس ، وانمـا هو ثابت فى مصادره ، خالد ما بقيت الحياة الدنيـا ، ويجب ان نأخذ من منهج القرآن منهجـا لمخاطبة الناس أجمعين ، لقـد خاطب القرآن الكريم فطرة الانسان بمـا فى وجوده هو ، وبمـا فى الوجود حوله من دلائل وايحاءات ، كان يستنقذ فطرته من الركام ، ويخلص فيه أجهزة الاستقبال الفطـرية مماران عليهـا لتتلقى الموحيات المؤثـرة ، وتستجيب لهـا •

الخاصية الرابعة

تكريم الانســـان

الانســـان هو هـــدف الاعـــلام ، حيث تقصـــد الرســـالة الى التأثير فيه ، وتوجيهه نحو غاية مقصودة •

ويتميز الاعـــلام الاسلامى بأنه يعمـــل على تكريم الانســـان من عدة زوايـــا •

فهو — أولا — يعمل على المحافظة على حاجاته ، وضروراته حيث ينادى بمـــا يحفظ الدين ، والنفس ، والمال ، والعقـــل ، والنسل ، لأن الانسان يحتاج الى هذه الجوانب ولا يتصور أمن وطمأنينة للانسان بغير هذه الضرورات ، أو بغير بعضها •

ولذلك ليس من الاسلام اعلام يسخر من الدين وتعاليمه ، ويصور التدين أمـــام الناس بصورة منفرة •

وليس من الاســـلام اعـــلام يهزأ بالانســـان ، ويعرضه للمخـــاطر ويشجع على العدوان على بعض الناس بلا جريرة أو غاية مشروعة •

وليس من الاســـلام اعـــلام لا يصون حرمة المـــال ويدعـــو الى أخذ أموال الناس بالباطل •

وليس من الاســـلام اعلام يثير شـــهوة الجنس ، ويهيج العواطف ، ويسىء الى العقول ، ويـــدفـــع النشىء الى الفساد ، ويزرع فى الابنـــاء القيم المـــادية ، والمبادىء الهابطة •

وليس من الاســـلام اعـــلام ينشر الرذيلة ، ويبتعـــد عن الفضيلة، ويدعـــو الى الضيـــاع والفوضى •

ان ذلك ليس من الاســـلام ، وهو مرفوض كذلك فى عرف العقـــلاء الفاهمين ٠

ان الاعـــلام الاسلامى ينادى بالخير . ويحافظ على الضرورات البشريـــة بالكلمة المجردة ، وبالتمثيليـــة المذاعـــة ، وبالقدوة عند المرسل الذى يعد الرسائل ويرسلها للناس ٠

والاعلام ٠

ثانيـــا ــ يكـــرم الانســـان باباحـــــه التملك أمامـــه ، فمن حـــق اى انســـان أن يملك من وســـائل الاعـــلام ما يشـــاء ٠ مادام يؤدى حقه ، ويوظفه فى الحلال المشروع والمسلم حين يملك وســـيلة اعلامية كصحيفـــة مثلا عليه ان يحافظ على حقوق العاملين الماليـــة والأدبية ، وعليه أن يحافظ على حق المجتمـــع الاسلامى بتدعيم قيمـــه الخـــيرة ، والمســـاهمـــة فى الأهـــــداف الاســـــلامية النبيلة ٠ ولـــه حينئذ أن يملك ما يشـــاء ٠

ان الكلمـــة أمانة يجب صـــيانتهـــا من الهوى والضلال ٠

والاعـــلام الاسلامى ثالثا :يكرم الانســـان بفتح باب الحـــــوار أمامه ليتمكن من الوصول للحق والصواب ، والواقـــع أن الحوار هـــــو أسلم الســـبل لتحقيق حياة صحية سليمـــة بين الناس ، لأنهم بالحـــوار ينشطون ملكـــات الفكـــر والعقل ، ويتمكنون من الاقتنـــاع واليقين ٠

ولذلك كثـــر الحوار فى القرآن الكريم حيث أتى على صـــــورة سؤال وجواب ، أو فى اطار قصة ، وحكاية ، أو على غير هاتين الصورتين ، وذلك ليتعلم الناس منهج الوصول للحق والصواب ٠

والاعـــلام الاسلامى ــ رابعـــا ــ يكـــرم الانســـان بمنهـــــج واقعى حيث يوجه حيـــاة الناس بوســـائل مكافئة لواقعهم ، فهـــــو لا يدعو الى المثاليـــة الخياليـــة ، وانمـــا يبش مـــع واقـــع الانســـان وطبيعته ، ومن ثـــم يخاطبه بلغتـــه وعلى قدر طاقتـــه ، ومن واقعية الاعـــلام فى الاســـلام التزامه منهجـــا فنيـــا ، مؤثرا ، يقـــوم عـــلى

اليسر ورفـــع الحرج ، والتدرج فى التربيــة والتكوين ويتعامــل مـــع كل طائفـــة بمستواهـــا النفسى ، والخلقى ، والثقـــافى •••• ومـــع ذلك لا يخـــرج بشىء من رســـائله عن قـــواعد الدين المحددة • ونظامه المشروع •

والاعلام الاسلامى — **خامســا** — يكرم الانســـان بضمان حرية ارادته • واختياره ، فهو يخاطبه بالحسنى ، ويدعـــوه بالرفق ويناديه بالمعروف ويقول له كما قال تعالى :

— **« فمن شـــاء فليؤمن ومن شـــاء فليكفر » (١) •**

وكل ما يقوم به الاعـــلام الاسلامى أنه يعرف بالحق ، ويدعو الى الصواب ، ويبينه ، ويشرح الأضرار والأخطـــار التى تترتب على عـــدم الايمان ، ويحاول اقنـــاع الانســـان بالايمـــان لتحقيق مصلحته عن طريق ضرب الامثال ، وايراد القصص ، وغير ذلك ••

والاعلام الاسلامى — **سادسا** — يكرم الانسان باحترام ملكـــــة العقل فيه • حيث يخاطبه برسائل مفهومة تحتـــاج الى التعقل الحـــــر والادراك الواعى • ولذلك يخلو الاعلام الاســـلامى من الخداع والمبالغة والا كاذيب ، والاثارة ، وهذا تكريم للعقل وطاقاته •

وهكذا يتميز الاعـــلام الاسلامى بتكريم الناس •

---

(١) سورة الكهف آية ٢٩ •

الخاصية الخامسة

التمسك بمكارم الاخلاق

ينادى الاســلام بأن يقــوم اعلامه على الخلق الكريم ، ولا يسمح لصوت أن يكون بذيئا معتديــا على أحــد • ولذلك كانت مكارم الاخــلاق احدى مزايــا الاعلام الاسلامى •

ومكارم الاخلاق تعنى صورا عديدة من الســلوكيــات التى نــادى القرآن الكريم بها ، وضبط بها حركة الكلمة فى الاسلام • ومن أهــم ملامح أخلاقيات الكلمــة ما يلى :

(أ) التعبير الحسن الجميل الذى يجذب القلوب ، ويرضى العواطف ويقنــع الانســان بقول الله تعالى :

ـ « وقولوا للنــاس حســنا » (١) •

ـ « واغضض من صوتك » (٢) •

ـ « ادفــع بالتى هى احسن » (٣) •

ـ « ولا تجادلوا أهــل الكتــاب الا بالتى هى احسن » (٤) •

ان التعبير الحسن خير وسيلة للتأثير ، لأن الانســان بصورة عامة يقدر كل من يراعى حقه الآدمى ويعامله بالرفق واللين •

(ب) الالتزام بالصدق وقول الحقيقة لأن ذلك أســاس الثقة وسبب الاقبــال من الجمهور • يقول الله تعالى :

---

(١) سورة البقرة آية ٨٣ •
(٢) سورة لقمان آية ١٩ •
(٣) سورة فصلت آية ٣٤ •
(٤) سورة العنكبوت آية ٤٦ •

— « وان تصدقوا خير لكم » (١) ٠

— « والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون » (٢) ٠

— « واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » (٣) ٠

وهذه الآيات تنادى بالصدق ، وتحتمة ليكون سـمة المسـلمين بصورة عامـة ، وسمة الاعـلام الاسلامى بصورة خاصـة ٠

(جـ) العفو وعـدم مقابلة السيئة بأخرى يقـول الله تعالى :

— « خذ العفو وأمـر بالعرف واعرض عن الجاهلين » (٤) ٠

— « وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفـر الله لكم » (٥) ٠

— « لا يحب الله الجهـر بالسوء من القول الا من ظلم » (٦) ٠

— « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سـلاما » (٧) ٠

— واذا ما غضبواهم يغفرون » (٨) ٠

ان خلق التسامح يجعل الاعـلام ملتزما ، مؤثـرا ، بعيـدا عن العدوان والشتم والسباب ٠

وهكذا يتميز الاعـلام الاسلامى بالتزامه الخلق السـليم ودائما يقوم الخلق بدور البنـاء والرشـاد ٠

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٠ ٠
(٢) سورة الزمر آية ٣٣ ٠
(٣) سورة الانعـام آية ١٥٢ ٠
(٤) سورة الاعراف آية ١٩٩ ٠
(٥) سورة النور آية ٢٢ ٠
(٦) سورة النساء آية ١٤٨ ٠
(٧) سورة الفرقان آية ٦٣ ٠
(٨) سورة الشورى آية ٣٧ ٠

ان هذه الخصـــائص للاعـــلام الاسلامى تبرز بعض القضـــايـــا المتصلة بالاعـــلام ومن أهمهـــا :

أولا : السلطـــة فى الاعـــلام الاسلامى هى لله • منه تؤخـــــــذ الملامح ، ويتحدد الطريق ، ويعـــرف الموضـوع والهـــدف •

ثانيـــا :حرية الانســـان فى مجـــال الاعـــلام الاسلامى مرتبطـــة بحق الله وحق الناس فى حدود العـــدل ، والتعـــاون ، والاحســـان •

ثالثا : المســـئولية فى الاعـــلام الاســـلامى دينيـــة ويقع جزاؤها فى الدنيـــا والآخره •

رابعـــا : انســـانيـــة الاعـــلام الاسلامى امر واضـــح فلا خضوع لمذهب ، ولا اذلال لفـــرد وانمـــا الطاعـــة فيه لله رب العالمين •

خامســـا : ألاسلام عالمى النزعة والهدف والانتشـــار ، وعلى الاعلام الاسلامى أن يتجه الى كل الناس بالمنهج الربانى القويم •

سادسا : الاعـــلام الاسلامى ملتزم بالخلق الاســـلامى الذى يكرم الانســـان والحيـــاة •

❋ ❋ ❋

الفصل الثالث

الاتصال والاعلام فى القرآن الكريم

١ ــ تعريف الاتصــال ·

٢ ــ تعريف الاعــلام ·

٣ ــ بيان صلة الاعــلام بالاتصــال ·

٤ ــ توضيح اهتمام القرآن الكريم بالاعلام
والاتصــال ·

« الاعلام والاتصال »

وبيان مـــدى اهتمام القرآن بهما

يغلب فى لغة أبحـــاث الاعـــلام استعمال مصطلحى « الاعـــلام والاتصـــال » بمعنى واحـــد ، أو بمعنيين مختلفين ، ونظرا لمـــا بـــين المصطلحين من صلة وثيقة حيث أن الاتصـــال أساس للاعـــلام بسعه وغيره ، وحيث أن الانســـان منذ وجوده عاش فى بدائيته مستفيدا بصور الاتصـــال والاعـــلام على منهجه الذى عاش به ، نظرا لذلك قمت بعمـــل دراســـة موجزة عن الاعـــلام وعن الاتصـــال وذلك لبيـــان المـــراد بكل منهمـــا وتوضيح الصلة بينهمـــا . وشرح موقف القرآن الكريم منهما ، ولذلك جاء هـــذا الفصـــل مشتملا على المباحث التالية :

المبحث الأول : تعريف الاتصـــال .

المبحث الثانى : تعريف الاعـــلام .

المبحث الثالث : بيان الصلة بين الاعـــلام والاتصـــال .

المبحث الرابع : توضيح موقف القرآن الكريم من الاعـــــلام والاتصال .

وذلك فيمـــا يلى بنفس الترتيب :

« تعريف الاتصــال »

الاتصــال بصورة عامة يعنى التلاقى ، فهو يشير الى طرفين كـل منهمــا لاقى الثانى ، بمجهود من كليهمــا أو من أحدهمــا ، أو من خارج عنهمــا ، ذلك أن سعى شخصين للتقابـل يعـد اتصــالا ، كمـا أن مجىء احدهمــا للثانى هو اتصــال أيضــا ، وكذلـك يقال بـين شاطئى النهر اتصــال ، ويقال : بين الوالد وولده اتصــال روحى ونسبى .

والاتصــال يكون فى المحسوسات والمعانى ، ويكون بين العقلاء وبين غيرهم ، ويتم بقصــد وبدون قصــد .

جاء فى كتب اللغة : أن وصــل بمعنى اتصــل ومنه وصل الثوب والخف ، ويقال بينهما وصلة أى اتصــال وذريعــة (١) ، وفى الحــديث جاء قوله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله الواصلة » (٢) وهى التى تصــل الشعر المستعار بشعرهــا الأصلى ، ومنه — صلة الرحــم وهى فعل ما يقرب بين الاقارب ، والتواصــل ضــد التصارم والتخاصم ومنه الوصــال فى الصوم وهو المنهى عنه .

والاتصــال بمدلوله اللغوى تتعــدد استعمالاته وتكثر وتظهــر فى مختلف العلوم وجميع أنواع الانشطة ، ولا يتوقف على نشــاط الكائن الحى وحــده ، فالنبات متصــل بالأرض ، والحيوان متصــل بالبيئة ، والحركة متصلة بسببهــا ، وغاياتهــا ، وكل شىء له صــلة بشىء آخر فهو يتصل به وهكذا .

ولم يبق الاتصــال على دلالته اللغوية العامة عند العلماء الذين جعلوا الاتصــال علمــا لــه مجاله ، وموضوعه ، وهدفه ، لأن هؤلاء

---

(١) انظر كتب اللغة — الصحاح ، لسـان العرب ، تاج العروس .
(٢) صحيح البخارى ج ١٠ ص ٣٧٤ - باب الوصــل فى الشعر .

جعلـــوه علمـا يساهم بدوره فى الدراســات الانسانية ، ويتميــز بخصـائصهـا الأساســية • وأقاموا التجارب ، واستنبطوا النتائج ، ووضعوا النظريــات فى مجـال الاتصالات الانسانية •

يقول جورج ميد : « ان عملية الاتصـــال لا يمكن أن تتحقق وتحدث فى حـــد ذاتهـا ، ولكنهـا تحدث كافتراض أساسى للعملية الاجتماعية ، وفى مقابل ذلك تعــد العملية الاجتماعية افتراضا أساسيا للاتصال »(١)•

وهو بهذا الكلام يشير الى التبادل الموجود بين الاتصال والانسان، فلا اتصـــال بلا انسان ، ولا نشــاط للانسان بلا اتصال ••

ان الانسان مدنى بطبعه فهو يحتاج لغيره ، كمـا أن غيره يحتاج اليه ، وتلك جبلة راسخة فى نفسه وسلوكه ، وقد سخر الله سبحانه وتعالى العديد مما خلق له ، وجعله خليفة فى الأرض ، يسكنهـا ، ويعمرها ، ويعيش فيهـا ، ولا يتم له ذلك الا بعــدد من العمليــات الاجتماعيـــة وأهمهـا الاتصـــال •

أن الحياة البشرية تعاون يؤدى الى التكيف والاتفــاق ، أو تنافس يؤدى الى الصراع والتسابق ، ولا يتصور واحـــد من هـــذا الا بالاتصال الذى هو أساس النشاط البشرى •

وهناك نوع من الاتصـــال ينبغى التنبه لـــه وهو الاتصـــال الذى يتم داخل الفرد بمعنى أن يقيم الفــرد داخل نفســه موقفـا فكريا يتفاعل معه ، ويتأثــر به • وبذلك تتحدد صور الاتصال بشريا فيما يلى :

١ ــ الاتصـــال الذى يدور فى داخل النفس •

---

(١) وسائل وأساليب الاتصال ص ١١ • ومن الجدير بالذكر أن ما حدث من خوارق العادات مع رسل الله عليهم السلام كخطاب الهدهد لسليمان عليه السلام ونطق الحجر والشاة المسمومة لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وحنين الجذع له عليه السلام لا يصح اعتبار ذلك عمليات اتصـالية اصطلاحية نظرا لواقعها وحقيقتها ، وان كان لا يمنع أن نستفيد بما فيها من دلالات •

٢ ــ الاتصـــال وجهـــا لوجه بين شخصين أو طرفين •

٣ ــ الاتصـــال عن طريق وسيط أو وسيلة •

عن طريق احدى هذه الصور يحدث الاتصـــال فى مجال التعليم أو الاجتماع ، أو الادارة ، أو الدعوة ، أو الاعـــلام ، أو الخـــدمـــة الاجتماعية ، أو الامـــر بالمعروف والنهى عن المنكـــر • أو غير ذلـــك من الانشـــطة الانســـانية المنظمة وهى كثيرة ولا نهاية لهـــا •

وقد أدت استعمالات الاتصـــال فى الدراســـات المختلفة الى تعدد تعريفاته الاصـــطلاحية • لأنه فى كل علم يرتبط بموضوعه •

فهو فى الاجتماع : « عملية تفاعل بين طرفين بشريين حول فكـــرة ما تكون مجالا مشتركـــا بينهما » •

وهو فى النفس « تأثر داخلى بأمـــر خارجى يثير الانسان ويدفعه لسلوك ما » •

وهو فى التربية : « توجه منهجى من طرف لآخـــر قصـــد احـــداث تغيير معرفى وثقافى وسلوكى » •

وهو فى الادارة : « توجه الى الغير لتنظيم العمـــل وتسيير النشاط»

وهو فى الدعـــوة : « اتصال بالغير قصـــد اقناعه بالخير وادخالـــه فى دين الله تعالى » •

وهو فى الاعـــلام : « بث رسائل للجماهير عن طريق الوســـائـــل المعـــدة لذلك » •

وهكذا يختلف مفهوم الاتصـــال باختلاف العلوم • الا أنه فى كـــل مفاهيمه يتضمن العناصر التالية :

(أ) وجود **رسالة** مصاغة فى كلمات أو رموز معينة بحيث يسهل على من توجه اليه أن يفهمها • ويتفـــاعل مـــع معانيهـــا •

(ب) وجود طرف يقوم بتوجيه الرسالة وايصالها الى من تقصده وهـو « **المرسـل** » .

(جـ) وجود طرف أو أطراف يستقبل هذه الرسالة ويستفيد بها ، وهو « **المستقبل** » . أو « **المتلقى** » .

(د) وجود وسيلة تكون أداة حاملة للرسالة ونقلها من المرسـل الى المستقبل والرسائل عديدة ومتنوعة ، وهى أساس تطـور العملية الاتصـاليـة .

(هـ) حدوث أثـر عند المستقبل للرسالة له رد فعل وهـو المعروف برجع الصدى .

هذا ويمكن فى العملية الاتصالية أن يحدث تبادل موقف بين المرسل والمستقبل نتيجـة للتفاعل والمشـاركة التى يبديها المستقبـل والمرسـل معـا ومن السـهل تصور هـذا التبادل فى الاتصال الهاتفى أو فى المحادثة بين شخصين .

وعلى ضوء هذه العناصر يمكن وضع تعريف للاتصـال يشـمل كل أنواعه به يكون الاتصـال هـو « **العمليات الاجتماعية المخططة وغير المخططة التى يحدث خلالها أو بسببهـا تلاق بين طرفين يـؤدى الى تأثر فى الاتجاهـات أو السلوك أو المعارف أو فيهـا جميعـا** » .

تقول الدكتورة جيهان روشتى : « واصطلاح الاتصـال يشير الى جوانب عديدة للسلوك الاجتماعى . ويؤكد مقدرة الانسـان على ارسـال وتلقى رسائل بطرق لا حصر لها ، انه القوة الدافعة فى العلاقات البشرية ان الاتصـال يتخلل الظروف الاجتماعية المحيطة بنا وهو أسـاس الحياة الاجتماعية . لذلك فأى علم يهتم بالمجتمع البشرى أو السلوك الانسانى يجب أن يهتم بالضرورة بعملية الاتصـال » (١) .

---

(١) الاسس العلمية لنظريات الاعلام ص ٥٥ .

هذا وقـد تناول القرآن الكريم الاتصـال ومشتقاته فى آياتـه وأفـاد عددا من المعانى :

يقول الله تعـالى : « ولقـد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون » (١) والتوصيل المراد هو اتيان بيـان بعـد بيان آخـر • وهكذا ، وهـو من وصـل البعض بالبعض ، وأصلها من وصل الحبال بعضها ببعض (٢)

وهذا القول المتصـل بعضه ببعض يحتمـل أن يكون المراد منه كل القرآن الكريم نزلت آياته منجمة بعضهـا فى اثر بعض لتكـون أبلغ فى هداية الانسان ، وتذكيره ، والتأثير فيه ، ويحتمل أن يكون المراد منه تتابـع الفوائـد والعظات مـع نزول القـرآن الكريم ليسـتمر فى توجيه الانسـان ودعوته الى الخير •

ويحتمل أن يكون المراد منه أخبار الأنبياء ، وأخبار الكفـار التى جاءت كثيرة ومتتابعـة تكثيرا لمواضع الانزجار والاتعاظ (٣) •

ويحتمـل أن يكون المراد اتصـال خبر الآخـرة بخبر الدنيا (٤) •

ويحتمل أن يكون المراد منه تواصـل اثبات اعجاز القرآن الكريم وصدقه • مرة بعد مرة (٥) •

وليس هناك ما يمنع من ارادة كل هذه المعانى اذ لا تعارض بينها •

والآية نزلت ردا على من قال : هلا أوتى القرآن جملة واحدة حيث أشارت الى أن الحكمـة الالهية اقتضت نزوله منجمـا لمـا فيه من فائدة ومصلحة •

---

(١) سورة القصص آية : ٥١ •
(٢) تفسير القرطبى جـ ١٣ ص ٢٩٥ •
(٣) تفسير الرازى جـ ٢٣ ص ٢٦٢ •
(٤) تفسير القرطبى جـ ١٣ ص ٢٩٥ •
(٥) تفسير الرازى جـ ٢٣ ص ٢٦٢ •

والآية تؤكـد كذلك وجود اتصال بين الآيات في توجيهها للناس وهو فن في الدعوة الى الله يقتضى تجزئه الحديث وتكراره ، والتأكيد عليه ، فهو اتصـال بالناس على نحو معين ليتذكروا ، ويؤمنوا ، ويستقيموا ، ويكونوا عبادا لله مخلصين •

ان القرآن الكريم بنزوله على النحو الذى نزل به يقصـد عـددا من الفوائـد أهمهـا ايجاد تفاعـلات بشرية حول معانى القرآن الكريم تؤدى الى الرشاد والهدى وتحريك النفوس نحو الخير والاستقامة وبذلك فهو اتصـال بالبشر على صورة بناءة مفيدة •

ويقـول الله تعـالى : « والذين يصلون ما أمـر الله بـه أن يوصـل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب » (١) •

والآية تتضمن بعض صفـات أولى الألباب الذين آمنوا بـأن الحق هو ما أنزله الله تعالى على رسول الله محمـد صلى الله عليه وسلم ولذلك أخلصوا له واتبعوه •

ومن صفات هؤلاء أنهم يقيمون صلة وتلاقيـا حسـنا مـع ما أمر الله به أن يوصـل ، وعلى رأسـه صلة الرحم ومؤازرة رسـول الله صلى اللـه عليه وسلم ونصرته فى الجهـاد ورعاية جميع الحقـوق الواجبة للعباد شرعـا فيدخل فيه ما سبق وغيره كايصـال الخيرات ، ودفـع الآفات بقدر الامكان ، وعيادة المريض ، وشهود الجنائز ، وافشـاء السلام على الناس ، والتبسم فى وجوههم ، وكف الأذى عنهم •

وحاصل الصلة أنها تتضمن الشفقة بخلق الله تعالى •

(١) سورة الرعـد آية (٢١) •

ومن صفاتهم أيضـا أنهم يخشون ربهم اذ يخافون من وقـــوع زيــادة أو نقصــان فى عبادتهم كمـا يخافون جـلال الله ويهابونــه ويعظمونه ويخافون يوم الحساب (١) .

والآية تشير الى الصله التى يقيمها الانسان مع الخلق والخـالق سبحانه وتعالى ، وهو اتصـال شـامل لكل صوره المتوقعـة ، فيكون اتصـالا حسيا ، ويكون اتصالا معنويـا ، ويكون اتصالا تأمليـا فى داخل الذات .

وفى القرآن الكريم آيات أخـرى تورد الوصـل ومشتقاته مفيدة ما ذكرنـا من معنى (٢) .

وبالنظـر فى الآيات القرآنية نرى الاتصـال مستكملا لعناصره الأساسية فهو دائمـا بين مصدر ومستقبل . ينتقل بينهمـا موضوع ما، عبر وسيلة معينة ، وله أثـره المقصود ، وفوائده الواضحـة ، وهكذا تدل الآيات القرآنية على مفهوم الاتصال بصورة عامة .

وقـد تناول القرآن فى قصـه لحكايات الأمم الماضيـة صورا لعدد من ألوان الاتصـال تنطق بطبيعة النفوس ، وتصور اتجاهـات العقول ، وتبرز أثـر الجزاء على سلوك الانسان وعمله ، مما يجعلنـا نأخذ هذا القصص ليكون ضوءا لاسس الاتصـال ومبادئه .

هذا . وقد درج العلماء على الاعتماد لفهم عملية الاتصـال على ما يعـرف بـ « نموذج الاتصـال » وهو يعنى تصور وضع اتصال انسانى ثابت ودراسـة أوضاعه وظروفه لاستنتاج السلوك الذى يتبعه، والتنبؤ بنتائج مثـل هذا الوضع مستقبلا (٣) .

---

(١) تفسير الفخر الرازى ج ١٩ ص ٤٣ .

(٢) انظر الآيات ٧٠ ، ٨١ من سورة هود ١٣٦ الانعـام ، ٩٠ النساء ، ٣٥ ، ٥١ القصص .

(٣) الأسس العلمية لنظريات الاعلام من ص ٧٠ الى ص ٨٢ بتصرف .

وقد ذكر علماء الاتصال أن هذا المنهج فى دراستهم يوصل الى بعض القصور فى النتائج تبعا لوجود بعض العيوب فى النماذج وأهم هذه العيوب ما يلى :

١ — تجميد عملية الاتصال يؤدى الى فقدان التفاعل والنشاط بين العناصر الموجودة فى العملية الجامدة ، مع أن هذا التفاعل هو العامل الرئيسى فى ظهور العملية الاتصالية ، ونتائجها •

٢ — النماذج لا تلتزم باظهار العناصر المطلوبة فالمتغيرات الهامة قد لا تظهر فى النموذج ، وقد تظهر متغيرات أخرى غير هامة • وبعض النماذج يبسط الصورة أكثر من اللازم ، والبعض الآخر يعقدها ، أو يحرفها وهكذا ، •

٣ — وصف صورة النموذج بألفاظ لغوية يحتاج الى تثبيت الألفاظ لئلا يتغير الوصف من وقت لآخر ، ومن شخص لآخر لأن تغاير اللغة يؤدى الى تصوير جديد لم يكن موجودا من قبل (١) •

وفى مجال حاجة الاتصال الى نماذج لأخذ الدروس والفوائد مع تلافى هذه العيوب نرى نماذج القرآن الكريم الاتصالية وهى النماذج الموجودة فى قصص القرآن الكريم حين تعرض القصة عديدا من مواقف اتصالية وقعت بين الناس أفرادا وجماعات وبين الرسل وأقوامهم ، وهذه النماذج القرآنية تتميز بما يلى :

(أ) نماذج القرآن الكريم الاتصالية نماذج حقيقية أخذت من الواقع البشرى • ولم يدخل فيها تأليف أو خيال ، أو نقل للأساطير •

يقول الله تعالى « نحن نقص عليك نبأهم بالحق » (٢) •

---

(١) الأسس العلمية ص ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ بتصرف مركز •
(٢) سورة الكهف آية ١٣ •

ويقول سبحانه « **ان هذا الهو القصص الحق** » (١) .

والحق هو الصدق الموافق لما وقع من غير أدنى زيادة أو نقص (٢) .

(ب) نماذج الاتصال كما جاءت فى القرآن الكريم ثابتة على مدى العصور كلها لا تزيد حرفا ، ولا تنقص حرفا ، لأنها نزلت جزءا من القرآن الكريم كما قال تعالى : « **نحن نقص عليك احسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين** » (٣) فلقد جاء القصص الحسن ضمن القرآن الموحى به الى رسول الله صلى الله عليهم وسلم . وهذا يؤدى الى حفظه وصيانته من أى تحريف وذلك بحفظ الله تعالى له يقول تعالى« **أنا نحن نزلنا وانا له لحافظون** (٤) وبقدرة الله تعالى تهيأت الأمة الاسلامية للمحافظة على القرآن الكريم بالحفظ ، والتدوين ، وبكل ما يمكن الحفظ به (٥) .

(جـ) نماذج الاتصال القرآنى تأتى مشتملة على ابراز التفاعل بين الأطراف ، وتصور النشاط الذهنى والنفسى والحركى الذى يوجد فى العملية الاتصالية ، وذلك من خصائص الاعجاز البيانى فى القرآن ومثال ذلك قول الله تعالى : «**واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لا قتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين انى أريد أن تبوء باثمى وآثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فاصبح من الخاسرين** » (٦) . وهذه القصة الموجزة تقدم نموذجا واضحا لرجلين مؤمن وغير مؤمن . **أما غير المؤمن فهو** شخص

---

(١) سورة آل عمران آية ٦٢ .
(٢) تفسير النسفى جـ ٢ ص ٢٨٠ .
(٣) سورة يوسف آية ٣ .
(٤) سورة الحجر آية ٩ .
(٥) أنظر من ص ٢٢ الى ص ٢٩ من البحث .
(٦) سورة المائدة الآيات ٢٧ ـ ٣٠ .

يمتلىء حقدا ، وغرورا ، وكراهية • ويحب الظلم والعدوان وسفك الدماء بلا مبرر وسبب ، ولا يتأثر بخلق طيب ، او معاملة لينة •

وأما المؤمن فهو حسن الخلق هادىء يقابل الاساءة بالاحسان ، ويخشى الله ويطعه • ويعمل للآخرة ، ويرجو ثواب الله تعالى ودخول الجنة •

وبالنظر فى آيات هذه القصة نرى أنها قدمت نماذج الاتصال فى صورة شاملة للنشاط الذهنى ، والتفكير العقلى ، واتجاهات الخلق وبذلك فهى صورة معها التفاعل والحيوية •

(د) يشتمل النموذج القرآنى على العناصر المطلوبة لتحقيق الفائدة المرجوة وذلك سر تكرر القصة الواحدة فى القرآن الكريم لأنها تأتى فى كل مرة لغاية معينة ولذلك تبرز العناصر المفيدة لهذه الغاية دون سواها • ان القصة القرآنية لا تعطى جميع أحداثها دفعة واحدة ، وانما تجزئه تبعا للغرض • وبذلك تحقق غرضين • أولاهما تجزئة الاحداث ليسهل فهمها ، وثانيهما تكرار القصة لتثبت وتتأكد • ومثال ذلك ننظر لقصة نوح عليه السلام فنجدها فى سورة الاعراف (١) تركز على اظهار ضلال القوم واستغراقهم فى الكفر والضلال ، وهى فى سورة هود تبرز الأدلة الواقعية على ضرورة الايمان بالله وصفاته (٢) ، وهى فى سورة الانبياء تركز على النعم التى جعلها الله لنوح عليه السلام (٣) ، وهى فى سورة العنكبوت تركز على ابراز المدة التى مكثها نوح عليه السلام فى قومه ليظهر قدر البلاء الذى تعرض له (٤) •

ان القصص بايراده على النمط المذكور يورد جميع العناصر المطلوبه وبذلك لا تسقط بعض العناصر اذا احتيج اليها •

---

(١) الآيات (٥٩ - ٦٤) •
(٢) الآيات (٢٥ - ٤٨) •
(٣) الآيات (٧٦ - ٧٧) •
(٤) الآيات (١٤ ، ١٥) •

(٥) نماذج القرآن الكريم تتضمن الأصالة الكاملة ويكفى أنها نزلت من عند الله تعالى منذ أربعة عشر قرنا • بينما الابحاث العلمية لم يتجاوز عمرها قرنين من الزمان •

ويجدر بنا أن نشير الى ان العلماء المسلمين لاحظوا ما فى الاتصال وعملياته من فائدة فوضعوا ملاحظاتهم له ، يقول ابن خلدون : « ان النفس اذا كانت على حال الاعتدال فى قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه ، واذا خامرها تشيع لرأى أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة • فكأن ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فتقع فى الكذب ونقله » (١) •

ويرى ابن خلدون ضرورة تحكيم السنن الالهية فى العمران البشرى للوصول الى الحق •

ويلاحظ أن ابن خلدون تكلم عن ثلاثة عناصر فقط نظرا لأن الاتصال فى تصوره كان مواجهة وفيه تكون الوسيلة والأثر غير بارزين • وأيضا فان هذه العناصر هى التى كانت معروفة فى عصره •

ان سبق الاسلام وتميزه يجعلنا نزداد ثقة فيه ، ونلتزم بالأخذ عنه لتحقيق الخير والسداد •

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٦١ •

تعريف الاعـــلام

الاعلام مصدر فعله أعلم الرباعى • ومعناه الاخبار ، يقـــال : أعلمته بكذا أى أخبرته به • ومعناه الاشـــارة الدالة يقال : اعلمت بيتى أى وضعت له علامة تميزه جاء فى مختار الصحاح أن أعلمه بكذا أى أخبره به وأعلم الفارس ذاته أى جعل لنفســه علامة يعرف بهــا •

والاخبـــار يقتضى انتقـــال خبر من طـــرف لطرف آخر بوسيلة ما، وقد تكون الوسيلة رمزا واشارة كلحظ العين ، واشـــارة اليـــد ، وعلامة المرور ، وكثيرا ما تدل الاشـــارة والرمز عـــلى أمـــر لا يمكن التعبير عنه الا بعبارات طويلة •

وقد ينتقل الخبر بواسطة الصورة والشكل •
وينتقل الخبر كذلك باللفظ المعبر والكلام المفيد •

واللغة العربية مليئة بحكاية الأخبار التى انتقلت باحـــدى هـــذه الحالات المذكورة ، فالرجل العربى تميز بالذكـــاء • والفهم • ممـــا جعله يفهم بالاشـــارة ، ويستدل على مطلوبه بعلامة عارضـــة وصورة غير مقصودة ، ومما يروى فى ذلك ما ذكره المرزبـــان من أن رجـــلا كثير المال صحب عبدين له فى سفر فلمـــا توسطا الطريق همـــا بقتلـــه • فلما صح ذلك عنده قال لهمـــا : أقســـم عليكمـــا اذا كـــان لابد لكمـــا من قتلى ان تمضيـــا الى دارى وتنشدا ابنتى هذا البيت :

من مبلغ ابنتى أن أبـــا كما　　　أمسى قتيلا فى الفلاة مجندلا

فلمـــا قتلاه جاءا داره وأخبرا ابنته الكبرى بالبيت فاستدعت أختهـــا الصغرى فلمـــا اسمعتها البيت خرجت حاسرة وقالت : هذان قتلا أبى والدليل ان المصراع الأول يحتاج لثان والثانى يحتاج لآخروهما كالآتى •

من مبلغ ابنتى أن أبا كمـــا　　　أمسى قتيـــلا فى الفلاة مجنـــدلا

لله دركمـــــا ودر أبيكمـــا　　　لن يبرح العبـــدان حتى يقتـــلا

فلمــا استخبر العبدان كان الأمر كذلك (١) .

يقول ابن جنى : التاء فى رجل علامة ليست لتأنيث الموصوف وانما لحقت بالكلمة لاعــلام السامع أن هذا الموصوف بمــا هى فيــه قــد بلغ الغاية والنهاية » (٢) .

هــذا .

وقد جاءت أعلم بمعنى أخبر فى القرآن الكريم وذلــك فى قـــوله تعالى : « فليعمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » (٣) وذلك فى قراءة من ضم اليــاء فى فليعلمن وهى قراءة الامام على بن أبى طالب (٤) رضى الله عنه .

وقــد جــاءت الآيــة لتؤكــد للنــاس أن اللــه ســبحانه وتعالى سيخبر عباده بموقفهم فى الآخرة وبخاصة من أعلن الايمـــان ليظهر من صدق فى قوله آمنت ، ومن كذب فى قوله هذا ، وهذا الاعــلام من الله تعالى للنـــاس يكون بالكلمة واللفظ المنطوق ، ويكون بالصورة والشكل ، ويكون كذلك بالرمز والاشـــارة .

أما الاعــلام بالكلمة واللفظ فذلك ظاهــر من قوله تعالى :

* « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كـــانوا يعملون » (٥) .

* « اذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقـــالها وقال الانســان ما لهــا يومئذ تحدث أخبارها » (٦) .

* « فكيف اذا جئنـــا من كل أمة بشهيد وجئنـــا بك عــلى هؤلاء شـــهيدا » (٧) .

---

(١) بلوغ الارب جـ ١ ص ٣٩ .
(٢) لســان العرب جـ ٢ ص ٨٧٠ .
(٣) سورة العنكبوت آية ٣ .
(٤) تفسير القرطبى جـ ١٦ ص ٣٢٣ .
(٥) سورة النور آية ٢٤ .
(٦) سورة الزلزلة : ١ ـ ٤ .
(٧) سورة النساء آية : ٤١ .

فهذه الآيات تدل على الاخبار بواسطة الشهادة الواضحة ، والبيان البليغ • الذى تسمعه الأذن حيث الجوارح تتكلم ، والارضى تنطق ، ويشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أفـــراد أمته بمـــا فعلوا فى هذه الحياة الدنيـــا •

كما أن هذا الاخبار يكون كذلك بالصورة والمثال كأخــذ الكتاب باليمين أو بالشمال ، وثقل الميزان أو خفته • يقول الله تعالى :

* « فأما من أوتى بيمينه فيقول ها أوم اقرءوا كتابية »

* « وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه »(١)

* « فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية • وأما من خفت موازينه فأمه هاويـــة وما ادراك ماهيـــة نار حامية » (٢) •

كما يكون هذا الاخبار بالرمز كالعلامة الموضحة وذلك بوضــع علامة تكون سمة على حالهم • يقول الله تعالى :

* « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » (٣) •

* « فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكـــرى فان لـــه معيشة ضنكا » (٤) •

وهكذا يعلم الله الناس بطرق متعـددة ويخبرهم بحقيقتهم التى هم عليها • وذلك معنى الاعـــلام •

وعلى ضوء ماسبق يكون الاعـــلام فى منطق القرآن الكريم هـــو الاخبار عن أمـــر من الامور بالكلمة أو بالاشـــارة أو بالعـــلامة أو بأى

---

(١) سورة الحاقة آية : ٢٠ ، ٢٥ •
(٢) سورة القارعة آية : ٦ — ١١ •
(٣) سورة آل عمران : ١٠٦ •
(٤) سورة طه آية : ١٢٣ •

أمــر ينتج من ورائه وصــول الخبر والحال من طرف الى طرف آخر • بأى وسيلة من الوســائل المتاحة • بوسيلة اللغــة المنطوقة أو المكتوبة أو بمــا يقوم مقامهــا كالرمز والاشــارة وغيرهــا مــع وجود أداة حاملة لهذه الوسيلة كالصحيفة • أو البث فى الهــواء أو ما شــاكل ذلك •

ان الاعــلام فى مفهوم الاســلام يمكن تعريفه بأنه : « توجه الى الناس لتحسين ما ثبت حسنه شرعــا • وتقبيح ما ثبت قبحة شرعا • بكل الوســائل والأساليب المشروعــة لتوجيه الناس الى الصواب ، ودعوتهم للدخــول فى الاســلام ، وتكوين الرأى العام وفق منهج الله تعالى » •

وهذا التعريف مشتمــل على الأسس التالية :

فهو — أولا — توجه الى الناس يقوم به رجال الدعــوة والاعلام المسلمون الذين فقهوا دينهم ، وأحاطوا بفنون الاتصــال والتوجيه •

وهو — **ثانيا —** مرتبط بتحسين الحسن وابرازه فى صور محببــة مشوقة ، وبتقبيح القبيح واظهاره فى صورة كريهة معيبة •

وهو — **ثالثا —** نابع من أصوله الثابتة التى جاء الوحى بها لأن مناط التقبيح والتحسين هو الشرع والدين ، وليس العقــل والعادة •

وهو — رابعا — هادف حيث يدور مع المصلحة حيث تدور •

وهو — خامسا — عالمى الاتجاه يقصد الناس جميعــا • لأنــه يعمــل على ادخــال غير المسلمين فى الاسلام وهدايــة المسلمين لحسن الطاعة وصدق الاتباع •

ويلاحظ أن هذا التعريف مستنبط من القرآن الكريم ومن الآيات التى دلت عليه ما يلى :

* يقول الله تعالى : « **وقولوا للناس حسنا** » (١) •

---

(١) سورة البقرة آية : ٨٣ •

* ويقول تعالى : « **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ٠ وجادلهم بالتى هى أحسن** » (١) ٠

* ويقول سبحانه : « **ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن** » (٢) ٠

* ويقول سبحانه : « **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** » (٣) ٠

* ويقول سبحانه : « **ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان** » (٤) ٠

* ويقول تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم** » (٥) ٠

* ويقول سبحانه : « **ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما** » (٦) ٠

ان الاعلام فى منطق الاسلام يتميز بخصائصه المأخوذة من القرآن الكريم والسنة النبوية ، وهى خصائص تحدده أسلوبا ، وموضوعا ، وغاية ، وبذلك فهو اعلام ملتزم فى حدود المشروعية ، وليس من حق أحد ان يدخل أمرا غير مشروع فيه بدعوى الاستعانة بغير المشروع لتحقيق هدف ٠ لأن ذلك لا يجوز فى دين الله ، وما جعل الله الصلاح فى امر محرم أبدا ٠

---

(١) سورة النحل آية : ١٢٥ ٠
(٢) سورة العنكبوت آية ٤٦ ٠
(٣) سورة آل عمران آية ١٠٤ ٠
(٤) سورة الحجرات آية ٧ ٠
(٥) سورة الأنفال آية ٢٤ ٠
(٦) سورة الاسراء آية ٩ ، ١٠ ٠

ان هذه الآيات تشير الى واجب التوجه الى الناس بالاسلام مع الالتزام بالأسلوب الحسن ، والكلام الطيب لما لــه من تأثير قــوى فى جمــع القلوب ، وتأليف الناس ، كمــا تشير الى ضرورة افهــام الناس أوامر الله ، ونواهيه وعدم كتمان شىء عنهم ، وبذلك يمكن معالجة الواقع البشرى بالمنهج الالهى ، الأمــر الذى يؤدى الى تبليغ الاســلام ونشره بــين الناس ••• ان جذب الناس الى الخير والفــلاح أمــر يحتاج الى جهــد العلماء المخلصين ، لتبرز الخير جميــلا أمــام العقول والقلوب مــع ربطه بواقــع الناس ، وعلى مستوى عقــل المخاطبين ، وبذلك يتحقق الأمل ويوجــد الهــدى •

والآيات فى مجملها أيضا تشير الى أن القرآن الكريم يؤدى الى صياغة المجتمع بمنهجه ، ويهدى الناس الى السبيل الأقوم ، ويبشر المؤمنين بالخير فى الدنيــا والآخرة ، وينذر العصــاة بالويل والثبور •

ان هذه الآيات وهى صورة القرآن الكريم كله تدفــع الى صياغة تعريف الاعــلام الاسلامى على نحو ما ذكرت (١) •

ان هذا التعريف يلتقى مع غيره من التعريفات فى الهيكل العــام والعناصر الرئيسية فهو تصويــر للوقائع المعبرة عن حياة الناس ، ومشاكلهم ، وقضاياهم بالخبر ، والمعلومات ، والتحقيقــات فى صــدق وموضوعية مع مراعاة صياغته فى قالب بيانى حسن يثير النظر ، ويحــرك الفهم ، ويجذب نحو الخير ، ويمقت السوء ، ويبعــد عن الشر ، ويؤدى الى نشر المصلحــة الفرديــة والجماعية فى اطــار دين الله تعالى •

ان المنهج الاسلامى بصورة عامة هو أســاس الاعــلام ، وهــو مجال عمله وبذلك فهو اعلام لــه انتماء وأصالة ، والصدق والحق أساس لهــذا الاعــلام ، ولذلك فهو تعبير موضوعى واقعى وصادق •

والاعلام فى الاسلام يهــدف الى تحقيق تفاهم بين الناس على

---

(١) انظــر ص ١٣٨ •

أســـاس المودة ، والتعاون ، والأخوة ، والايثار ، وفى نفس الوقـــت يعمـــل على تكوين رأى عام مؤثر لـــه دوره فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وبذلك فهو اعلام يربى ، ويهذب ، ويعمـــل على نشر الايمان والفضيلة ، ويجاهـــد فى القضـــاء على الرذيلة والعصيان .

ان الاعلام بهذا المفهوم يظهر فى قوله تعالى : **« ادع الى سبيـــل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربـــك أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمتدين » (١)** .

ووظيفة رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم هى تبليغ الاسلام مع التحبيب فيه وتزيينه ونشر كراهية مخالفته بأى صورة من الصور ، ورسالة الاعـــلام فى الاسلام متابعة هذه الوظيفـــة ، ونحب أن نؤكـــد على أن الاعـــلام فى الاســـلام يحمـــل رسالة الله ، ويبلغهـــا كمـــا هى ، بلا زيـــادة أو نقصـــان ، لأن التدخل فى تعاليم الله بالزيـــادة ، والنقصـــان ليس من دين الله فى شىء ، ومن هنـــا أخطأ بعض الناس اذ جعلوا لحياتهم منهجا بعضـــه من دين الله وبعضه من غيره وهـــذا لا يجوز .

وأيضا فان الاعـــلام الاسلامى يعـــالج حيـــاة الناس بالمنهـــج الالهى المتميز بالثبات والشمول وملاءمة الفطرة البشرية فهو مـــع تعدد قنواته ذو صبغة ربانية واحدة .

وكذلك فان الاعلام الاسلامى يقيم حياة الناس على ما أصله اللـــه تعالى ، ولذلك فهو يحارب الحرام كله ، ولا يرتضيه لنفسه أبدا ، لأن الله لم يشرع علاج أمر ما بأمر آخر محرم ، ولذلك فأدواته ووسائله وبرامجه يجب أن تكون مشروعـــة لتحقق ما وجدت لـــه .

---

(١) سورة النحل آية : ٧ .

والاعـــلام الاسلامى لا يخضع لميول الناس واتجاهاتهم وانما هو خاضع لأوامر الله تعالى ونواهيه فى كل جوانبه ، ولذلك فهو لا يرتضى الأمور السيئة ، لا يسكت عنها ، وانما يعمل لاصلاحهـــا وارشادها ، ووضعها فى هدى الله المستقيم •

والاعـــلام الاسلامى يقوم على الصدق والحقيقة وهو فى كـــل ذلك متميز عن كل ما عداه ، لأن كل ما كان مصدره الله فهو ثابت لا يتغير ، صالح لكل الناس ، أماما كان مصدره بشريا فهو يتغير تبعـــا للمصلحة ، وتبعـــا لتغاير الناس واختلافهم •

والاعـــلام الاسلامى لا يعـــرف الا الأسلوب النظيف ولا يرضى الا بالخلق الكريم ودائما يلتزم بمبادئه الربانية المأخوذة من آيـــات القرآن الكريم ومنها **قول الله تعالى : « انما المؤمنون أخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قـــــوم من قـــوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نســـاء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعـــد الايمان • ومن لـــم يتب فأولئك هم الظالمون يا أيهـــا الـــذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضـــا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم يا أيهـــا الناس انا خلقناكم من ذكـــر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان اللـــه عليم خبير » (١) •**

ان هذه الآيات تحدد عددا من المبادىء الأخلاقية الأساسية فى صياغة الكلمة ، وبثهـــا ، والتأثير بهـــا ، وأهم هذه المبادىء ما يلى :

(أ) أخوة الناس أمر مقرر عقلا وشرعا ، ويجب أن يحافظ كل من يتصـــدى للتوجيه على هذه الأخوة وروحهـــا ، وحقوقهـــا ، فالناس جميعـــا من نفس واحـــدة ، ويجب أن يحافظوا على وحدتهم هـــذه ، وبخاصـــة اذا كانوا على الاسلام دين الله تعالى ، يقول النبى صلى الله

---

(١) سورة الحجرات الآيات ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ••

عليه وسلم : « **لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تفاحشوا وكونوا عباد الله أخوانا** » (١) ٠

ويقول صلى الله عليه وسلم : « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذ له ، ولا يحقره ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه** » (٢) ٠

(ب) **البعد عن الاستهزاء** بالغير ، وترك السخرية به ، فلعله يكون أفضل منه دينا وخلقا والمستهزىء يظن غير ذلك ٠ يقول عمرو بن شرحبيل : « **لو رأيت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه لخشيت أن أصنع مثل الذى صنع** » (٣) ٠ ويقول عبد الله بن مسعود : « **البلاء موكل بالقول** » (٤) ٠

(جـ) تجنب اللمز **وهو العيب** ، يقول القرطبى : واللمز يكون باليد والعين واللسان والاشارة ، والآية تفيد ضرورة ابتعاد المسلم على الحاق عيب بأخيه لأنه كنفسه فاذا عاب مسلما فقد عاب فى ذاته وهذا سر التعبير بقوله : « ولا تلمزوا أنفسكم » والأولى بالانسان أن ينشغل بعيوب نفسه عن عيوب الناس ٠

(د) عدم التنابز بالأسماء والألقاب والصفات وهو تسمية الشخص أو مناداته بما يكره لان ذلك يؤذيه ، وأذية المسلم غير جائزة ٠

(هـ) الابتعاد عن الغيبة وهو أن تذكر أخاك بما يكره سواء كان فيه أو لا ، وقد ضربت الآية صورة منفرة للغيبة ليبتعد المؤمنون

---

(١) صحيح البخارى — كتاب الآدب — باب ما ينهى عن التحاسد حـ٩٠ ص ٤٨١ ٠

(٢) صحيح مسلم — كتاب الآدب ٠

(٣) تفسير القرطبى جـ ١٦ ص ٣٢٤ ٠

(٤) المرجع السابق جـ ١٦ ص ٣٢٤ ٠

عنها حيث أنها شبهت المغتاب بمن يأكل لحم أخيه الميت وفاعــل ذلــك يرتكب فعلا لا يستسيغه عقل ما ويؤدى الى كراهية عامة من النـــاس وهكذا المغتاب فى الحقيقة •

ان هذه المبادىء الأخلاقية التى يكلف الله بهــا المسلمين جميعا يحتاجهــا رجل الاعــلام الاسلامى ليظهر بصورته الناصعة متمسكا بالحقيقة ، ملتزما بالصدق ، منجهــا نحو المصلحة والخير والآدب فى القول ، والترفــع عن سفاسف الأمور بصورة عامة شاملة •

* * *

ان الاعــلام الاسلامى بخصائصه وأخلاقياته يشير الى السعة ، ويتضمن التوجه الى العالم كله بروح دينية صادقة من أجل تحقيق أهدافه المشروعة ، ومع هذا فاننا نلحظ أن الاعلام الاسلامى يتلاءم مع الانتماء الوطنى ، وينسجم فى تبعيته لدولة ما ، لأن الاسلام الذى يقدم الأسس والمنهج يشرع هــذا الانسجام وذاك التلاءم ، فحب الوطن من الايمان، ولا تعارض مطلقــا بين الايمان وحب الوطن ، فهــا هو رسول اللــه صلى الله عليه وسلم يقول حين هجرته من مكه الى المدينة المنــورة : « اللهم انك تعلم أنهم أخرجونى من أحب البلاد الى فاســـكن أحب البلاد اليك » (١) • ولمــا هاجر المهاجرون الى المدينة أصيبوا بالحمى وأخذوا ينشــدون شعرا يتمنعون فيه رؤية مكة وجبالهــا وطرقاتهــا • يروى ابن اسحاق عن عائشـــة رضى الله عنها قالت : **لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعك أبو بكــر وعامر بن فهيرة وبلال فى بيت واحد • فدخلت عليهم اعودهم وذلك قبل أن يضرب الحجاب علينا • وبهم ما لا يعلم الا الله من شــدة الوعك فدنوت من أبى بكر فقلت له : كيف تجدك يا أبت ؟ فقال :**

---

(١) الرحيق المختوم •

كل امرىء مصبح فى أهلــه * * والموت أدنى من شراك نعله

قالت : ثم دنوت الى عامر بن فهيرة فقلت له كيف تجــدك يا عامر ؟ **فقــال :**

لقد وجدت الموت قبل ذوقه * * ان الجبان حتفه من فوقــه

كل امرىء مجاهد بطــرقــه * * كالثور يحمى جلده بروقــه

قالت : وكان بلال اذا تركته الحمى اضطجع بفنــاء البيت ثــم رفــع عقيرته فقال :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * * بفج وحولى أذخر وجليــل

وهل أردن يوما ميــاه مجنة * * وهل يبدون لى شامة وطفيل

قالت عائشة : فذكرت ذلك لرسول اللــه صلى الله عليه وسلم فقال : **اللهم حبب الينا المدينة كمــا حببت الينا مكة أو أشــد • وبارك لنــا فى مدهــا وصاعهــا • وانقل وباءهــا الى مهيعة (١) •**

وهذا يدل على ما كان من حب مكة لدى أهلهــا المؤمنين الــذين اضطروا الى تركهــا وهاجروا الى المدينة المنورة •

ان الاسلام يقيم الكيان الفردى ليكون فى خدمــة الجماعة ويجعل الجماعة تصون كرامة الفرد ، من هذا المنطق نرى الامــة تعــاون الوطن ولا تعارضه ، كمــا أن الوطن القوى يقــوم بدوره فى خدمــــة الأمــة كلهــا •

ويجب أن يكون واضحــا أن الوطن المسلم يكون عونــا حسنا للاســلام كله • وحينئذ يكون اعلامه الاسلامى من عوامــل نشر الاسلام وتبليغــه للنــاس أجمعين •

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ٣ هذا ومعنى بروقه بطاقته — ومهيعة هى الجعفة •

وهدف الاعـــلام الاسلامى عالمى وشـــامل كمـــا ذكرت وهـــذا يحتاج الى تنوعه لغة وشكـــلا ، وجوهرا •

أما تنوعه لغة فلأنه يخاطب أقواما كثيرين تعددت لغاتهم ، ولا يمكن التوجه الى قوم ما الا باللغة التى ينطقون بهـــا ، ليتمكنوا من الفهم والاستيعاب واتخـــاذ موقف ازاء ما يوجه اليهم • ولذلك كـــان رســـل الله صلوات الله عليهم جميعـــا يخاطبون أقوامهم كل قـــــوم بلغتهم • يقول الله تعالى : **« وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » (١)**

وذلك لأن البيان والوضوح نتيجة مباشرة للخطاب باللغـــة المفهومة للقوم ، ولذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم يخاطب كل قبيلة بلهجتها واستعمالاتها اللغوية فهو عليه السلام القائـــل **« ليس من امبر امصيام فى امسفر »** باستبدال (أم) بـــ (أل) ليفهم من يخاطبهم ، وهو عليـــه السلام الذى ارســـل خطابا الى قبيلة نهد اليمنية باسلوب يتناســـب مع استعمالاتهم اللغوية حيث جاء فيه **بسم الله الرحمن الرحيم** •

من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى نهـــد بن زيد • الســـلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله • عليكم بالوظيفة ، الفريضة ، لكم الفـــارض والفريش ، وذو العنان الركوب والضبيش ، لا يقطع سر حكم ، ولا يحبس دركم ، ولا يعضـــد طلحكم ، ما لـــم تضمروا الرقاق وتأكلو الرباق » (٢) •

والنبى عليه السلام فى هـــذا الخطـــاب يحدد للقـــــوم نظـــــام الزكاة والوظيفة هى الزكاة ، والفارض : المريض ، والفريش الحـــديث عهد بولادة ، وذو العنان الركوب المخصص للركوب ، والضبيش : الصعب ركوبه وليس فى هذه زكاة ولا تخرج للزكاة ، وسر حكم : رواحكم للعمل • واضمار الرقاق هو النفـــاق • وأكل الرباق هو خيانة العهد • ومعنى ذلك

---

(١) نسيم الرياض جـ ١ ص ٣٨٨ •

(٢) سورة ابراهيم آية : ٤ •

أنهم ان ادوا الزكـاه لا يمنعون من عمل ولا يقطع عنهم لبن ، ولا يقلع لهم شجر . ما لم ينافقوا أو يخونوا العهـد .

فنراه عليه السلام يستعمـل لسـان القوم ليفهموا ما يوجه اليهم. ولما سئل الرسول عن من علمه كيفيـة مخاطبة كل فريق بلغته قـال عليه السلام : **أدبنى ربى فأحسن تأديبى .**

وأما تنوعه شكلا فلأنه يخاطب أشتاتا من الناس يختلفون طبعـا ومزاجا ، وان البرنامج الذى يؤثـر فى جماعة قـد لايؤثـر فى غيرهـا ، وما يناسب الرجال قـد لا يناسب الأطفال . أو الشباب وهكذا . الأمـر الذى يلزم الاعـلام بتعـدد برامجه ليتمكن من مخاطبـة كل الفئـات وسـائر الناس بمـا يثيرهم ، ويصـل الى عقولهم وعواطفهم .

وللدعاة فى هذا المجال درس من اختلاف القـرآن المكى عن القرآن المدنى فمـا كان هـذا الاختلاف الا لمراعاة طبائع الناس من أجل اقنـاعهم بالمراد .

وأما تنوعه جوهرا فان الأسلوب لا يمكن أن يكـون واحـدا لكل الناس فهناك الأسلوب العلمى الدقيق ، وهناك الأسـلوب الأدبى البراق، وهناك الأسلوب السهل العـادى .

والاعلام الاسلامى فى توجهه للنـاس جميعـا يجب أن يلاحظ تنوع الاسلوب ليخاطب سـائر العقول مع اختلافها علمـا وذكـاء ، وذلك مستفاد من الواقـع ومن قوله تعالى : **« أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن »** (١) **لأن الحكمـة هى** القول المتقن الدقيق الموجز وهى أسلوب يناسب الحكماء والعلمـاء والأمراء **والموعظة الحسنة** هى أسلوب يتخذ من الاثارة وتهييج الانفعال

---

(١) سورة النحل آية : ١٢٥ .

والعواطف بصورة متعـددة • وهي أسلوب يناسب العامة والمثقفيـن العاديين ، والمجادلة الحسنة هي نوع من الحوار يفيد من طبعـه الاستفهام وكثرة السؤال ومن في نفسه شبه أو شكوك • كمـا أن أسلوب الجدل يفيد في دعوة من يعتقد مذهبا بعيدا عن الاسلام •

ان الاعلام الاسلامي ملتزم بالضرورة بالتنوع على اختلاف ألوانه ليتمكن من أداء دوره •

ومادام الاعـلام الحديث يقـدم هـذا التنوع فواجب رجال الاعـلام الاسلامي أن يستفيدوا بمـا استحدث مـع تطويره ليتفق مع أخلاق الاسلام وحدوده المشروعه •

صلة الاعلام بالاتصال

الاعلام شديد الصلة بالاتصال، فهو جزء منه ، يستفيد بأسسه العامة ، وتجاربه العديدة ، ولذلك درج بعض العلماء على استعمال الاتصال كمسمى للاعلام ، وهم يعنون بذلك اتصالا معينا ، وحتى نتمكن من الوقوف على الصلة بين الاعلام والاتصال فانى أبين أنواع الاتصال لنكتشف من بينها ما هو اعلام بالمصطلح الحديث • وذلك فيما يلى :

الاتصال :

الاتصال اما أن يكون مباشرا بمعنى تلاقى المرسل والمستقبل وجها لوجه بصورة تسمح لكل منهما بمحادثة الثانى ومخاطبته • واما أن يتم الاتصال بوسيلة لها نظامها وأدواتها •

ويسمى الاتصال المباشر بالاتصال الشخصى أو الجمعى ، كما يسمى الاتصال غير المباشر بالاتصال الجماهيرى •

وهناك نوع من الاتصال يتم فى اطار ذات واحدة ، وشخص واحد يمثل المرسل والمستقبل فى وقت واحد • وهو الذى يعرف بالاتصال الذاتى •

وعلى ذلك فالاتصال أنواع أربعة :

النوع الأول : الاتصال الذاتى :

الاتصال الذاتى هو ما يحدث داخل الفرد ، حينما يتحدث الفرد مع نفسه ، وهو يتمثل فى العمليات النفسية والعقلية من شعور ، ووعى ، ووجدان ، وفكر ، وتصور ، وغيرها •

ان قيمة الانسان بقيمة ما بداخله ، وأغلبنا بالطبع يعيش مع داخله فى فترات طويلة فمنبهاته عديدة من داخل النفس • أو من خارجها أو منهما معا •

ان الأمل فى مستقبل بهيج يدفع الى اتصال وجدانى يدور حول هذا المستقبل ، وصورته ، ومستواه ، ورؤية حادثة مؤلمة توجد الألم النفسى ، والتفكر العقلى فى أسبابها ونتائجها •

ووجود سؤال فى موضوع ما قد يثير جدلا طويلا داخل العقل يؤدى الى حكم جديد •

ان رؤية حديقة مزدهرة تعكس احساسا يغاير تماما رؤية حريق مشتعل •

ان فهم الاتصال الذاتى مهم • فهو يجعلنا نعرف الأسلوب الذى نفكر به ، ونعرف كيف نشعر ، وندرك ، كما أنه يساعدنا على فهم كيفية الاتصال بالآخرين لأن الجانب الباطنى فى الناس له صفات مشتركة واحدة (١) •

ان المرسل والمتلقى فى الاتصال الذاتى شخص واحد — ولذلك كانت الرؤية فيه واضحة ، والقدرة على التصور كاملة ، ونمط هذا الاتصال التأمل والتدبر •

النوع الثانى : الاتصال الشخصى :

الاتصال الشخصى هو الاتصال المباشر الذى يوجد فيه المرسل والمتلقى وجها لوجه ، ويتم بين فردين أو بين فرد وجماعة صغيرة بين أعضائها علاقة ما •

---

(١) الأسس العلمية لنظريات الاعلام ص ٩٣ بتصرف •

ان هذا الاتصـــال يتم عادة بطريقـــة تلقائيـــة كالتحية والرد عليها، واجابة سؤال ، والتحادث حول أمر مـــا •

ونمط هذا الاتصـــال المواجهة والاحتكـــاك المباشر • ولذا كـــان رد الفعل واضحـــا •

ومن المعروف أن الجماعـــات الاوليـــة كالأسرة ، وجماعة النشاط الحر تنشأ بصورة تلقائيـــة بلا تحديد هدف مسبق ، أمـــا الجماعـــات الثانويـــة التى يتم تشكيلهـــا لتحقيق هـــدف معين كجماعـــة النادى ، وجماعة الدراســـة ، فانهـــا تنشأ وفق نظامهـــا وهدفها (١) •

ولذلك تختلف درجة الرؤية تبعـــا لنوعية الجماعة لأنهـــا فى الجماعة الأولية غامضة بينمـــا هى فى غيرها أوضح •

ويتميز هذا النوع بأنه يتم فى اتجاهين بصورة مباشرة ممـــا يؤدى الى فهم كل طرف للآخـــر وهـــذا يســـاعد على الفهم • وسرعـــة القضاء على المعوقـــات التى تظهر أثنـــاء العمليـــة •

النوع الثالث : الاتصـــال الجمعى :

الاتصـــال الجمعى نوع من الاتصـــال المباشر لأنـــه يتم بلا واسطة بين المرسل والمستقبـــل •

ونسب هذا الاتصـــال الى الجماعة لأن المستقبل يكون كذلك دائما بخلاف الاتصـــال الشخصى فان المستقبل قـــد يكون فردا واحدا •

ويتميز الاتصـــال الجمعى عن الاتصـــال الشخصى بعـــدة أمور

فهو — أولا — يتم مع جماعة كثيرة العـــدد بينمـــا الاتصـــال الشخصى يتم مع شخصين أو مع مجموعة قليلة •

---

(١) الاعـــلام الاسلامى ص ٦٦ بتصرف •

وهو — ثانيا — يقوم غالبا بعـد تنظيم واعداد كمـا يحدث فى المؤتمرات العلميـة • وحضور خطبة الجمعة والعيدين فان هـذه الجماعـات وأمثالهـا تتم بعـد اعداد وتنسيق •

وهو — **ثالثا —** يتم بين جماعة لم يسبق بينهم تعارف — غالبا — بينمـا الاتصـال الشخصى يكون بين المتعارفين •

ونمط الاتصـال فى الاتصـال الجمعى يتم مواجهـة عن طريق الحوار والمناقشة •

وردود الأفعال فى الاتصال الجمعى غالبا ما تكون واضحة لأن المستقبل قـد يعبر عنهـا بوضوح كمـا يحدث فى المناقشـات التى تدور فى المؤتمرات العلميـة • وعقب القـاء المواعظ الدينية وغيرها • وعلى القائم بالاتصـال فى هـذا النوع أن يكـون يقظـا لـدوره عارفا بنوعية من يوجه لهم رسائله ليكون الاتصـال مفيدا نافعا •

النوع الرابع : الاتصـال الجماهيرى :

الجمهرة من الناس — هى الجماعة الكثيرة العـدد المختلفـة فى عملهـا ، وثقافتهـا ، وأوضاعهـا الاجتماعية ، ومستواهـا المالى • فليس بين الجمهرة رابط معين • ولا تعارف سابق • فهى مجـرد تجمع لأفراد منفصلين لكنهم متآلفين من ناحية سلوكهم الجماهيرى (١) •

وعلى هذا يكون الاتصـال الجماهيرى هو الاتصـال الذى يتم بين مصدر وبين عدد غفير من الناس بواسطة وسيلة تسـاعد على ذلك ، فهو نوع خاص من الاتصـال يأخـذ فى اعتباره طبيعة القـائم بالاتصال وجمهور الاتصـال ، وطبيعة الاتصـال نفسه ، **فبالنسبة للقائم بالاتصال** فيه نجـد أنه يعمـل عادة فى مؤسسة ضخمـة ، ومعقدة ، وتحتاج الى تكاليف باهظة ، **وبالنسبة للجمهور** فهو عدد كبير ، ومجهول للقـائم

---

(١) الأسس العلمية لنظريات الاعـلام ص ٥٦ ، ٥٧ بتصرف يسير •

بالاتصال ، وبالنسبة لطبيعة الاتصال نجده يعتمد وسائل علنية • محددة الوقت ، يمكن توصيلها لغالبية الجماهير بسرعــة ، وفى نفس الوقــت عــادة ، كمــا ينقل الاتصــال الجماهيرى رسائل عمرهــا قصير ، وليس لهــا صــفة الدوام (١) •

ان الاتصــال الجماهيرى تهتم به مؤسسات وهيئات خاصــة لهــا نظامهــا فى اعداد الرسالة ، وارسالها على نحو خاص ، وفى وقت معين •

ونظرا لبعــد المستقبل عن المرسل فان اكتشــاف الأثر ورد الفعل لا يتم الا باجراء البحوث المتعلقة بالمستمعين أو المشــاهدين • وهى ضرورية عند العلماء • وبعض المفكرين يزيــد الاتصــال أنواعــا تبعــا لاعتبارات معينة الا أن ما ذكرته هو الغالب عند العلماء •

* * *

وعلماء الاتصــال يقسمون الاتصــال الى أنواعه المذكورة ، ويحددون نمط كل نوع ، وردود الفعل فيه ، وكيفية معرفــة الاثــر ليكون الاتصــال عملية مقيدة للانسان وليكون وسيلة لاكساب الانسان العادات الحسنة ، والأخلاق الفاضلة ، والمهــارات التى تســاهم فى ترقيته ورفعته •

ذلك أن نمط الاتصــال مرتبط بالأثر ورد الفعل فكلما كان النمــط ملائما للمتصلين ، ومشتملا على الهــدف المقصــود • أمــا اذا حــدث علمى • كان رد الفعل ايجابيا يحقق الاثــر المقصود • أمــا اذا حــدث تقصير فى صياغة النمط ، وتوجيهه ، ووضوحه ، فانه يؤدى الى قصــور الاثــر وحينئذ يجب احداث تغيير فى النمط •

وعلى هذا الأساس جرت دراســات نمط الاتصــال مرتبطــــة بدارســات ردود الأفعــال من أجل أن يكون الاتصــال عمليــة تفيــد الانســان وتمــده بالخير والسؤدد •

---

(١) الاسس العلمية ص ٥٨ التصرف •

ونحن هنا نركز على هذا الجانب بوجه خاص حتى لا يتصور عدم جدوى تقسيم الاتصـــال ودراسته على النحـــو المذكور .

وبعد بيان أنواع الاتصال نسأل

أى أنواع الاتصـــال هو الاعـــلام ؟ .

الاعلام عند علمائه فى العصر الحديث اتصـــال معين ، ولذلـــك حسن تحديده بعد أن بينت أنواع الاتصـــال فيمـــا سبق لتتضح الصلة بين الاعـــلام والاتصـــال .

يذهب العلماء الى أن الاتصـــال الجماهيرى وحـــده هو الاعـــلام ، وما عداه لا يعد اعلاما ، وهم بذلك يرون الاعـــلام بوسائله المعاصرة وهى الاذاعـــة المرئية والمسموعة . والصحيفة ، وبجمهوره العريض ، وبمؤسساته التى تجهز الرسالة وترسلها ، يرون ذلك هو الاعـــلام الحديث .

يقول الدكتور ابراهيم امام : « وأهم ســـمات الاعلام الحديث فى المجتمـــع ما يلى :

١ — أنه غير مباشر بمعنى أن هناك أجهزة ضخمة باهظة التكاليف ، معقدة الادارة كالمطابع . ودور النشر ، ومحطات الاذاعة والتليفزيون . واستديوهات السينما ، وهذه الأجهزة هى وسائل لنقل المعلومات والقيم بين المرسل والمستقبل على العكس من الاتصـــال الشـــخصى الـــذى يكون فيه الاتصـــال مباشرا بين المرسل والمستقبل .

٢— أنه يصـــل الى الجماهير العريضة حتى ليمكن القول دون مبالغة أن أجهزة الاعـــلام تعمل الآن على مستوى كوكبى فالفكرة الأرضـــية على حـــد قول مارشال ماكلوهان قد أصـــبحت قرية الكترونية .

٣ — أنه يصـــل الى الجماهير بسرعة مذهلة . بل أنه يجرى فى نفس وقت وقوع الحدث .

٤ — تحرر رسائله مراعية الانسان المتوسط فى الثقافـة • لأن من الضرورى أن يكون المجتمـع نصب عين رجل الاعـلام •

وعلى هذا يكون الاتصـال أوسع دائرة من الاعـلام ، لأن الاعلام جزء منه فقط (١) •

يقول الدكتور محمد سيد محمد : « ان تعبير الاتصـال الجماهيرى هو نفس تعبير الاعـلام • واستخدامنـا لكلا التعبيرين بمعنى واحـد لا غبار عليه ، وعلى ذلك فان تعبير الاعـلام وهو الأكثر شيوعـا فى لغتنا المعاصرة هو بديل ومعادل لتعبير الاتصـال الجماهيرى (٢) •

وبالنسبة للاسلام نجـده يهتم بكل أنواع الاتصـال كنطـاق لحركته فى الدعوة والبلاغ • وبذلك كان اهتمامه بالاتصـال وبالاعـلام معـا • وهو ما سنبينه فى المبحث التالى باذن الله تعالى •

---

(١) المدخل الى وسائل الاعلام ص ٦١ •
(٢) الاعلام والتنمية ص ٤١ •

اهتمـــام القرآن بالاتصـــال والاعلام

جاء الاسلام لاصلاح الحياة . وتصحيح مسار البشرية ليعيش الناس أحرارا أقويـــاء بتحقيق عبودية الانســـان للــه تعالى فهـــو موجد الحياة ، ومالك الملك ، وهـــو على كل شىء قدير .

وقـــد تضمن الاسلام منهج تحقيق السعادة حيث رسم القرآن الكريم والسنة النبوية طريقـــا متكاملا أمـــام الفـــرد والجماعة يؤدى اتباعه الى نشر الخير والسلام .

والمنهج الاسلامى يحتاج الى الدعـــوة والاعـــلام لاظهــــــار حقيقته ، ورد الشبه عنه ، وبيين مزاياه ، وفوائده ، ومن هنـــا كانت حاجته الى الاتصـــال المثمر بكل أنواعه .

ان دور الاتصال والاعـــلام فى منطق الاسلام يوجـــد الايمان ، ويقـــوى طاعـــة الله فى الانسان ، ويدعم القيم الاسلاميـــة ، ويساعد فى تكوين الجماعـــات المسلمة التى تعيش الحياة بمنهج الله تعالى .

ان الانسان يحتاج الى التدبر والتفكير والتأمـــل ليتبين الحق . وهو كذلك يحتاج للاقناع بمـــا يعرض عليه عن طريق الحوار والمناقشة .

وهو أيضا يتطلع للمعرفه ، يبحث عن حقائق الأشياء ، ودائمـــا هو شغوف بمعرفة الحديث ، والخبر الجـــاد لئلا ينعزل بفكره وحيدا غريبـــا .

وهذه الحاجات البشرية يسعهـــا الاتصـــال ، ومن هنا كان اهتمام الاسلام بالاتصـــال والاعـــلام اشباعـــا للانسان ، وتحقيقـــا للمصلحة ، وذلك فى اطار منهج اسلامى منظم نوضح ملامحه فيما يلى :

١ ــ القرآن والاتصـــال الذاتى :

خلق الله الانسان على نحو خاص ، وقصة خلقه واضـــــحة معروفة من خلق آدم عليه الســــلام وهى مفهومة من قوله تعالى : **« اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين »** (١) ٠

ان الانسان مكون من عنصرين رئيسيين :

أحدهما : العنصر المادى وهو الجســد المحس الملموس الظاهر ٠

وثانيهما : العنصر الروحى وهو الجانب المعنوى غير الظاهر ٠

وعنصر الروح هو أســاس السلوك والحركة ، وموجـــه الفكــر والارادة ، وهو مصدر الصلاح والفســاد ، وسبب الخير والشرور ٠

والعلماء المهتمون بشئون الانسان متفقون على أهمية الجانب الروحى فى الانسان ولذلك ركزوا على اكتشـــافه واصلاحه ٠ وله ظهرت العلوم الانســـانيــة المختلفــة كعلم النفس والاجتماع والأخلاق وغير ذلك ٠

والاسلام قبل العلماء أبرز اهتمامه بالجانب الروحى فى الانسان لأنه موطن الايمان ، وهــو محل الاخـــلاص والصفاء ، ومنه تنطلق مكارم الأخلاق ٠

ومنهج الاسلام فى تربية الجانب الروحى يقـــوم أساسا عــلى ايقاظه ، وملئه بالتدبر والتفكير والتدبير فى كل ما يدركــه من معنويات مجــردة أو محسوسات ملموسة ، وضرورة الوقوف على نتيجـــة مقنعة ، واتخاذ موقف أمام ما يرى من أمور ٠

---

(١) سورة ص آية ٧١ ، ٧٢ ٠

وكل ذلك اهتمام بالاتصال الذاتى .

ويرجع أهتمام الاسلام بالاتصال الذاتى الى أنه سبب للقناعة الذاتية والنفسية وهى شرط أساسى للايمان الصحيح .

ان المؤمن الصادق هو الذى يجد النفس المطمئنة بين جنبيه ، وهى لا تطمئن الا برضاها ، ووصولها الى هذه القناعة الذاتية لا يكون الا من تفاعل ذاتى ، واتصال داخلى .

والاسلام يهتم بالجانب الوجدانى اهتماما خاصا ويرجع سبب ذلك الى دوره الرئيسى فى الاعتقاد والايمان .

يقول الحسن البصرى : « ومن نظر ورأى أن الايمان عقيدة تستقر فى داخل الانسان أولا ، وتجعله يؤمن بالغيب عن يقين كأنه شاهده تماما ، ويسلم كل أموره تبعا لعقيدته فلا يعترض على ما ينزل بـه ويدع المقادير تمشى وهو راض بها كيفما كانت ، من رأى ذلك علم يقينا أن الاسلام لا يمكن أن يفرض من خارج الذات ، ان الاسلام ينادى العقل ، ويحركه ، ويعرض مبادئه عليه » (١) .

وهذا يشير الى ما للجانب الباطنى من أهمية ولذلك كانت دعوة القرآن الى التفكر والتدبر ، يقول الله تعالى :

« ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب » (٢) .

ويقول سبحانه : **« وفى أنفسكم أفلا تبصرون » (٣) .**

ويقول سبحانه : **« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين**

---

(١) أدب الدنيا والدين ص ٣ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٩٠ .
(٣) سورة الذاريات آية : ٢١ .

لهم أنه الحق » (١) ٠

ان الاسلام يقصـــــد من وراء تحريك العقل والوجدان اقـــامـــة تفاعل داخلى حول موضوع محـــدد فى مســـار منظم يؤدى فى النهـــاية الى اليقين والايمـــــان ٠

وان وصول قلب ما الى اليقين الايمانى معنـــــاه انطواء القلب على قبس من نور الله ، وأنه صار مستردعـــا لسر من أسراره ، وأداة من أدوات قدرة الله فى الوجـــود كله » (٢) ٠

كما يرجع اهتمام الاسلام أيضـــا بالاتصـــال الذاتى الى بعـــده عن التشويش ، والتقليد ، لأن المعلوم أن الفـــرد فى اطار الجماعـــــة يخضع لما يعرف بالعقل الجمعى حيث تضعف ارادته الذاتية ، ويتحرك بلا اقتناع ، وأحيانا بلا فهم ، ان الجاهلين أعداء الاسلام كانوا يدعون أتباعهم الى هذه الغوغائيـــة حين سماعهم للقرآن الكريم حتى لا يتدبروا فيه ولذلك قال بعضهم لبعض : **« لا تسمعوا لهـــذا القرآن والغوا فيه »** لأنهم باللغو الجماعى لا يفهمون ولا يسمعون ٠

أما الاتصـــال الذاتى فهو طريق للتأمل الهادىء بعيدا عن المؤثرات الخارجية ، ودائمـــا يوصـــل الى الحق المطلق ٠ يقـــول الله تعالى :

« قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد » (٣) ٠

يقول أبو السعود : « معنى الآية أرشدكم وأنصحكم بخصلة واحدة أن تبتعدوا لوجه الله تعالى عن المماراة والتقليـــد ثـــم تخلوا لانفسكم اثنين اثنين أو واحدا واحدا دون الازدحـــام يشوش الافهـــام ويخلط

---

(١) سورة فصلت آية : ٥٣ ٠
(٢) فى ظلال القرآن جـ ٦ ص ٣٧٠٨ ٠
(٣) سورة سبأ آية : ٤٦ ٠

الفكــر بالوهم وبعــد ذلك تتدبروا فى امــره صلى الله عليه وسلم وما جــاء به لتعلموا حقيقته وحقيته فتعلموا ما به من جنون ، انــــه مبعوث لهدايتكم منذر بالعذاب لمن عصى » (١) •

وتوجيه الاســـلام الى التفكير الفردى هو اتصـــال ذاتى تتحقــق به الرؤية كاملة أمـــام الانســـان ، فان الانسان لا يخدع نفسه •

يقول الدكتور منير حجاب : حثت النظريــة الاعلاميــة الاسلامية الافراد على التفكير المستقل ، بحيث يفكر كل فرد على حــدة ، لأن ذلك أدعى الى اعمـــال الفكر والنظــر والتدبر ، وفى اطــار الذاتية الفردية يتخذ كل فرد قراره لنفسه ومن مجموع هذه الآراء يتكون رأى الجماعة • وهو هنـــا بلا شــك رأى واع لأنه ناتج عن اعمـــــــال الفكر (٢) •

ان الاسلام يضع منهجه لحركة الاتصال الذاتى فى النفس الانسانية بطريقـــة منظمـــة وهادفـــة •

فهو — أولا — يرى أن النفس دائمـــا مشغولة مفكرة ، وعـــلى صاحبهـــا أن يوجههـــا نحو الخير — لأن من المسلمات أن النفس ان لم تشغل بالحق شغلت بالباطل •

وهو — ثانيا — يدعو الى ضرورة التنظيم والتزام الدقة فى عمليـــة التأمل النفسية ، وعلى الانسان أن يستفيد من حركة الحياة ففيهـــا كل شىء خلق منظمـــا ودقيقـــا ، اذا ما تأمــل الانسان نفسه لـــرأى هذه الدقـــة ، يقول الله تعالى : **« انا كل شىء خلقناه بقدر »** (٣) ويقول

---

(١) تفسير ابى السعود جـ ٧ ص ١٣٩ •
(٢) مبادىء الاعــلام الاسلامى ص ٢٧ ، ٢٨ •
(٣) سورة القمر آية : ٤٩ •

سبحانه : « **وكل شيء عنده بمقدار** » (١) ٠

وهو — ثالثا — يدعو الى تفريغ النفس من بعض ما علق بهـا من أوهـام وأفكـار لاصلة لها بالحقيقة لأنهـا تصنع حاجزا بين النفس وبين التفكير السليم ، وبينهـا وبين التدبر الذى يحقق لهـا الفائدة المناسبة ، والقرآن من هذا المنطلق ينعى على المقلدين فيقول تعالى : « **قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنـا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون** » (٢) ومن هـذا المنطلق أيضـا ينادى بالتثبت فى كل أمر قبل الأخـذ به ٠ يقول تعالى : « **ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** » (٣) يقول الأستاذ محمد قطب : انهـا مسئولية ضخمـة تظهر من افـراد السمع والبصر والفؤاد فى مبدأ الأمـر ليكون كل منهـا مسئولا على حدة ، ثم جمعهـا كلهـا بعـد ذلك واشراكهـا فى المسئوليـة بقوله : « كل أولئك » وذلك كله ليحس الانسان بعظم التبعـة فيتثبت قبـل الحكم مادام هو عن كل ذلك مسئولا (٤) ٠

ان النفس يجب أن تتخلص من كل مالا دليـل عليه لتبدأ فى اعتقاد ماله دليل ٠ لأنهـا ان لم تتخلص من البـاطل لن يصـفو لهـا الحق ٠ وهل يمكن ملء كوب بماء صاف وفيه بعض الماء العكر ؟!

وهو — رابعـا — يدعو النفس الى التأمل والتدبير فى كل ما هو ممكن لكى تتمكن من الاستفادة والنفـع ، فان الانسان محدد بعـدد من الحواجز والموانع ٠ ومن مصلحته أن يعيش فى اطار بشريته حتى لا يضل ولا يزيغ ٠

وهو — خامسا — يثير حساسية النفس لتتجه نحـو قدرة الله فى

---

(١) سورة الرعد آية ٨ ٠
(٢) سورة البقرة آية : ١٧٠ ٠
(٣) سورة الاسراء آية : ٣٦ ٠
(٤) منهج التربية الاسلامية ج ١ ص ٧٨ ٠

الكون كله ليرى نعم الله وفضائله التى تحيط بالانسان من كل جانب ومن آيات القرآن نقرأ قول الله تعالى :

***« ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون »** (١) ٠

*** « فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب »** (٢) ٠

*** « فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا »** (٣) ٠

وهكذا تتيقظ النفس على صاحب الفضل والنعمة فتتعلق به حبا وطاعة ٠

ان النفس وهى تتعلق بموجدها ومعطيها الخيرات تدرك أنه عليم خبير **« يعلم خائنة الأعين مـا تخفى الصدور »** ٠ وتدرك أيضا الخوف منه سبحانه فتتقيه ٠ فهو الغنى والناس محتاجون اليه ، وهو المالك لكل شىء سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ٠

واذا امتلأت النفس بكل هذا أحسنت عقيدتها ، وألزمت الجسد بما آمنت به ، وبذلك يصير العبد مؤمنا خالصا ، يصل للحق بمنهج سديد ، وطريق واضح ٠

وهكذا يدعو الاسلام الى ضرورة الوصول للحق بالبرهان المقنع ،

---

(١) سورة البقرة آية : ١٦٤ ٠
(٢) سورة الطارق آية : ٥ ـ ٧ ٠
(٣) سورة آية : ٢٤ ـ ٣١ ٠

والدليـــل الواضح ، ليتخذ قراره مؤمنـــا به ، وليؤسس عقيدته خاليـــة من الشـــك والهوى ٠

ولا يفيـــد الجانب الروحى تقليد أعمى ، أو ظن وتخمين ٠ يقول الله تعالى : « **يا أيهـــا الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم** » (١) ويقول : « **وان الظن لا يغنى من الحق شيئا** » (٢) ٠

وبهذا المنهج الاسلامى لحركة النفس يتمكن الانسان من الوصول الى الحق فى كل مسألة يتعرض لهـــا ، أو تتعرض له ٠

وعلماء الاعلام المعاصرين يذهبون الى ضرورة أن يهتم رجـــل الاعـــلام بهـــذا اللون من الاتصـــال لمـــا لـــه من فوائد عديدة :

الفائدة الأولى :

يستفيد رجل الاعـــلام والدعوة من هذا الاتصـــال اكتشـــاف معالم نفسه ، ومعرفـــة قواهـــا وطاقاتهـــا لكى يتعامـــل معهـــا من منطلق تحريكهـــا نحو الأفضـــل ، وتوجيهها الى الحق المقنع ٠

ان النفس البشرية خلقهـــا الله تعالى مستعدة للخير والشر ٠ وقـــد فاز من أخذ بزمامها ، ووجهها نحو الخير ، وخسر من تركهـــا لهـــواهـــا وشيطانهـــا ، يقول الله تعالى : « **ونفس وما سواها فألهمهـــا فجورهـــا وتقواهـــا قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** » (٣) ويقول سبحانه : « **فأما من طغى وآثر الحياة الدنيـــا فان الجحيم هى المأوى وأمـــا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المـــأوى** » (٤) ٠

---

(١) سورة الحجرات آية : ١٢ ٠
(٢) سورة النجم آية ٢٨ ٠
(٣) سورة الشمس آية : ٧ — ١٠ ٠
(٤) سورة النازعات آية : ٣٧ — ٤١ ٠

الفائــدة الثانية :

يحتاج رجال الدعوة والاعلام الى معرفــة الكيفيــة المثلى التى تســاعد على نجاح الأمر بالمعروف فى نشر المعروف بين الناس • والى نجاح النهى عن المنكــر فى صرف الناس عنه لأن الانسان اذا علـــم مــدى التأثير فى نفســه استطــاع أن يستفيــد به عنــد الآخــرين ، ومن المعلوم أن الدعــوة تفيد اذا خاطبت العقل وناقشــت العــواطف وعاشــت حياة الناس وقضــاياهم ولذلك اشترط لهــا الامام الغزالى أن تثير داعى التفكير فى الانســان • والله سبحانه وتعــالى أمر بالدعــوة حين النفــع بهــا يقول تعالى : « **فذكر ان نفعت الذكرى** » (١) •

ولهذا فان رجال الاعــلام يستفيدون من الاتصــال الذاتى كيف يؤدون واجبهم على وجهه الحسن •

ان رجــل الاعــلام محتاج الى الوقوف على حقيقة النفس بصورة عامة لكى يتمكن من فهم نفوس من يعمــل على توجيههم وارشادهم • وهو اذ يعود الى نفسه يتخيلهــا نموذجا للخواطر والاحلام والاتجاهات لســائر النفوس ، وحينئذ يمكنه المساهمــة الايجابية فى تنمية الانسان وتوجيهه نحو الأفضــل ، ويتمكن من تأليف رسالة اعلاميــة مشتملة على عوامل الاثارة والجذب والاقنــاع •

الفائدة الثالثة :

يفيد الاتصــال الذاتى فى ايجاد الانســان الايجابى الذى يتمكن من اقامة علاقات حسنة بغيره • لأن الانسان اذ يدرس نفسه يكتشف رغباتهــا وطموحاتهــا • وحينئذ يتمكن من تحديد رغبات الآخرين بصورة اجماليــة وبذلك يتمكن من اقامة علاقــات طيبة معهم •

---

(١) سورة الأعلى آية : ٩ •

وعلماء النفس المعاصرون ومن شايعهم يتصورون خلوة الانسان صورة من الفراغ لا يفيد ، ويقولون ان الانسان فى تفكيره الذاتى يتأثر بحقيقته فهو عند فرويد متأثـر بسيطرة دافع الجنس ، وهو عند ماركس خاضع للمـادة فقط ، وهو عند داروين امتداد للحيوانية التى تطور منها ، وخلاصه من كل ذلك يكون بتجنب الخلوة ، والبعد عن التفكير المستقل ، وعليه أن يعدد نشاطه ، ويكثـر من الاختلاط ، ويملأ وقته بالحركة والعمل

وتلك نظرة بعيدة عن الصواب لأن الانسان انسان بروحه لا بجسده، وهو اذا أهمـل تنمية الروح نقـد أهمـل انسانيته وصار قريبـا من الحيوانيـة البغيضـة .

والأسلام لا يرضى للانسان هذه الصورة أبدا فعليه أن يتحرك بكافة طاقـاته وأهمها طاقة الفكر والروح ، ولذا يوجههـا الله تعـالى الى رسالتها حيث يقول تعالى : « **قل أنظروا ماذا فى السموات والأرض** »(١)

ويقول سبحانه : « **أن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهـار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعـلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنـا ما خلقت هـذا باطـلا سبحانك فقنـا عذاب النار** » (٢) .

والاسلام ينعى على الكافرين لأنهم أهملوا طاقتهم العقلية ، فيقول سبحانه : «**والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كمـا تأكل الأنعـام والنـار مثوى لهم** » (٣) وكان عليهم أن يتأملوا ويتفكروا فى آيـات الله وآلائه ومخلوقاته لكنهم ما فعلوا وأهملوا .

---

(١) سورة يونس آية : ١٠١ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٩٠ ـ ١٩١ .
(٣) سورة محمد آية : ١٢ .

ان الاسلام يعتبر الاتصال الذاتى منهجا تربويا متكاملا ويرى

ان الاقتناع بالدليل يجعل الانسان شخصا مؤمنا عن يقين ، ومن الأمور المؤكدة أن القلب اذا عرف ائتلف ، واذا اقتنع أيقن واذا وجه توجيها سليما مستقيما نحو الله وصفاته اهتز وجدانه ، وانفعل انفعالا حيا متجددا ، وانعقدت بين الله وبين القلب صلة لا تنقطع ، وتستمر فى صور شتى ، خشوع وتقوى ، مراقبة وخوف ، حب وتطلع ، اطمئنان وتسليم • وكل ذلك احساس فى النفس قبل أن يكون وجودا فى الظاهر والعلن (١) •

صدق الاسلام وصدق منهجه • وصار واجبا على رجال الدعوة والاعلام أن يهتموا بالاتصال الذاتى طاعة لدينهم ، وفائدة لأنفسهم وللناس أجمعين •

٢ — القرآن والاتصال الشخصى :

يحتاج الانسان الى الاتصال الشخصى ليعيش ويؤدى دوره كانسان ، ذلك أن البشر جبلوا على ضرورة أن يتعايشوا ويتصلوا • حتى أنه لا يمكن تصور انسان يعيش وحده منعزلا • وقد دلت التجارب والدراسات أن العزلة الطويلة تؤدى بصاحبها الى الأمراض النفسية والجسدية ، ولذلك قيل — بحق — ان الانسان مدنى بطبعه •

وأيضا : فان الانسان فى طفولته ونشأته يحتاج للاتصال الشخصى من أجل أن يتعلم اللغة والعادات وأنماط السلوك لأن هذه الأمور وغيرها تكتسب بالمحاكاة ، والتقليد ، والمشاهدة مما يجعلها مرتبطة بالاتصال •

وأيضا : فان هذا الاتصال يساعد الانسان على أداء دوره فى اقامة العمران البشرى ، وبواسطته يمكن تواصل الثقافات ، وترابط أحداث التاريخ •

---

(١) منهج التربية الاسلامية ج ١ ص ٧٩ •

أن الاتصـــال الشخصى ضرورى للانســـان ، ولذلك كانت حاجته الى الدراســـة والبحث ليكون مفيدا نافعـــا •

والاسلام دين الله الخالد ، يشرع دائمـــا ما فيه مصلحة الانسان ، ويضعه فى منهج سليم • ولذلك نراه يهتم بصور الاتصـــال • ويضعها فى قالب منظم • بعيـــد عن كل ما يسىء ويضر •

ويمكننا أن نتصور الاتصـــال الشخصى فى قالبه الاسلامى محددا بالأسس العامة التالية :

أولا : يرى الاسلام ضرورة هـــذا الاتصـــال ويدعو اليه • يـــدل على ذلك قوله تعالى : « **وتعاونوا على البر والتقوى** » (١) ، **وقوله** سبحانه : « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكـــر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكـــاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم** » (٢) ، وقوله سبحانه : « **انما المؤمنون أخـــوة فأصـــلحوا بين أخويكم واتقوا اللـــه لعلكـــم ترحمون** » (٣) •

ويمـــدح الله الانصـــار وهم يأتلفون مع المهاجرين فيقول الله تعالى : « **والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هـــاجـــر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجـــة ممـــا أوتوا ويؤثرون عـــلى انفسهم ولو كان بهم خصاصة ••** » (٤) •

فهذه النصوص من الكتاب وغيرهـــا كثير تشير الى ضرورة التواصل من أجل المصلحة وتحقيق الخير لسائر الأطراف •

ثانيا : يمنع الاسلام الاتصـــال اذا كان مؤديـــا للضرر • ومن هنـــا كان تحريم الاختلاط بين الرجل والمرأة ، ومنع مرافقة أهل السوء،

---

(١) سورة المائدة آية : ٢ •
(٢) سورة التوبة آية : ٧١ •
(٣) سورة الحجرات آية : ١٠ •
(٤) سورة الحشر آية : ٩ •

وهجر العصاة لأمر الله ورسوله ، لأن هذه المواطن تؤدى الى الضرر ، وينتشر خلالهـا السوء • وتجعل صاحبهـا يندم على حدوثهـا حينما يكتشف نتائجهـا • يقول الله تعالى : « **ويوم يعض الظالم على يديـــه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا • ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليــلا لقد أضلنى عن الذكــر بعــد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا** » (١) •

ثالثا : يرى الاســلام ضرورة توجيه العمليــات الاتصالية نحــو الفائدة المقصودة • ولا يصح تركهـا للتلقائيــة تعصف بهـا • وتصرفها عن وجهتهـا •

ان الاسلام يوجه الأشخاص ذات المسئولية للقيام بدورهم فى الاتصــال الشخصى كالآباء • والأزواج ، والولاة ، والعلماء • فكل هؤلاء مسئول عن دوره وعليه أن يحسنه • يقول الله تعالى :

* « **يا أيهـا الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا** » (٢) •

* « **ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهــدى من بعد مــا بينــاه للنــاس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** » (٣) •

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم : « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته** » (٤) •

رابعا : يرى الاسلام أن الاتصال يقوم على نمط معين ، ولا يمنع من تبديل وتنوع صوره فى اطــار الأسس المذكورة ، وحينمــا نعيش مع بعض الصور التطبيقية الاسلامية نجدها واضحة ملموسة •

---

(١) سورة الفرقان آية : ٢٦ — ٢٨ •
(٢) سورة التحريم آية : ٦ •
(٣) سورة البقرة آية : ١٥٩ •
(٤) صحيح البخارى •

ان الاسلام يرى أن الصورة الأولى للاتصال الشخصى هى ما حدث بين آدم وحواء عليهما السلام ، فلقد أوجدهما الله تعالى ليكونا أول زوجين فى الوجود تناسلت البشرية كلها منهما •

والاتصال بين الزوجين يقوم على المودة والرحمة كنمط لمسلك كل منهما ازاء الثانى بهدف تحقيق راحة نفسية وسكن وطمأنينة فى حياة الاسرة • يقول الله تعالى : **« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »** (١) •

وعلى ضوء الآية نلمس ما بين الزوجين من عشرة قائمة على الود والرحمة تؤدى فى النهاية الى السكن الجميل الذى يجعل الحياة الزوجية سعادة ورضا ، ولا عجب فالزوجان من نفس واحدة ، خلقها الله وأبدع صورة الاتصال بينهما وفى ذلك آيات لقوم يتفكرون وقد حدد الاسلام حقوق كل من الزوج والزوجة ليثمر الوفاق وتدوم النعمة ، وقد يحدث بين الزوجين تعارض بسبب نشوز أحدهما ، وحينئذ يمكن القول أن أثر الاتصال بينهما سلبى ، ولذا يحكم الاسلام العمل الاصلاحى وذلك بترك سبب الشقاق والنشوز الذى حدث بين الزوجين •

والنشوز قد يكون من قبل الزوجة ، أو قبل الزوج • فان كان من قبل الزوجة كان على الزوج أن يغير نمط اتصاله وفق منهج اسلامى مشروع • يقول الله تعالى : **« واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا أن الله كان عليا كبيرا »** (٢) •

وهكذا يكون مسلك الزوج بالوعظ ثم بالهجر فى المضاجع ثم بالضرب

---

(١) سورة الروم آية ٢١ •
(٢) سورة النساء آية ٣٤ •

الخفيف غير المبرح وغير المؤذى ، والهدف من تغيير نمط سلوك الـــزوج أن تتصلح الزوجة لتكون لزوجهـــا سكنا ورحمـــة .

وان كان النشوز من قبل الزوج فان للزوجة أن تغير نمط اتصالهـــا مع زوجهـــا لتصلحه عن طريق مواجهته ورفـــع الأمر لمن يصلحه . يقول الله تعالى : **« وان امرأة خافت من بعلهـــا نشوزا أو اعراضـــا فلا جناح عليهما أن يصلحـــا بينهما صلحـــا والصلح خير »** (١) .

وهكذا نرى الاتصـــال الزوجى ضرورة بشرية مشروعة ، تحددت فيه الحقوق والواجبات ، ووجه نحو غايته بأنماط متعددة ومعروفة ، والأمثلة فى الاسلام لهـــذا الاتصـــال كثيرة عديدة . ومنها الصلة بين الوالد والوالدة وولدهمـــا .

والصلة بين الوالدين والولد صلة أساسها الحب والخير حيث يوجه الآباء الابن ويربيانه على الخلق والاستقامة ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم **« ما نحل والد ولده خيرا من خلق حسن »** (٢) ويعمل الولد عـــلى المحافظة على حقوق أبيه وأمه استجابة لأمر الله ووصيته ، يقـــول : الله تعالى : **« وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا »** (٣) ويقول سبحانه **« ووصينـــا الانسان بوالديـــه حسنـــا »** (٤) ويقول : **« ووصينا الانسان بوالديه احسانا »** (٥) وبهـــذا تستمر الصلة بين الآباء والأبناء خيرة هادفة تحقق الحب والمودة بين الجميع . فى اطار أنماط معينة توصـــل للغـــايات المقصودة .

يقول الامام الغزالى : « والصبى أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيســـة ســـاذجة ، خاليـــة من كل نقش وصورة ، هو قابل لكـــل

---

(١) سورة النساء آية ١٢٨ .
(٢) رياض الصالحين .
(٣) سورة الاسراء آية : ٢٣ .
(٤) سورة العنكبوت آية : ٨ .
(٥) سورة الاحقاف آية : ١٥ .

ما نقش ، ومائل الى كل ما يمـــال اليه ، فان عود على الخير نشأ عليه ، وسعد فى الدنيـــا والآخرة ، وشـــاركه فى ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب وان عود على الشر وأهمـــل أهمـــال البهائم شقى وهلك ، وكان الوزر فى رقبة القيم عليه والوالى له (١) ٠

ان الاتصـــال بين الولد وأبويه يبدأ من مرحلة مبكرة ، فالولد يبدأ فى المحاكاة بعـــد عامة الأول ، تيتعلم اللغة والحركة ، وفى نفس الوقت يتعلم الخلق والسلوك ، ومناهج التعامـــل ، وطرق التصرف ، ولذلك كان الاهتمام بتحسين الاتصـــال ، وتسييره نحو تحقيق هدفه التربوى أمرا ضروريـــا لينجـــو الآباء والأبناء من مغبة الاهمـــال والمسئولية ، يقول الله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا »**(٢) فالعمل على وقاية النفس والولـــد والزوجة أمـــر واجب ، ومسئولية يحاسب الانســـان عليهـــا ، يروى أن عمر بن الخطـــاب رضى الله عنه **ســـأل النبى صلى الله عليه وسلم لمـــا سمع الآية وقـــال : يارسول الله نقى أنفســـنا ، فكيف لنـــا بأهلينـــا ؟ قال : تنهوهن عما نهى الله ٠ وتأمروهن بمـــا أمـــر الله ٠**

والاخوة — وبينهما علاقة خاصة — مكلفون بتحقيق التواصل ، ونبذ الشقاق فبينهما رحم يجب وصله بالخير ، والحب والمودة ، **« فالرحم معلقة بالعرش ، تقول : من وصلنى وصله الله ، ومن قطعنى قطعـــه الله (٣)** ، والمسلم حريص على صلة الرحم حتى لا يكون مفسدا ، ولا ملعونا من الله ، يقول الله تعالى : **« فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم » (٤)** ومن المعلوم أنه **« من كان يؤمن بالله واليـــوم الآخـــر فليصـــل رحمة »** ٠

---

(١) احياء علوم الدين ٠
(٢) سورة التحريم آية : ٦ ٠
(٣) رياض الصالحين ص ١٩١ ٠
(٤) سورة محمد آية : ٢٢ — ٢٣ ٠

والأفراد المسلمون مكلفون باقامة صلة التعاون والخير فيما بينهم .
يقول الله تعالى : « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** »(١)

ويقول : « **انمــا المؤمنون أخوة** » (٢).

ويقول : « **وتعاونوا على البر والتقوى** » (٣) .

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » (٤) .

ان الاتصــال الشخصى بين المسلمين قائم على التعاون ، والحب والخير والمودة على منهج الله ، في اطار الاسرة ، أو في أى اطار سواها ، والقرآن الكريم ملىء بصور الحوار وهو يعرض ألوانا للاتصال الشخصى كحوار نوح عليه السلام مع ابنه (٥) ، وكحوار ابراهيم عليه السلام مع أبيه (٦) ، وكحوار لقمان عليه السلام مع ولده (٧) ، وكحوار صاحب الجنة مــع صاحبه (٨) ، وكحوار موسى مع الخضر عليهمــا السلام (٩) وهكذا نجــد فى القرآن الكريم صورا عديدة للاتصــال ، وكلهــا تقــدم حوارا يهــدف الوصول للحق ، ويؤدى الى نشر الخلق والفضيلة .

ونمط الاتصــال الشخصى يقوم على المواجهــة والمشافهة كمــا هو ظاهــر من كل هذه الأمثلة القرآنية ، وبمراجعة السيرة النبوية نرى أن النبى صلى الله عليه وسلم عقب نزول الوحى عليه بدأ فى تبليغ ما وكل

---

(١) سورة التوبة آية ٧١ .
(٢) سورة الحجرات آية : ١٠ .
(٣) سورة المائدة آية : ٢ .
(٤) رياض الصالحين — باب فى النصيحة والحديث متفق عليه .
(٥) انظر الآيات ٤٢ ، ٤٣ من سورة هود .
(٦) الآيات ٤٢ — ٤٧ من سورة الروم .
(٧) الآيات ١٣ — ١٤ من سورة لقمان .
(٨) سورة الحجرات آية : ١٠ .
(٩) سورة المائدة آية : ٢ .

به ، وكان البدء مع من يعاشرهم من الناس ، فبدأ صلى الله عليه وسلم بزوجته خديجة رضى الله عنها . وكانت نعم الزوجة ، فآمنت وصدقت ، وساندت بنفسها ومالها رضى الله عنها ، ودعا الأقرب اليه كعلى ابن أبى طالب ، وأبى بكر الصديق وعثمان وغيرهم رضى الله عنهم ، حيث بدأ حركته فى الدعوة مع الاقربيين اليه ، يقول تعالى : « **وأنذر عشيرتك الأقربين** » وكان عليه الصلاة والسلام يدعو أهل مكة فردا فردا ، فهم عشيرته ، وأهله ، وكلهم يعرفه ويعرفهم ، ولذلك اتبع أسلوب الحوار والمشافهة .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يرسل الصحابى الى جهة مقصودة ليمكث بين بنيها يدعوهم فردا فردا عن طريق الحوار والمشافهة كما فعل صلى الله عليه وسلم حين أرسل مصعبا رضى الله عنه الى المدينة وحين أرسل معاذا رضى الله عنه الى اليمن . وهكذا .

ويجب أن لا نغفل عن اتصاله صلى الله عليه وسلم برجال الأوس والخزرج قبل أن يهاجر الى المدينة المنورة حيث بايعهم فى العقبة بيعتين اشترك فى البيعة الأولى اثنا عشر رجلا ، وفى البيعة الثانية ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان (١) .

ان هذا الاتصال يأخذ قوته من الثقة فى المصدر ، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مصدر التعليم والتوجيه ، ولذلك كان لبيعتى العقبة آثارهما فى قوة الاسلام وانتشاره .

وقد حكى القرآن الكريم العديد من صور الاتصال ، عن طريق حكايته لأسئلة القوم حيث كانوا يسألون عن الخمر والميسر واليتيم والمحيض والشهر الحرام وعن الأنفال وعن النساء (٢) وكانوا يسمعون الاجابة وافية من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سيرة النبى لابن هشام جـ ٢ ص ١٨٤ ، ١٨٨ .

(٢) انظر آيات الأسئلة وطلب الافتاء فى القرآن الكريم .

وتلك صور للحوار وهى فى نفس الوقت تشريع له .

٣ — القرآن والاتصـــال الجمعى :

الاتصـــال الجمعى اتصـــال مباشر يشبه الى حـــد بعيد الاتصـــال الشخصى . ولذلك كانت أسسهما العامة واحدة .

والاسلام كمـــا يهتم بالاتصـــال الشخصى يهتم بالاتصال الجمعى ومن ظواهـــر هـــذا الاهتمام تشريع صلاة الجماعة ، والجمعة ، والعيدين فكل هذه تجمعات منظمة ، فى أطر محددة ، تشير الى اتصالات جمعية اســـلامية .

وصلاة الجماعة : مشروعة فى الاسلام ، وثوابها أكثر من ثواب صلاة الفرد وحده بسبع وعشرين درجة . يقول النبى صلى الله عليـــــه وسلم : «**صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة**»(١) وما كان لصلاة الجماعة هذا الفضل الا لمـــا فيهـــا من الفوائد الكثيرة . حيث يتصـــل المســـلم باخوانه فيعرف أخبارهم ، ويشـــاركم أفراحهم وأتراحهم ، وكان المسلمون اذا تخلف أحد منهم عن الجماعة سألوا عنه ، فان كان مريضـــا عادوه ، وان كان مسافرا خلفوه فى أهله وولده بخير .. وهكذا شرعت الجماعة لتربط المؤمنين بالمودة والمحبة . ولتوجـــــــد المجتمع الموحـــد المتماسك .

وصلاة الجمعة : تجمع المصلين ليسمعوا خطبة الجمعة أسبوعيا ، وبذلك يتعلمون أمور دينهم ، ويجدون حلولا لقضاياهم ومشاكلهم .

ان خطيب الجمعة لو أحسن اختيار خطبته ، وأعدهـــا ، وأجـــاد عرضهـــا لقدم الاسلام من خلال المنبر والمسجد .

ان الخطبة تمثل اتصالا علميـــا بين الامام والناس يتكرر فى العـــام أكثر من خمسين مرة . وبذلك فهى أسلوب حسن لتقديم الاسلام . وتعريف الناس به .

---

(١) رياض الصالحين — باب فضل صلاة الجماعة ص ٥١٤ .

وكصلاة الجمعة صلاة العيدين فهى منهج للتعارف ، وتقبل التهانى بالعيد والاستماع لخطبة جامعة ٠

ان المسجد فى الجمعة والجماعة يجمع أبناء الحى ليتعارفوا ويتقاربوا ويتصافوا ، ويعلن كل منه ما يرى من خير ومعرفة ، فلقد وجد المسجد لذلك ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « **اعلنوا هذا النكاح ، واجعلوه فى المساجد** » (١) ٠

ان أداء القائم بالاتصال لدوره كاملا لا يتم الا بالمعايشة والمشاركة للجماعة ، ولذلك وجب على الاسلاميين أن يبدأوا حيث يوجد الناس ، ومن خلال المشاركة الحقيقية لهم ، ولهذا نرى توجيه الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : « **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه** » (٢) ومعنى هذا أن يستمر الرسول والدعاة من بعده فى معاشرة من يدعوتهم ، لوجهونهم ، ويعلمهم ، ويقوون ايمانهم ٠

ومن مظاهر هذا الاتصال اجتماع المسلمين فى موسم الحج ، اذ يلتقى المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها لأداء المنسك وفى نفس الوقت يشتركون فى هذا المؤتمر العام الذى يجمع المسلمون من قارات الأرض كلها ، فيتذكر كل حق أخيه عليه ، ويعلم حقائق ما يدور فى الأوطان الاسلامية ، ويتعاهد الجميع على التعاون على البر والتقوى ٠

يقول الدكتور يوسف القرضاوى : « فى مؤتمر الحج يلتقى رجال العلم ورجال الاصلاح ، ورجال السياسة ، ورجال الاعلام للتعارف والتفاهم ، والتعاون لتحقيق الأهداف الاسلامية العليا ، ولقد نبهنا الرسول صلى الله عليه وسلم الى قيمة هذا المؤتمر حين اتخذ

---

(١) كشف الخفاء جـ ١ ص ٤٥ ٠

(٢) سورة الكهف آية : ٢٨ ٠

منه مبدأ لاذاعة أهم القرارات ، واصدار أخطر البلاغات التى تتصل بالسياسة والحياة العامة للمسلمين ، وقد عرف علماء المسلمين قيمة هذا المؤتمر فاتخذوا منه فرصة لتبادل الرأى ، ورواية الأخبار والأحاديث •

كما عرف العلماء قيمة مؤتمر الحج فجعلوه وقتا ومكانا يلتقون فيه بالناس والولاة يسمعون المظالم ، وينصفون الناس •

تقول الدكتورة الايطالية « فاغليرى » عن الحج : « ان العرب والفرس ، والأفغان ، والهنود ، وأبناء شبه الجزيرة ، وأبناء المغرب ، والسودان ، وغيرهم ، كلهم يتوجهون نحو الكعبة المقدسة لمجرد التماس الغفران من الله الرحمن الرحيم وهم اذ يلتقون فى مثل هذا المكان لمثل هذا الغرض انما ينشئون صلات عديدة (١) • من المحبة والأخوة ، ويجعلون صلاتهم معتمدة على المعرفة والصدق •

ان الحج بما فيه من اتصالات ولقاءات يعد اتصالا جمعيا يلتقى فيه رجل الاتصال المسئول بالناس مواجهة لينصحهم بما يريد •

وجملة القول أن الاسلام أهتم بالاتصال الجمعى ونظمه فى توجيهات أخلاقية وصور عادية واجتماعية تحقق الهدف المقصود منه •

٤ — القرآن والاتصال الجماهيرى :

يتميز الاسلام عن سائر الأديان بعدد من الخصائص من أهمها :

الخاصية الأولى :

انه دين عالمى جاء للعالم كله ، وقد ظهرت هذه الخاصية فى نداءات القرآن الكريم (يا أيها الناس) ، (يا بنى آدم) ، كما أشار القرآن الكريم اليها بصراحة • يقول تعالى :

---

(١) العبادة فى الاسلام ص ٢٩٢ — ٢٩٤ بتصرف •

* « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (١) .

* « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً »(٢)

* « وما أرسلناك الا كافة للناس » (٣) .

* « قل يا أيهــا الناس انى رسول الله اليكم جميعاً » (٤) .

* « وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » (٥) .

فهذه الآيات تفيد صراحة أن الاسلام دين العالمين ، وأنه عـــام لمن عاصر نزول القرآن الكريم ومن سيأتى بعدهم الى يوم القيامة .

الخاصية الثانية :

انه دين خاتم لكل الأديان فلا دين معه ولا دين بعــده يقول الله تعــالى :

* « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتــم النبيين » (٦) .

* « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقــوا فيه » (٧) .

* « وأنزلنا الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتـــاب

---

(١) سورة الانبياء آية : ١٠٧ .
(٢) سورة الفرقان آية : ١ .
(٣) سورة سبأ آية : ٢٨ .
(٤) سورة سبأ آية ٢٨ .
(٥) سورة الاعراف آية ١٥٨ .
(٦) سورة الانعام آية ١٥
(٧) سورة الأحزاب آية ٤٥ .

ومهيمنا عليه » (١) .

وهكذا الاسلام خاتم لكل الأديان ناسخ لهـا مهيمن عليها ، مصدق لحقائقهـا .

وهذه الحقائق عن الاسلام تقضى بضرورة وجود حركة معرفيـة ومسلكية دائمة عن الاسلام على طول الزمن ومع الناس أجمعين ، وذلك يحتاج بالضرورة الى اتصـال شامل لجماهير الناس أجمعين .

واذا ما جاء رجال الاعـلام وخصوا الاتصـال الجماهيرى بصورة معينة ، فذكروا أنه الاتصـال الذى توجه الرسالة فيه الى الجماهير الغفيرة بواسطة أجهزة استحدثت لهـذا الغرض كالاذاعـة ، والصحيفة والمجلة ، الخ ...

فاننا نقول : ذلكم طريق الاسلام للوصول للناس حتى يبلغهـم بطريقة بينة واضحة ، لأن كثرة الناس ، وتعدد الأنشطة ، يدفـع بالضرورة الى اهتمـام الاسـلام بالاتصال الجماهيرى واعتماده عليه .

وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام بكـل ما أمكنه من وسيلة تبعـا لبيئته وعصره .

ومن أمثلة هذا الاتصـال أرسال النبى رسالة الى كل أمة من الامم، فلقد أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم رسائله الى كسرى فـارس وقيصر الروم ومن وراءهما ، وكذلك أرسـل الى النجاشى والمقوقس وغيرهم من الملوك والأمراء يحملهم مسئولية عدم الاستجابة بالنسبة لهم ولأممهم من ورائهم .

والمطلع على نص رسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلمح عموم الرسائل فلقد جـاء فى رسالته صلى الله عليه وسلم الى ملك الحبشة

---

(١) سورة الشورى آية ١٣ .

« **وانى ادعوك وجنودك الى الله عز وجل** » (١) ، وجاء فى رسالته صلى **الله عليه** وسلم الى ملك مصر « **فان توليت فان عليك اثم أهل القبط** »(٢) وجاء فى رسالته صلى الله عليه وسلم الى كسرى فارس : « **أسلم تسلم فان أبيت فاثم المجوس عليك** » (٣) وجاء فى رسالته عليه السلام لقيصر **الروم** « **أسلم تسلم أسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فان عليك اثم الأريسيين** » (٣) •

ان الرسائل النبوية لم تكن موجهة لفرد واحد ، وانما هى موجهة للملايين من الجماهير كما هو واضح من نصوصها ، وبذلك فهى بالمفهوم الحديث رسالة اعلامية جماهيرية تقصد توجيه الناس الى الدخول فى دين الله تعالى •

وكان عليه السلام يختم خطبه فى الجماعات الكثيرة بقوله : « **ليبلغ الشاهد منكم الغائب** »لتنتشر تعاليمه صلى الله عليه وسلم وتذاع فى جماهير المسلمين •

ومن صور الاتصال الجماهيرى **الجهاد الاسلامى** وهو صورة اعلامية من الزوايا الثالية :

أولا : يفهم الخصوم قوة الاسلام وشجاعتهم كما يفهم غيرهم ذلك مما يجعلهم يسمعون ويفهمون ويؤمنون •

ثانيا : تبرز التضحيات الاسلامية روح الرجل المسلم ، وحبه للقاء الله تعالى وتلك صورة عجيبة فى عالم الماديين تدفعهم الى التأمل فى قوة المسلم فى حياته ، وفى اقباله على الله تعالى •

ثالثا : يضمن الجهاد الاسلامى حرية الدعوة للاسلام بحماية الحق ورجاله من أى عدوان أو ظلم •

---

(١) زاد المعاد جـ ٣ ص ٦٠ •
(٢) زاد المعاد جـ ٣ ص ٦١ •
(٣) صحيح البخارى باب رسائله صلى الله عليه وسلم الى الملوك •

رابعـا : يوضح الجهـاد ايجابية الاسلام فى حركته لتحقيق أهدافه النبيلة فى كل مجالات الحياة .

ان الاسلام دين معرف يحتاج بصورة دائمة الى الاعـلام بـه والدعاية له ، والاعلان عن قراره وخصائصـه الحقيقية .

وأيضـا فانه دين عالمى شامل للنـاس جميعـا فى كل زمان ومكان ولا يتحقق هذا فى التطبيق العملى الا باعـلام الجماهير به ، وبكـل وسيلة ممكنة ، وبمختلف الأساليب المتاحة .

وعلى هذا فان ما أخترع من وسائل للنشر والاذاعة والاعـلام يجب أن يستفاد به فى التعريف بالاسلام ، وابلاغه للنـاس . وقـد يقف البعض موقف المتردد وهو يستفيد بأجهزة الاعـلام المعاصرة نظرا لمستواهـا الهابط ، ومضمونها العنصرى الذميم ، ومساهمتهـا الضارة فى تكوين وتوجيه الرأى العـام .

ولا يصح التردد لهـذا أو لذاك ، نظرا لخطورة الاعلام كسلاح يجب الاستفادة به ، لأن تركه فى أيدى الأعداء وحدهم يجعله هداما لعقيدتنـا وقيمنا ، واذا كان الاسلام يقر التوجه الى عقـول الناس بالفكر ، والحوار ، والموعظة ، والحكمة ، ودعوتهم بالحسن ، والاقناع ، فان الأمـر يدفـع الى ضرورة بذل كافـة المحاولات الجـادة فى سبيل وضع أجهزة الاعـلام فى خدمـة الاسلام وتبليغه والدفـاع عنه .

ان الاحساس بخطورة أجهزة الاعـلام والوقوف على قوة تأثيرها يلزم المسلمين المخلصين بضرورة الاستفادة بهـا لتكون خيرا فى أيديهم وليس من الورع عـدم الاستفادة من وسائل الاعـلام وقد غزت العقول والعواطف ، ووصلت الى الخاصة والعامة ، وعاشت مع الجميـع فى الليـل والنهـار ، ودخلت مع الناس فى مكان النوم والعمـل ، ان صمت

المسلمين فى وقت علت فيه صيحات الكفر والنفـــاق أمـــر لا يجوز أبدا ولابد أن يعلو الحق وأهله ويظهر فى العالمين •

على المسلمين أن يقدموا دينهم نقيا للعالم كله فهى مسئوليتهم ، مع ملاحظة أن اشتراكهم ومساهماتهم فى كل عمـــل جـــاد يفيـــد توجيه وسائل الاعلام وينقيهـــا من أى مخالفة شرعية ، ويجعلهـــا جهازا مسخرا لتبليغ دين الله تعالى ••

* * *

الفصل الرابع

أطراف العملية الاعلامية
فى القرآن الكـريم

١ ــ المرســـل ٠
٢ ــ الرســالة ٠
٣ ــ الوسيلة ٠
٤ ــ المتلقى ٠

الكلمة أساس الاتصـال بين الناس منذ القديم ، ولذلك أحاطهـا المفكرون بالدراسـة والبحث حتى صارت علمـا متكامـلا له دوره فى تحقيق الخير للانسـان ، وقد اهتمت الأمم القديمة بفن توجيه الكلمة ووضعوا الأسس والمبادىء التى تنظم مسارها حيث قـام كل من « بورويكوس القوسى » « بروتاغوراس » و (جوورجياس) وهم من علماء اليونان بفتح مدارس يعلمون فيهـا قوانين فن الكلمـة ومناهجها وأركانهـا ، ومـا تحتاج اليه لتكون مثيرة مؤثرة •

وقد خطـا « سقراط » خطوة أخرى فى هذا الفن فنادى بدارسـة النفس الانسـانية للوقوف على كيفيـة التأثير فيهـا لتحقيق الهـدف من الجدل والحوار •

ولما جاء « أرسطو » نجده يفصـل فى فن الكلمة • ويؤلف كتابا فى الخطابة تكلم فيه عن الخطيب وشروطه كمصدر للخطبة ، وتكلم فيـه عن الخطبة ذاتهـا • وطريقة اعدادهـا وصياغتهـا ، وتكلم كذلك عن المستمعين ووضح كيفيـة وأسلوب مخاطبتهم •

•• وكان العرب فى الجاهلية يهتمون بفن الكلمة يلقونهـا شعرا ونثرا ، فى الأسواق والمنتديات ، وبواسطتهـا حفظوا أنسابهم وأيامهم وسائر الأحداث التى وقعت لهم ، وقـد أدى تميزهم بالحفظ الى تداول خطبهم وأقوالهم ممـا جعل الجاحظ يقول : « وجملة القـول أنا لا نعرف الخطب الا للعرب » (١) يقول ابن ارشـد : « ان الكلام مركب من قول هو الخطبة ، ومن قائل هـو الخطيب ، ومن مقول به وهو وسيلة الخطبة ، ومن مقول فيه وهو الذى يعمـل القول فيه ويوجه القول اليه وهـم المستمعون » (٢) ولعل قوله : « الـذى يعمـل القـول فيـه » يشير الى الأثـر المقصود •

---

(١) البيان والتبيين جـ ٣ ص ٢٧ •
(٢) تلخيص الخطابة جـ ٢٨ بتصرف •

ولما جـاء الاسلام اهتم بالعلم عـامة • وبفن التوجيه والاتصال بصورة خاصـة • الأمـر الذى أدى الى نمو فن الكلمة بصـورة واضحة ويرجع اهتمـام الاسـلام بهـذا الفن الى أسباب منهـا :

أولا نزول الاسـلام وحيا من عند الله تعالى يحتـاج الى حامل يبلغه للنـاس وقد حمله رسول الله صلى الله عليه وسـلم بصـدق وأمانة • ومن بعده يجب أن يستمر المسلمون فى تبليغه للنـاس بصورة مناسبة • وهـذا يؤكد ضرورة وجود الدعـاة الفاهمين القادرين على توصـيل الاسـلام لكافـة الناس •

ثانيـا : يحتاج الاسلام فى حركته أن يكون واضحـا معروفـا بصورة سهلة مميزة • وذلك لا يكون الا بصياغته فى رسـائل وكلمـات سهلة الفهم • موجزة المعنى • منسقة فى دلالتهـا ومعانيهـا ، الامـر الذى يحتاج الى اتقـان علوم الكلمة بصورة حسـنة •

ثالثا : يحتاج عرض الاسـلام الى مراعاة واقع من يبلغ لهم • ليفهم الاسـلام وليبلغ على وجهه السليم •

كما يحتاج الدعـاة الى اكتشـاف أثـر دعوتهم فى الناس ليقفوا على المعوقـات ، وبعدهـا يقدمون العـلاج المناسب للمستحقين •

رابعـا : العرض الشـامل للاسـلام يحتاج الى كل وسيلة ممكنة مادامت مشروعـة •

لكل هذا نقول عن ثقة : ان الانسـان كان دائمـا يهتم بالكلمـة ، وأن الاسلام على وجه الخصوص أهتم بأركان عملية الاتصـال من أجل تحقيق الاستفادة القصوى منهـا لصالح الناس •

ولهذا فحينمـا نتكلم عن الأسس الصحيحة لعمليـة الاتصـال نجـد أنفسنـا أمـام الموقف الاسلامى الذى وضع صورة واضـحة

لهـذه الاسس ، وقــد جاءت الدراســات الحديثة ونادت بهـــا بعد اجراء التجارب والابحــاث ٠

وفى المباحث التالية سوف نستعرض موقف القرآن الكريم من :

١ ــ **المرســل :**

٢ ــ **الرســالة ٠**

٣ ــ **الوســيلة ٠**

٤ ــ **المتلقى ٠**

وذلك فيما يلى :

(المرسـل)

الاســلام ثابت بثبوت مصــادرة التى نزلت من عند الله تعالى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو مبلغ دين الله للنـاس ، والمسلمون من بعده فى كل العصور مسئولون عن تبليغ الاسلام .

وفى اطار الاعــلام الاســلامى يكون المرسـل هـو الطــرف الذى يحمـل قضـايا الاسلام ليعرفها النـاس عبر وسـيلة معاصرة .

ولذلك فقـد يكون المرســل فردا ، أو جماعـة ، أو مؤسسـة ضخمـة كمـا هو مشــاهـد فى الاعــلام الحديث .

ومخاطبة الانســان تحتاج الى فن خاص من أجل الوصول الى عقله وعواطفه ، واقنــاعه بالرســالة الموجهة اليه .

ومن هنا جاء القرآن الكريم حامــلا معه منهج الله فى تحديد حركة حامــل الرســالة للنـاس ، ومن شواهـد الحق أن التجارب العلميـة الحديثة توصلت الى ما نادى به الاســلام منذ أربعـة عشر قرنا .
ولأهميــة المرســل كانت ضرورة العناية باعــداده وتكوينه . وفى هـذا المبحث سأتناول بعض النقاط المتصلة بالمرســل وهى .

١ — الفرق بين رجل الاعــلام والداعية .

٢ — خصائص المرســل .

وذلك فيمــا يلى .

رجـــل الاعــلام

والفرق بينه وبين الداعية

رجل الاعــلام هو الشخص الذى يقوم باعداد الرســالة الاعلامية وتقديمهـــا للنــاس ، أو بأحــد هذين الامــرين وقــد أدى التطــور العلمى ، والاتجــاه التخصصى فى كافــة المناشــط الى تحديــد مجال نشــاط رجل الاعــلام وبذلك تميز نشاطه عن بقية الانشــطة التى تقوم بتوجيه وتعليم الجماهير كنشاط المشرف الاجتماعى ، والمعلم ، والداعية ووجه الشــبه قريب بين الداعية وبين رجل الاعــلام الاسلامى من زاوية أن كلا منهمــا يبلغ الاسلام ، ويدور مــع تعاليمــه وتوجيهــاته محتسبا أمره كلــه لله تعالى •

الا أن الفرق بينهما يمكن اجماله فيما يلى :

١ ــ الداعية يعمــل فى دائرة أوســع لأنه يلقى مواعظه غير مرتبط بمكان معين ، أو بجماعة معينين لأن من الممكن ان يقــوم الدعــــــاة بارشــاد عمــال المصــانع ، ورجــال الجيش ، وتلاميــذ المدارس وغيرهم حســب خطــة يضعونهــا ، بينمــا رجــل الاعــلام يعمــل فى دائرة محددة بواسطة الوسيلة التى يعمــل بهــا ، وهى أحد الوسائــــل الحديثة •

٢ ــ الداعية يقوم بوظيفته مستفيدا بكل اشــكال الاتصال وأنواعه فهو يعتمــد على الاتصــال الشخصى والجمعى وغيرهــا ، بينمــا رجل الاعــلام لا يعمــل الا من خلال الاتصال الجماهيرى حيث ان وســائل الاعــلام المعاصرة هى أداة للوصول للجماهير • وقــد ذهب العلماء الى أن المفهوم العلمى للاعــلام يعنى الاتصــال الجماهيرى فقط (١) •

---

(١) انظر ص ١٥٤ ، ١٥٥ •

٣ — ثقافة الداعية تعتمـد على الجانب الدينى وتناوله الجانب التطبيقى يتم بطريقـة موجزة ، بينمـا ثقافة رجل الاعـلام تعتمـد على الجوانب التطبيية العلميـة حتى أن الجوانب النظرية فى ثقافته تعد تمهيدا للتطبيق العملى ، أمـا تناوله للثقـافة الدينيـة فانهـا تكون موجزة ٠

وقـد نتج تباعـد بين وظيفتى رجال الدعوة والاعلام بسبب تركيز كل فريق على جانب واحـد من الثقـافة حتى رأينـا اعلاميـا بعيـدا عن الثقافـة الدينيـة ، ورأينـا بعض الدعـاة بعيدين عن ممارسـة التطبيق العملى فى وسـائل وأدوات الاعـلام ٠

ان الواجب أن يتقارب الدعـاة ورجال الاعـلام فى الثقـافـة ليتمكنـا سويـا من خدمـة دينهم وأمتهم ٠

٤— رجل الاعـلام يهتم بالحديث المثير ، والأخبـار الجـديدة ، فهو يجرى وراءهـا ليحقق بنشرهـا سـبقـا اعلاميـا ، بينما الداعية يجعل تعليم دينه الناس كل مهمته ٠ وان تناول بعض الأخبـار فلكى تكون شواهـد مؤثـرة فى موعظته وتوجيهه ٠

٥ — الداعية يلتقى فى الموقف الواحد اثناء حركته بعدد محدود من الناس ، الأمـر الذى يؤدى الى اقامة علاقـات مباشرة معهم ، وهـذا يسـاعده على التبسط فى الحديث وفتح باب الجوار ومعرفة أثر دعوته فى الناس ، وكل ذلك يساعده على معرفة شأن كلامه ، وتحسين مناهج دعوة الناس ٠

اما رجل الاعـلام فهو يرسـل متحدثا أو كاتبا عبر وسيلة معاصرة وبرغم خطورة الوسيلة فانهـا لا تكشف أثـر الرسـائل على الفور ، وانما يحتاج الأمر الى دراسـات وابحـاث عديدة ٠ وهـذا الحـال يلزم رجل الاعـلام بتحسين رسائله ، ومداومة التحصيل العلمى ٠

٦ ـ تختلف التبعيـة الوظيفية لرجـال الدعـوة ورجـال الاعلام فرجـال الاعـلام تابعون لوزارات ومؤسسات الاعـلام فى الدول الحديثة بينمـا رجـال الدعـوة تابعون لوزارات الاوقاف والمؤسسات الدينيـة المتخصصة بالفتوى والبحوث الدينية ، وهذا الأمر يعـطى انطباعـا بأن الاعـلام بعيد عن الدعـوة ، وهو انطباع غير سـليم لأن مؤسسات الاعـلام ومؤسسات الدعوة فى المجتمـع المسـلم تعمل لخدمة الاسلام والمسلمين .

(خصـــائص المرســـل فى القرآن)

يمد القرآن الكريم المرسل ورجال التوجيه بمجموعة من الارشادات ومنها نلحظ أن أهم الخصـــائص التى يحتاج اليها رجل الاعـــلام ما يلى :

أولا : على القائم بالاتصـــال فى الاسلام أن يكون مخلصـــا فى دعوته ، صادقـــا معهـــا • وذلك بأن يمتن صلته بالله فى يقين وقوة ، ويجعل ايمانه قائمـــا على التوجه التام لخالقه ، والتوكل الصـــــادق عليه ، والتسليم الدقيق لقضـــائه وقدره من غير حرج أو ضيق •

والقرآن الكريم يحدد هـــذا الايمـــان حيث يقول الله تعالى :

❋ **« ان الهكم لواحد »** (١) •

❋ **« لا تتخذوا الهين اثنين انمـــا هو اله واحد »** (٢) •

❋ **« خالق كل شىء وهو الواحد القهار »** (٣) •

❋ **« ليس كمثله شىء وهو السميع البصير »** (٤) •

❋ **« فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون»**(٥)

ان القرآن الكريم يعـــرف بالله سبحانه وتعالى ليؤمن المؤمنون ، ويدعو الدعاة اليه • وقـــد عرفنـــا كيف يوجه الاسلام الانسان ذاتيـــا لينظم تفكيره وتدبيره ليصـــل به الى الايمان الصحيح •

---

(١) سورة الصافات آية : ٤ •
(٢) سورة النحل آية : ٥١ •
(٣) سورة الرعد آية : ١١ •
(٤) سورة الشورى آية : ١١ •
(٥) سورة العنكبوت آية : ١٧ •

وعلى الدعـــاة ورجال الاعلام أن يؤمنوا أولا قبل دعوة غيرهم الى الايمان ، ليكونوا صادقين فى عملهم ، ومخلصين له • وليتمثلوا فى ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال الله تعالى عنه مصورا لحاله كداعية يقول تعالى : « **قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين** » (١) • وهذه الآية تحدد ضرورة التجرد الكامل لله بكل خالجـــة فى القلب ، وبكل حركة فى الحياة ، بالصلاة والاعتكاف ، وبالمحيا والممات، وبالحيـــاة الواقعية ، وبالممات وما وراءه •• ، انهـــا تسبيحة التوحيد المطلق ، والعبودية الكاملة ، تجمـــع الصـــلاة والاعتكاف والمحيـــا والممات ، وتخلصهـــا لله وحده ، لله رب العالمين ، القوام المهيمن ، المتصرف ، المربى ، الموجه ، الحاكم للعالمين •• فى اســـلام كـــامـــل لا يستبقى فى النفس ولا فى الحياة بقيـــة ولا يعبدها الا لله ، ولا يحتجزدونه شيئا فى الضمير ، ولا فى الواقـــع • وبذلك أمـــرت فسمعت وأطعت وأنا أول المسلمين (٢) •

ان الصدق الحقيقى هو مطابقة العمـــل للقول • يقول تعـــالى : « **رجـــال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظـــر وما بدلوا تبديلا** » (٣) •

ان رجل الاعـــلام المسلم عارف بربه ، مؤمن به ، مطبق لأوامره، مبتعـــد عن نواهيه ، مخلص لدينه كل الاخـــلاص ، وذلك مفتـــــاح نجاحه ، ووصوله لغايته المرجوة •

ثانيا : على رجل الاسلام المسلم أن يتعامـــل بالخلق الكريم الذى يحقق المودة والتآلف بينه وبين الناس ، وذلك باتباع النصـــائح القرآنية فى مجـــال الاخـــلاق وحسن السلوك •

---

(١) سورة الأنعـام آية ١٦٢ •
(٢) فى ظلال القرآن جـ ٣ ص ١٢٤١ ، ١٢٤٢ •
(٣) سورة الاحزاب آية ٢٣ •

يقول الله تعالى :

*** « فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين » (١) ٠**

*** « خذ العفو وأمـــر بالمعروف واعرض عن الجاهلين » (٢) ٠**

*** « تلك الدار الآخرة نجعلهـــا للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فســـادا والعاقبة للمتقين » (٣) ٠**

*** « سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق »(٤)**
*** « وتعاونوا على البر والتقوى » (٥) ٠**

*** « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالولدين احســـانا وذى القربى واليتامى والمســـاكين والجار ذى القرى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم (٦) ٠**

*** « وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخـــرة ولا تنس نصـــــيبك من الدنيـــا » (٧) ٠**

ان هذه الآيات تعلم القائمين بالاتصـــال والدعـــاة وســـائر الناس وتوجههم الى التســـامح فى المعاملة ، والاحســـان فى الأقوال والأفعال، والصفح الجميـــل عن أخطـــاء الآخرين ، والتماس العذر لهم فهم أخوة، واللين معم أولى ٠

كما توجه الى التواضع ، وترك الكبر ، وتقديـــر حق الآخـــرين والتســـليم بمقاديرهم ، وحجر الفســـاد عمـــلا وقصدا ٠

---

(١) سورة المائدة آية : ١٣ ٠
(٢) سورة الأعراف آية : ١٩٩ ٠
(٣) سورة القصص آية : ٨٣ ٠
(٤) سورة الأعراف آية : ١٤٦ ٠
(٥) سورة المائدة آية : ٢ ٠
(٦) سورة النســاء آية : ٣٦ ٠
(٧) سورة القصص آية : ٧٧ ٠

كمـــا توجه الى ضرورة التعاون الاجتماعى العام الشـــامل للقريب وللبعيـــد ، للمحتاج ، وغير المحتاج •

كمـــا توجه الى ابتغـــاء ما عند الله وذلك يكون بالاستقـــامة التامة على منهج الله وشرعه فى الدنيـــا •

ومن المعلوم أن رجل الاعـــلام المســـلم مكلف أن يقـــوم بهـــذه التوجيهـــات قبل أن يأمـــر بها ، ويوجه اليها ، ليكون مؤمنـــا بحق ، وليستجاب لـــه ، ولتتحقق الثقة فيه •

ثالثا : على رجل الاعلام المسلم أن يكون عالمـــا بموضوعه ، وباللغة التى سيتحدث بها • وبالجمهور الذى سيخاطبه ، لأنه بالعلم يبلغ دينه على وجهه المطلوب •

ان الاسلام الذى جعله رجل الاعلام موضوعا لرسائله ليس مجموعة من التعاويذ أو الطلاســـم ، وانمـــا هو توجيـــه يستخرج من كتـــاب كريم • وهـــذا يحتاج الى الفهم الدقيق ، والاجتهـــاد الصحيح ، والعلم الواعى ليفهم ما فى الكتاب ويبلغ •

ان الاسلام دعا الى العلم ، وحث عليه • وأول آيات القـــرآن الكريم نزلت تأمـــر بالقراءة ، وقـــد فضـــل الله العلماء على غيرهـــم درجـــات ، وجعـــل العلماء من أولى الأمـــر لعلمهم بالدين ودعوتهم له •

ان العلم يمكن رجل الاعـــلام المسلم من استعمـــال الاسلوب المفهم المثير لأنه يكشف له العديد منهـــا •

كما أن العلم يجعله عارفا بالناس وأوضاعهم • وهذا يمكنه من تخير الظرف المناسب ، والكلمة المناسبة ، والموضوع المناسب ، وهـــو مأمور بهـــذا • يقـــول الله تعالى :

*** « فذكران نفعت الذكرى » (١) .**

*** « واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعــرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره » (٢) .**

*** « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عــدوا بغير علم » (٣) .**

وهذه الآيات لا يمكن الوصول لمضمونهــا الا بالعلم الشــامل لسائر الجوانب المفيدة فى عملية الدعــوة .

رابعــا : على رجل الاعلام المسلم أن يحرص على تبليــغ دين الله تعالى ويسعى بصبر ودأب الى ذلك حرصــا على مصلحة الناس ، انطلاقا من قوله تعالى :

*** « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » (٤) .**

*** « واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا » (٥) .**

*** « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه » (٦) .**

*** « فلا تبتئس بمــا كانوا يعملون » (٧) .**

*** « فاصدع بمــا تؤمــر واعرض عن المشركين » (٨) .**

---

(١) سورة الأعلى آية : ٩ .
(٢) سورة الأنعــام آية : ٦٨ .
(٣) سورة الأنعــام آية : ١٠٨ .
(٤) سورة العصر آية : ٣ .
(٥) سورة المزمل آية : ١٠ .
(٦) سورة الكهف آية : ٢٨ .
(٧) سورة يوسف آية : ٦٩ .
(٨) سورة النور آية : ٥٤ .

فهذه الآيات وغيرهـا توجه القائم بالاتصـال الى ضرورة التحلى بالصبر وحسن الخلق ليتمكن من ايصـال رسائله الى الناس مؤثـره فقبوله •

ويجب أن يكون واضحا ان اخلاق المرسـل لهـا دور رئيسى فى النجاح ، ولذلك يقول ابن وهب : على الرسـول أن يؤدى ما حمـل كما قال تعالى « **فانما عليه ما حمـل** (١) وكما قال تعالى « **فهل على الرسول الا البلاغ المبين** » (٢) •

وانما وجب عليه البلاغ لأن الرسـالة أمانة فعليه تأديتهـا لقوله **تعالى** : « **ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلهـا** » •

ويذهب ابن وهب الى أن الداعية والحامـل للرسالة يجب أن لا تكون فيـه العيوب التالية :

الحـدة : فان صاحبهـا ربمـا فقد عقله ، وليس من الحـزم أن يقيم الانسـان مقامه من يفقد عقله •

الحسـد : فان صاحبه عدو نعم الله عز وجل ، ولا يحب أن يـرى حالا مستقيمة ، ومتى رأى شـيئا من ذلـك حمله حسـده على أن يفسـده •

الغفلة فان صاحبها لا يضبط ما يحمـل ، ولا يعود بمنفعـة أبدا •

العجلة فان صاحبها يضع الاشياء فى غير مواضعهـا ويسـبق بهـا أوقات فرصها •

النميمـة : فانهـا تفسـد الاخاء وتكدر الصفاء ، ولا يتم معهـا أمر ، ولا ينجح لصـاحبهـا مطلب •

---

(١) سورة النحل آية ٣٥ •

(٢) سورة النسـاء آية : ٥٨ •

الكذب :فانه مجانب للايمان • وليس للكذوب رأى •

الضجر : فليس للضجور صبر على حفظ رسالة ولا تأدية أمانة •

العجب . فان صاحبه منه فى غرور ، وربمـــا حمله عجبه على أن يخالف فيمـــا لا فائدة فيه اعتدادا بذاته •

الهذر : فان من كثر كلامه كثـــر سقطه ، ومن ســـقط لا يحفـــظ سر صاحبه ، وأبداه ، وان لـــم يكن ذلك مغزاه (١) •

ان قضية رجل الاعلام المسلم هى دينه ، يشرحه ، ويدعو اليـــه ، ويدافـــع عنه ••• وهذه القضيـــة ثابتة ، ومفصلة ، ومحكمـــة ، ومدعمة بالدليـــل اليقينى ، والبرهان الساطع ، انه بقضيته (دينه) يعيش دائما مع القرآن الكريم والســـنة النبويـــة لا يتغير ولا يتبدل ، وهـــو حين يبحث عن ثقة الناس لا يثير شهواتهم ، ولا يشبع غرائزهم بالحرام ، وانمـــا يرفـــع آمال الناس وأحلامهم بمـــا يرضى الله ورسوله ، وبمـــا يحقق المصلحـــة ويسعد الجميـــع •

انه لا يخدم قضية حرمهـــا الاسلام أبدا ، ولا يعمـــل لنظـــام يحارب الله ورسوله ، ولا يبحث عن ثقة الجمهور باثارة الشهوة المحرمـــة وايقاظ الدوافـــع المشينة •

وأمـــل رجل الاعلام المسلم فى ربه • وأمانيه العاجلة أن يرضى فى الدنيا ، ويوفق « **فلا يضل ولا يشقى** » **وأمانيه بعد الموت أن يســـعد** برؤية خالقه والفوز بالجنة ، وأن يكون من هؤلاء الذين قال الله فيهم :

❊ « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » (٢) •

❊ « يا أيتهـــا النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضـــية مرضية

---

(١) البرهان فى وجوه البيان ص ٢٢ ، ٢١٨ .
(٢) سورة الحجـــر آية : ٩٤ •

فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » (١) •

ان أمله ارضـــاء الله تعالى ، وليس جمـــع المال واكتســـاب الجاه • وهـــذه الآمال تنعكس دائمـــا على الخلق والسلوك •

ومسئولية رجل الاعـــلام المسلم دينية بحتة • والله عليـــم بكل شىء ، مطلع على الاسرار والنوايـــا • وهـــو — سبحانه — يحـــاسب العبد بعدل دقيق ، وهـــذا يدفـــع رجل الاعـــلام المســـلم الى الالتزام الدائم بالأمانة التى وكلت اليه ، انه عبد يخشى خالقه ويتقيـــه • وهو فى هـــذا الاطـــار يتحرك •

هـــــــذا •

وقـــد توصـــل العلماء المعاصرون بأبحاثهم وتجاربهم الى ما نادى القرآن الكريم به منذ أربعـــة عشر قرنـــا ، ومن بين ما نادوا به •

(أ) أن يكون المرسل محل ثقة جمهوره • بأن يكون ودودا معهم بحيث لا يشكون فى الأمور التى يحدثهم فيها • وهـــذا سر تأثير الشـــيخ على قبيلته ، والزميل فى أصدقائه (٢) • يرى أرسطو أن الاخلاق الحسنة والنوايـــا الطيبة تســـاعد على الثقـــة ، ويذهب الباحثان (هوفلاند) و (جانيس) الى أن الخبرة والكفاءة يدفعـــان الى تصديق المصـــــــدر والثقـــة به (٣) •

ومن اكبر ما يؤدى الى الثقـــة التحلى بمكارم الأخـــلاق كالامانة، والكرم ، والتواضع ، والمودة وحب الناس ، وذلـــك كله يدفـــع الى تقبـــل رسالة المرسل • ان الجمهور اذا أحس بأن المرسل انســـــان مأمون ، وعادل ، وطيب ، وودود ، ونزيه ، فانه يثق به ، ويتأثـــر بمـــا

---

(١) سورة الفجر : آية : ٢٨ — ٣٠ •
(٢) وسائل الاعلام والتنمية الاجتماعية ص ١٣ •
(٣) الاسس العلمية لنظريات الاعـــلام ص ٥٠٤ •

يقـــول (١) •

ان المصدر فى رسائله يقصـــد الناس ، ولذلك كان عليه أن يكـــون محل ثقتهم ليرتبطوا به ، ويتأثروا بتوجيهـــاته ، ويطيعوا ارشـــــاداته ونصـــائحه •

(ب) أن يكون المرســـل مخلصـــا لقضيته التى ينادى بهـــا •

ان المتلقى حينمـــا يشعر بأن المرســـل يناديه باخـــلاص يســـمع له ، أما اذا شعر بغير ذلك فانه ينصرف عنه ، تقول الدكتورة جيهـــان روشتى : ومن الجديـــر بالملاحظة أنه فى المجتمعـــات التى تخضـــع فيهـــا وســـائل الاعـــلام للسيطرة القوميـــة يبدأ الافراد فى التشـــكك فى صدق ما تنشره وســـائل الاتصـــال الجماهيرية (٢) • وسبب ذلك أن الجمهور يتصور أن المصـــدر موظف يؤدى عمله فى دوره المحدد بمقتضى مكانه الرسمى ، ولذلك يشـــك فى اخلاصـــه لتوجيهـــاته •

ولعل أوضح ما يـــدل على اخلاص المصدر أن يطبق ما ينادى بـــه على نفســـه وحينئذ يصدق العمـــل القول • أما اذا حدثت المخالفـــة فانه نكوص يؤدى الى عـــدم التأثير •

لابد أن يتفاعل المرســـل برسالته بصورة ايجابيـــة أولا وذلـــك عنوان الصدق والاخـــلاص •

(جـ) أن يكون المرسل عليمـــا بموضوعه ، محيطـــا بجوانبـــــه المختلفـــة ، لان ذلك يجعله يحسن توجيه رسالته تامـــة واضحـــــــة ، والمصدر ان لـــم يكن عالمـــا بموضوعه لا يتصور نجاحه • ومن المعلوم أن فاقـــد الشىء لا يعطيه •

(د) أن يدوام المرســـل على المنـــاداة بما أمن به ، وأخلص له ، ولا يتعجل ظهور التغيير والتأثير ، لان استمراريـــة الاتصـــال وتكراره

---

(١) المصدر الســـابق ص ٥٠٥ •
(٢) المصدر الســـابق ص ٢٩٩ •

يؤديان الى تأثير واضح بعـــد انقضـــاء فترة من الزمن وهـــو ما يعرف بظاهرة (التأثير النائم) وتفسر هذه الظاهـــرة بأن الأفـــراد ربمـــا يشـــكون فى بادىء الامـــر فى موضوع الرســـالة ، وفى نوايـــا المصدر الا أنهم بعـــد مـــدة يفصلون المضمون عن المصدر وحينئذ يكـــون تذكرهم وتقبلهم (١) •

ان الجمهور فى بادىء الأمر قـــد يكون متأثرا بعـــادة ، أو مقيـــدا بتقليـــد ، أو مبهـــورا بتوجيـــه • وهـــو فى هـــذه الحالات يحتاج الى الاستمراريـــة فى التوجيه والارشـــاد •

هذه توجيهـــات المعاصرين للمرســـل توصلوا اليها بعد الدراسات والتجارب العديدة وهى تلتقى مع ما جـــاء به الاســـلام منذ ظهـــوره على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهـــذا يدفـــع الى الاعتزاز بالاسلام والتمســـك بمـــا جاء به •

---

(١) المصدر الســـابق ص ٣٠٠ •

الرســــالة

الرسالة هى المنبه الذى ينقله المرســـل الى المستمع فى شـــكل معلومات ومعانى مصبوبة فى صيغ مفهومة ، والرســـالة هى أســـــاس العمليـــة الاعـــلامية • فمن أجلهـــا يعمـــل المرسل ويستخدم الوسيلة ، ويصنف الجمهور لتوجه الرســـالة اليه مفيدة ، مؤثـــرة •

ونظرا لأهمية الرسالة كانت الدراســـات والتجارب من أجل وضـــع الأسس المنظمـــة لهـــا ، لتؤدى دورهـــا الذى وضعت له •

وأهم هـــذه الأسس ما يلى :

(أ) تحديد حجم معانى الرسالة بدرجة يجعلهـــا مقبولة لـــدى المستقبل ، وذلـــك لا يكون الا بالتناسب بين المعانى والحجم اللفظى ، لأن الالفاظ اذ اكانت قليلة عن المعنى لا توضح المراد ، ولا تشبـــع طلبة ، كمـــا أنهـــا اذا كانت كثيرة تؤدى الى تفكك المعلومـــــات ، وتبعث على الملل والسأم • ان الرســـالة الناجحة تلتزم بهـــدفها ، وتعمل له ، وتعيش فى اطـــاره ، ولذلك نراهـــا محددة المعنى ، واضحـــة فى افادته لا تخلط بين الأهداف ، ولا تتعثـــر فى مسيرتهـــا • وهـــذا ما يعـــرف بعمليـــة « **التوازن** » •

والرسالة الناجحة تهتم أيضـــا بابراز العناصر الهامة ، واظهارها أوضح وبذلك تســـاعد على التذكـــر ، والفهم الجيـــد ، وهـــذا ما يعرف بعمليـــة « **التركيز** » (١) •

---

(١) وســائل الاعــلام ص ١٨ •

ان التوازن فى الرسالة يحقق الاهتمـام بالمعانى المطلوبه دون سواهـا ، والتركيز يؤدى الى اظهـار العنـاصر المهمة لأنهـا أسـاس لغيرهـا ، وبذلـك تتحدد المعـانى وتبرز عناصرهـا الأساسية وتصـل لهـدفهـا المقصود •

(ب) ترتيب الرســالة : تركـز الرسـالة على ابراز رأى ما ، أو ابرازه مـع ما يعارضـه ، وهى فى هـذا أو ذاك تأتى بحجج وبراهين تتفاوت قـوة وضعفـا • وذلك كله يحتاج الى ترتيب وتنسيق فى اطـار الرسـالة •

بمعنى :

هل يتقـدم الرأى المعارض مـع حججه أم يتأخر ؟ •

وهل تتقـدم الحجج القويـة أولا وبعـدهـا تكون الضعيفة ؟؟

أم العكس هو المطلوب ؟ •

تعرض العلماء لهـذه الجوانب من الرسـالة • وسموا ترتيـب **الرســالة التى** تقـدم **الأدلة** الضعيفـة وتؤخر الحجج القويـة بترتيب **الذروة ،** والرسـالة التى تعكس ذلك بترتيب **عكس الـذروة• وبعد** اجراء تجاربهم انتهوا الى **أن ترتيب الذروة** أفضـل بالنسبة للموضوعات المألوفـة للجمهور ، والموضوعـات التى يهتم بهـا المستقبل ، امـا ترتيب **عكس الذروة** فانه أفضـل بالنسـبة للموضوعـات المـألوفة **وحينمـا لا يكون الجمهور مهتمـا بالرسـالة (١)** • كما ان الجمهور المثقف يناسبه ترتيب عكس الذزوة ، والجمهور العادى يناسبه الذروة •

وبالنسبة للرسـالة التى تتناول جانبى الموضوع ، **فقـد ذكـر** العلماء **أن الـرأى** الذى يذكر أولا يكون أكثـر تأثيرا على المتلقى ، كمـا أن الرأى الآخـر لـه تأثيره أيضـا لكن بدرجة أقل •

---

(١) الاسس العلمية لنظريات الاعلام ص ٤٩٦ •

ويرجح فى النهاية من يتبع الاسلوب الافضـــل بمعنى اثارة الدوافع والطاقات الكامنة فى الناس أولا ، وبعدها تكون الأدلة الاقناعية ، كمـــا أن الثقـــــة فى المصـــدر تـــؤدى الى ميــل الجمهور لرأيه والاقتنـــاع بتوجيهـــاته .

وقد لاحظ العلماء أن الرســـالة البسيطة تناسب العامـــة وقليلى الخبرة ، أمـــا الرسالة المركبة فانهـــا تناسب الجمهور المثقف . الذى يعــرف المســـألة ونقيضهـــا .

(جـ) مخاطبة العقل والعاطفة : ان المستقبل ليس عقـــلا فقط ، وليس عاطفـــة فقط ، وانمـــا هو انســـان مركب منهمـــا معـــا ، ولذلك وجب مخاطبته بمـــا يناسبه .

ان مخاطبة العقل يعــرف اعلاميـــا **بالاستمالات المنطقيـــة** وهى أستمالات تنفـــع فى ظروف معينة ، انهـــا تصـــلح مـــع جمهور مثقف يحتاج الى الحكمـــة فى الخطـــاب ، والدقـــة فى الاستدلال بعيدا عن الاثارة والانفعـــال ، ويستحسن حين مخاطبة العقل الاستفـــــــادة من قوة الدوافـــع العقليـــة . وذلـــك بالتوجه اليهـــا . واحســـان تحريكها وجذبهـــا ، ومن المعلوم أن الجانب العقلى فى الانســـان يميل الى الدليـــل المقنـــع المحـــدد المشبه للمســـائل الرياضيـــة فى عمليـــاتها المختلفـــة .

وكمـــا يحسن فى بعض الظروف الاخرى استعمـــال **الاستمالات العاطفيـــة** ، ويقصـــد بها التوجه الى الجانب الوجدانى والعاطفى فى الانســـان ، ومن المعلوم أن النفس تخاف ، وترجـــو ، تخـــــاف العجز ، والفشـــل ، والالم ، والخسران ... وترجو القوة ، والنجاح ، والمتعة ، والفوز ....

يقول الاستاذ محمـــد قطب : « والخوف والرجاء بقوتهما تلك ، وتشـــابكهما واختلاطهمـــا فى الكيـــان البشرى يوجهان فى الواقـــع اتجاه

الحياة ، ويحددان للانسان أهدافه ، وسلوكه ، ومشاعره ، وأفكاره ، فعلى قدر ما يخاف ، ونوع ما يخاف ، وعلى قدر ما يرجو ، ونوع ما يرجو ، يتخذ لنفسه منهج حياته ، ويوفق بين سلوكه • وبين ما يرجو وبين ما يخاف (١) •

وحيث أن النفس هى كذلك بفطرتها كان للرسائل الاعلامية التى تسبب ردود فعل عاطفية سارة أو غير سارة أثر فى تغيير وتحديد سلوك المتلقى لها ، وسبب هذا أن الفرد يتعرض عادة لمضمون ينطوى على حقائق محايدة ، يليها مضمون عاطفى يجعل الفرد يشعر بالتوتر ، وبينما هو يعانى من هذا التوتر تأتيه العبارات المشتملة على رسم المسار الصحيح ازاء هذا الموقف ، وتوصيه بعمل ما ، أو اتخاذ رأى ما ، وحينما تلتقى هذه الوصايا بالحالة العاطفية يقل التوتر • ويطمئن الفرد الى النصائح ويرتبط بها (١) •

ومثال ذلك اثارة عاطفة شاب نحو مركز مرموق يتمناه مع رسم الطريق العلمى للوصول اليه ، أو تصوير خطورة مرض السرطان وبيان صلته بالتدخين مع رسم الطريق بترك التدخين • والأمثلة كثيرة لرسائل مشتملة على الاستمالات العاطفية • فيها الاثارة والحل معا •

ويجب أن تكون الاثارة العاطفية — خوفا أو رجاء — فى حدود معقولة حتى لا تؤدى الى عكس المقصود منها •• تقول الدكتور جيهان روشتى :

« لوحظ دائما أنه حينما يكون الفرد فى حالة توتر عاطفى مرتفع بسبب تعرضه لعلامات تنذر بوجود خطر وشيك لا يمكن الهرب منه فان التطويل فى التفاصيل الدقيقة للتهديد سوف يعمل على

---

(١) منهج التربية الاسلامية ج ١ ص ١٢٧ ، ١٢٨ •
(٢) الأسس العلمية لنظريات الاعلام ص ٤٦٦ •

تقليل التوتـــر بدلا من زيـــادته • » (٢) وحينئذ تقل الاستجابـــة للنصـــائح والتوجيهـــات ، وأيضـــا فان التهـــديد الغامض غير المعروف يسبب توترا أكثـــر من المطلوب ولا يمكن تحـــديد النصـــائح مـــعه ، ولهـــذا وجب الاختيار الجيد حين استعمـــال الاستمالات العاطفية •

ان الاستمالات المنظمـــة فى رسائل الاعـــلام تجعل المستقبـــل متنبهـــا • متيقظـــا للمعلومات المتصلة بالرسالة ، كمـــا أنه ينشط فى البحث عن حلول عمليـــة تشبع هـــذه الاستمالة ، وقـــد تؤدى به الى تكوين رأى جديد ، أو تغيير موقف ثابت •• وهكذا ••

ان تضمن الرسالة الاعلاميـــة للاستمالات بأنواعهـــا مهم مـــع ضرورة الاختيار والدقـــة •

(د) صياغة الرسالة بأسلوب مفهوم معناه عند المستقبل ، لأن لغة الرســـالة فى مجملهـــا رموز تدل على مضمونهـــا ومحتواهـــا ، ولابد من اســـتعمـــال رموز يستطيع المستمع فهم معانيهـــا ، وهـــذا يتطلب مخاطبة المستمـــع بلغته ، ولذا تعددت صورة الرســـائل الاعلامية فهى بلغـــات عـــديدة ، بل ان بعضها بلغة عاليـــة المستوى لا يفهمهـــا الا المثقفون والعلماء ، وبعضهـــا بلغـــة سهلة يفهمها الصـــغير والأمى وغيرهمـــا •

ان الرسالة تتحـــدد صياغتهـــا تبعـــا للمستقبل • ولذلك نـــادى الاعـــلاميون المعاصرون بضرورة وجود درجـــة ولو قليلة من الخبرات بين المصدر والمستقبل ا وأن يكون هناك اشتراك بينهما فى فهم دلالة الرموز على معانيهـــا ، وهـــذا مادعـــا « بيدلو » الى القول بـــأن المعانى فى الناس وليســـت فى الرسالة » (١) •

---

(١) الأسس العلميـــة لنظريـــات الاعـــلام ص ٤٦٩ •
(٢) وسائل الاعـــلام والتنمية الاجتماعية ص ١٧ •

(هـ) التوجه نحو مصلحة المستقبل : ذلك أن الانسان مخلوق يبحث عن مصلحته التى يتصورها • يخطط لها ، ويعمل لكسبها ، وهو يحب كل شىء يساهم فى تحقيقها ، ولذلك كان على الرسالة الاعلامية أن تشعر المستمع بأنها تساعده فى تحقيق أمله ، وايجاد مصلحته •

ولقد أهتم رجال الاعلام والترويج بهذه الخاصية فى رسائلهم فربطوا الرسائل الاعلامية بالاتجاهات السائدة •

وليس معنى ذلك أن الاعلام لا يساهم فى التنمية الاجتماعية، أو الترقى بالسلوك ، لأن من الممكن توجيه الأنظار نحو القيمة الحقيقية للمصلحة فى حد ذاتها ، وبذلك يحدث تغيير فى الاتجاه وبالتالى يقبل الجمهور على الرسالة الاعلامية لقيامها بدور ايجابى فى رسم الطريق الصحيح •

وحينما تتعدد الاتجاهات فان الرسالة الاعلامية تتجه عادة لرأى الأغلبية لأنهم يمثلون الجمهور العريض ، وأيضا فان الأقلية دائما تتأثر برأى الأغلبية وبخاصة اذا اتحدوا مذهبا وعقيدة •

(و) تكرار الرسالة : ذلك أن علماء الاتصال لاحظوا أن الرسالة المكررة منهج واضح للاقناع الجماهيرى ، وتزداد فاعلية التكرار فى التأثير اذا تم على فترات ، واذا تضمن بعض التغيير فى الشكل والصورة ، واذا اشتمل على تجديد فى أنواع الاستمالات ، حينئذ يكون التكرار مقنعا لمن يسمعه من غير أحداث ضجر أو ملل •

ان الانسان ذو طبيعة رقيقة لا تتناغم مع النمط الواحد ، ولذا كانت رغبته الى التغيير الدائم ، والتنقل ، والترحال ، ليرى الجديد ويتمتع به ، وعلى الرسالة الاعلامية أن تلحظ ذلك فتجدد حين تكرر شكلا أو زمنا ، واستمالة — وبذلك تحقق الاقناع المطلوب منها •

تلك هى أهم الأسس العلميـــة للرسالة الاعـــلامية المقنعة .

وحينما نرجع للقرآن الكريم لنأخذ منه صورة الرسالة ، وملامحها، وأسسهـــا فاننا نجــد سبق الاســـلام فى القضايـــا التى توصـــل اليها العقل السليم بعـــد عديد من التجارب والبحوث وبعـــد مئـــــــات السنين . وبذلك يلزمنـــا تطبيق ما جـــاء الاسلام بـــه مـــع زيـــادة الثقـــة واليقين .

اننـــا نجد ملامح الرسالة فى ضوء القرآن كمـــا يلى :

أولا : نزل القرآن الكريم وحيـــا يحمـــل دين الله تعالى ، ويضع منهج ســـعادة الناس فى الدنيـــا والآخرة ، وهو فى جملته رسالة توجيهية تنظم شئون الأحياء والأموات ، وكان من الممكن أمام قدرة الله تعالى أن ينزل القرآن الكريم جملة واحـــدة فى وقت واحـــد ، ولكن اللـــــه سبحـــانه قضى بحكمته أن ينزل القرآن منجمـــا على فترات استمرت ثلاثا وعشرين سنة ، ومـــا كان ذلك الا لتحقيق أثـــره فى المدعـــــوين ، وليقوم بدوره فى التبشير والانذار ، ولمســـاعـــدة الناس فى الاهتداء بهـــدى الله والاستقامة بتطبيق شرع الله الحنيف .

وقد أشـــار الله تعالى الى نزول القرآن الكريم منجمـــا وبـــين حكمة ذلك فقـــال تعالى :

*** « وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا »(١)**

*** « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحـــدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلنـــاه ترتيلا ، ولا يأتونك بمثـــل الا جئنـــاك بالحق وأحسن تفسيرا » (٢) .**

والآيات تفيد أن القرآن نزل مفرقـــا . مقطعـــا آية آية وســـورة سورة لحكم عديدة أرادهـــا الله تعالى ، ذلك أن نزول القرآن كـــان

---

(١) سورة الاسراء آية : ١٠٦ .
(٢) سورة الفرقـــان الآيات : ٣٢ ، ٣٣ .

لتربية النـــاس ، وتغيير اتجاهـــاتهم السيئة ، ومخاطبتهم شيئا فشيئا ليتمكن من التأثير فيهم واخراجهم من الظلمات الى النور .

يقول الامام الرازى : « وانما نزل القرآن على مكث أى مهل ليكون حفظه أسهل ، ولتكون الاحالة والوقـــوف على دقائقه وحقـــائقه أيسر » (١) .

ويقول الشيخ الزرقانى : « من حكم نزول القرآن الكريم منجما التدرج فى تربيـــة الأمة علمـــا وعملا وذلك بتيسير حفظ القرآن وتسهيل الفهم ، والمســـاعدة على التخلى عن عقائدهم الباطلة وعاداتهم الفاسدة شيئا فشيئا ، والتمهيـــد لكمـــال تحليهم بالعقائد الحقة ، والعبادات الصحيحة شيئا فشيئا كذلك ، وتثبيت القلوب وتسليحهـــا بعـــزيمة الصبر واليقين (٢) .

ويقول المرحوم سيد قطب : «جاء القرآن الكريم لينشىء أمة ، ويؤسس مجتمعـــات ويقيـــم نظاما ، والتربية تحتاج الى زمن ، والى تأثر وانفعال بالكلمة ، والى حركة تترجم التأثر والانفعـــال الى واقـــع ، والنفس البشريـــة لا تتحول تحولا كاملا بين يـــوم وليلة بقراءة كتـــاب كامـــل شـــامل للمنهج الجديـــد ، وانمـــا تتأثـــر يومـــا بعـــد يـــوم بطريق من هـــذا المنهج وتتدرج فى مراقية رويدا رويـــدا ، وتعتاد على حمـــل تكاليفه شيئا فشيئا ، فلا تجفل منه كما تجفل لو قدم لهـــا ضخمـــا ثقيلا عسيرا ، وهى تنمو فى كل يوم بالوجبة المغذيـــة فتصبح فى اليوم التالى أكثـــر استعدادا للانتفـــاع بالوجبة التاليـــة ، وأشـــد قابليـــة لهـــا ، والتذ اذا بهـــا .

ولقـــد جـــاء القرآن بمنهـــاج كامـــل شـــامل للحيـــاة كلهـــا ، وجـــاء فى الوقت نفســـه بمنهـــاج للتربيـــة يوافق النظرة البشريـــة

---

(١) تفسير الرازى : ج ٢١ ص ٦٩ .

(٢) مناهل العرفان ج ١ ص ٥٥ — ٥٧ بتصرف .

عن علم بها ، فجاء لذلك منجمـا وفق الحاجات الحيـة للجماعـة المسلمة وهى فى طريق نشأتهـا ونموها » (١) ٠

وهذه الآراء المستنبطة من الآيات تشير الى أن تنجم القـرآن كان لتربيـة الانسـان ، وتوجيهـه بمنهج مقبول نحو حياته الجديـدة التى جاء بهـا دين الله تعالى ٠

وبأسلوب الاعـلام يمكن القول بأن الاسلام جاء للنـاس فى شكل رسائل مجزءة كل جزء منه يتضمن رسالة للنـاس محدودة الحجم ، مناسبة لمن جاءت اليهم ، فلا هى طويلة ولا هى قصيرة ابعـادا لهـا عن الخلل والملل ٠ انهـا محددة بهدفها ، وافية بغرضهـا ٠

ان الرسائل الاسلاميـة للنـاس جاءت محددة الحجم بصورة تناسـب الفطرة البشريـة ٠ وتلـك حكمـة من الله ورحمة ٠

ثانيـا : تتضمن الرسائل القرآنية الموجهة للنـاس عـلى أقضية معهـا دليلها فى أغلب الأحيان ومثال ذلك فى قوله تعـالى : **« يا أيهـا الناس أعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقـون الذى جعل لكم الأرض فراشـا والسماء بناء وأنزل من السماء مـاء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون »**(٢)

والآيات تتضمن نداء الى الناس كلهم ليعبدوا الله وحـده لا شريك له ٠ وتلك هى القضيـة ٠ وهـو الموضوع المطالب به ، ومعه كانت الأدلة على ضرورة قصر العبادة لله فقط ٠ فالله هو الذى تفرد بالخلق كله فوجب أن ينفرد بالعبادة ، ولعل الخلق هو أعظم النعم التى تفضل الله بهـا على الناس ٠ وهو أقوى الأدلة وأقربهـا الى عقل الانسـان وحسـه ، فبالخلق يوجـد الانسـان ، وبوجوده يتمتـع بكل ما خلق الله لـه ٠

---

(١) فى ظلال القرآن جـ ٥ ص ٢٥٦٢ ٠

(٢) سورة البقرة آيات : ٢١ ، ٢٢ ٠

ومن الأدلة أن الله جعل الأرض فراشـا حيث أعدها لتكون مسكنـا مريحـا واقيـا كالفراش • لقـد مهد الله للنـاس فى الأرض وسـائل العيش ، وسخـر لهم سبل الراحـة والمتـاع فى توافق وانسـجام •

ومن الأدلة أن الله جعل السـماء بناء فيهـا متانة البناء ، وتنسيق البناء ، وهى بمـا فيهـا من قمر وشمس ونجوم وجاذبية أجرامهـا تيسر حياة الانسان فى الأرض ، وتسـهل له العيش فيها •

هذه الأدلة اشتملت عليهـا الآيات وكلهـا قوى ، واضح ، متصل بحيـاة الناس أجمعين ولذلك كانت برهنة سديدة لدفـع الناس الى قصر العبادة لله وحده (١) •

والقرآن الكريم فى بعض توجيهـاته يعرض الرأى المعـارض لدعوته ، ويبرهن على بطلانه وذلك كقوله تعالى : « **وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا قاتلهم الله أنى يؤفكون** » (٢) •• والرأى الآخـر هنا هو قـول اليهود وقول النصارى حيث اتخذ كل منهم شخصـا وجعلوه ابنا لله تعالى • وذلك باطل فهو كلام من عنـد أنفسـهم لابرهـان عليه ، وأيضـا فهم يريدون بقولهم هـذا أن يفعلوا مثـل أصحـاب المذاهب الوثنيـة القديمـة ولا دليـل على صدقهم أيضـا ، وأيضـا فهم بقولهم يجعلون لله ولدا وهو سبحانه منزه عن أفكهم هذا ولذلك لعنهم وحكم عليهم بالوبال والخسران •

ان توجيهات القرآن الكريم للنـاس تعـد رسائل اعلاميـة تشتمل على الأدلة القويـة ، وأيضـا فانهـا أحيانـا تستعرض آراء الخصوم وترد عليها بمـا يزيلهـا ، ويفندهـا •

---

(١) انظر هـذا فى ظـلال القرآن جـ ١ ص ٤٦ ، ٤٨ •
(٢) سورة التوبة آية : ٣٠ •

ثالثا : الرسائل القرآنية للناس تخاطب العقل ، وتخاطب العقل ، وتخاطب العواطف وبذلك فهى تخاطب الانسان بصورة شاملة ٠

يقول الله تعالى : **« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن »** (١) ٠

والحكمة : هى وضع الشىء فى موضعه ويراد بها فى الآية : الأسلوب المتقن الدال على معناه بالعبارة الموجزة والقول القصير وذلك فى تبليغ الناس دين الله تعالى واعلامهم بمحتواه ٠

والموعظة الحسنة : يراد بها الأسلوب المؤثر المحرك للانفعال والدوافع مع افادته القرب النفسى بين الداعى ومن يدعوهم ٠ وهو فى عمومه أسلوب متنوع طويل العبارة ، وقد يرد فى شكل قصة أو مثل ٠ أو قسم أو غير ذلك ٠

والجدل : هو الحوار ووصفه بالحسن يبعده عن السفسطة والمكابرة ٠

يقول الامام الرازى : **« الناس ثلاث طوائف : الكاملون الطالبون** للمعارف الحقيقية والعلوم اليقينية ، والمكالمة مع هؤلاء لا تكون الا بالدلائل القطعية اليقينية وهى الحكمة ، **والقسم الثانى** الذين تغلب على طبائعهم المشاغبة والمخاصمة والمكالمة اللائقة بهؤلاء المجادلة التى تفيد الافحام والالزام ، وأما **القسم الثالث :** فأصحابه هم الذين ما بلغوا فى الكمال الى حد الحكماء ، وما بلغوا حد المخاصمين ، بل هم من بقوا على الفطرة الأصلية والسلامة الخلقية والمكالمة مع هؤلاء تكون بالموعظة الحسنة ، ومعنى الآية : أدع الأقوياء الكاملين الى الدين الحق بالحكمة ، وعوام الخلق بالموعظة الحسنة ، والتكلم مع المشاغبين بالجدل

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥ ٠

على الطريق الأحسن الأكمل » (١) •

ومعنى كلام الرازى أن الخطـاب يجب أن يتجه الى مستوى المتلقى فمن يغلب عليه الجانب العقلى فله أسلوب الحكمـة ، وان كان من عامـة الناس فالتوجه اليه بالموعظـة ، وان كـان مجـادلا يحب المماراة يخاطب بالجـدل الحسن •

اما اذا كان الجمهور المستقبل يشـمل الأنواع الثلاثة ، فحينئذ يجب التوجه اليه برسـالة تتضمن الجوانب الثلاثة •

ان المقصود من الآية يوضح منهجـا عامـا للاتصـال بالنـاس وتبليغهم دين الله تعالى •

يقول المرحوم سـيد قطب : والدعـوة بالحكمـة تكون بالنظـر فى أحوال المخاطبين وظروفهم ، والقـدر الذى يبينه لهم فى كل مـرة حتى لا يثقل عليه ولا يشـق بالتكاليف قبـل استعداد النفوس لهـا ، والطريقة التى يخاطبهم بهـا ، والتنويـع فى هـذه الطريقـة حسـب مقتضيـاتها •

والدعوة بالموعظة الحسنة التى تدخل الى القلوب برفق وتعمـق المشـاعر بلطف ، لا بالزجـر والتأنيب فى غير موجب ولا بفضـح الأخطـاء التى تقـع عن جهل أو حسن نية ، فان الرفق فى الموعظـة كثيرا ما يهـدى القلوب الشـاردة ، ويؤلف القلوب النـافرة ، ويأتى بخير من الزجـر والتأنيب والتوبيخ •

والدعـوة بالجـدل بالتى هى أحسن بلا تحامـل على المخالف ولا ترذيل لـه وتقبيح حتى يطمئن الى الداعى يشعـر أن ليس هدفه هو الغلبة فى الجدل • فالنفس البشريـة لهـا كبرياؤها وعنادهـا ، وهى

---

(١) تفسير الرازى جـ ٢٠ ص ١٤١ •

لا تنزل عن الرأى الذى تدافــع عنه الا بالرفق حتى لا تشعر بالهزيمــة ، والجدل بالحسنى هو الذى يطامن من هذه الكبرياء الحساسة) (١) •

ومعنى ذلــك امكانيــة استعمال الاساليب الثلاثة فى رسالة واحدة حين الحاجه اليها • وأخيرا ألا يعــد ذلك توحهــا اسلاميــا الى العقــل والعواطف والوجدانيــات دعــــا القرآن الكريم اليه وطبقه المسلمون، وعاشوه صورة عمليــة • وللقرآن تفصــيلات تطبيقية لانواع وطــــرق كل واحــد من الاساليب الثلاثة (٢) سيأتى الحــديث عنها فيما بعد •

رابعــا : يهتم القرآن الكريم باستعمــال صياغــة لغويــة لمعانيه تتناســب مــع الجمهور الموجه اليهم ، وتلك قضيــة مهمة فى مجـــال الدعــوة والاتصــال بالنــاس ذلك أن استعمـــال اللغــة أو الرموز المفهومة للمستمع يجعله يفهم المطلوب ويتفــاعل به ، ويتجاوب معــه • ولهــذا جاءت الدعوات الالهيــة كلهــا بألســنة من وجهت اليهم • يقول الله تعالى : « **وما أرسلنا من رسول الا بلســان قومــه ليبين لهم** » (٣) وهذه دلالة واضحــة على أن الدعوة تكون بينة مفهومــة اذا وجهت للناس بلغاتهم ، وقــد كان النبى صلى الله عليه وسلم يوجه أصحابه الى ضرورة تعلم لغــات الامــم الاخــرى لتكون الدعــوة اليهم بمـــا يفهمون ويعقلون •

خامســا : يتجه القرآن الكريم الى تحقيق المصلحــة الحقيقيــة للنــاس ، ومــا الاســلام كله الا تنظيم للعقيدة ، والسلوك ، والخلق يقصــد بــه اخراج الناس من الشر الى الخير ، ومن الهوان والضعف الى العزة والقوة ، ومن حــال العبوديــة للشهوة والمادة الى التحــرر الصادق بالتوجه التــام لله رب العالمين •

---

(١) فى ظلال القرآن : ج ٤ ص ٢٢٠٢ •

(٢) ومن امثلة ذلك الدليل الموجز او القصــة او الترغيب والترهيــب •• وهكــذا •

(٣) سورة ابراهيم آية ٤ •

يقول الله تعالى : « **يا أيهـا الذين آمنوا استجيبوا لله ولرسوله اذا دعاكم لمـا يحييكم** » (١) وهـذه الآية تشير الى سـائر توجيهـات الرسول صلى الله عليـه وسلم للنـاس ، فهى توجيهـات تحقق لهم الحيـاة بكل صورهـا ومعانيهـا •

انه صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى عقيـدة تحيى القلـوب والعقول ، وتطلقهـا من أوهـام الجهل والخرافـة ، ومن ضـغط الخيـال والاسـطورة ، ويدعوهم — صلى الله عليه وسلم — الى شريعة تحرر الانسان ، وتكرمه بصدورهـا عن الله وحده ، الذى له الطـاعة والحكم • وله الامـر والتسليم ، وعليه فليتوكل المتوكلون •

ويدعوهم — صلى الله عليه وسلم — الى العزة والقوة والاستعلاء، والثقـة بدينهم وبربهم ، والجهـاد فى سبيـل الله ليستقـر الحـق ويدوم •

ان الاسـلام منهج حياة شاملة ، وكاملة ، يتفق مـع الفطرة ، والواقـع ، ويربط بين الانسـان والسـعادة فى الدنيـا والآخـرة ، ولذلك فهو دعوة الى الحياة • بكـل صور الحيـاة وبكـل معـانى الحيـاة •

ان الاسلام فى رسائله للنـاس يعرفهم بوضوح أنه جاء لمصلحتهم ويحدد لهم بالبرهـان والحوار كيف أنه يحقق المصلحـة ؟؟ وكيف أنه يصبر عليهم ليؤمنوا ؟ وكيف أنه يدعوهم طويـلا مراعيـا اختلاف صيغ الدعـوة ، وتنوع الأوقـات والمناسبات أمـلا فى اخراجهم من الظلمات الى النور ؟ ! •

وحتى تتحقق مصلحة الناس تخير الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ليبلغ دينه وقـال سبحانه : « **لقـد جاءكم رسول**

---

(١) سورة الانفـال آية ٢٤ •

من أنفسكم عزيز عليكم ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » (١) .

وعلى نمط دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب أن يستمر الدعاة والاعلاميون الاسلاميون يبلغون دين الله تعالى للناس موضحين هدفهم الخير وقصدهم النبيل .

ان الرسالة المعادية لجمهورها ، المستعلية عليهم ليست رسالة اسلامية أبدا .

سادسا : لا يكتفى القرآن الكريم بمجرد دعوة الناس الى ما يريد مرة واحدة ، فقد لا تؤثر هذه المرة ، ولا تغير نحو المطلوب ، وانما يكرر القرآن الكريم طلبه الواحد لما فى التكرار من تأثير واضح .

وقد كثر التكرار القرآنى فى مجال العقيدة والاخلاق ، وسبب ذلك أن القوم فى مكة استغرقوا فى الشرك والوثنية . وضلوا فى العقيدة ضلالا مبينا ، فكان لابد من انقاذهم بالخطاب المتنوع والدعوة المكررة ، والأدلة المؤثرة ليصحح عقائدهم وأخلاقهم قبل أن يدعوهم للشريعة ، اذ لا قيمة لدعوتهم الى الشريعة وهم بعقائد فاسدة .

يقول الشيخ الزرقانى : « ان القرآن الكريم فى مكة حمل حملة شعواء على الشرك والوثنية ، وعلى الشبهات التى تذرع بها أهل مكة للاصرار على الشرك والوثنية ، ودخل عليهم من كل باب ، وأتاهم بكل دليل ، وحاكمهم الى الحس ، وضرب لهم أبلغ الامثال ، حتى انتهى بهم الى ان تلك الالهة المزيفة لا تقدر أن تخلق مجتمعة أو منفردة واحدة من الذباب ، بل لا تستطيع أن تدفع عن نفسها شر عادية الذباب .... وفتح عيونهم على ما فى انفسهم من شواهد الحق ، وعلى

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٨ .

ما **فى الكون** من أعلام الرشـــد ، ونوع لهم فى الادلـــة وتفنن **فى** الاسـاليب وقاضاهم الى الاوليـــات والمشــاهدات ثـــم قادهم الى الاعتراف واليقين بتوحيـــد الله وجوانب العقيدة كلهـــا » (١) ٠

ان القرآن الكريم فى تكراره نوع الخطـاب وغايـــر فى التصوير ، وجـــدد فى الدليـــل ٠ حتى أن كل مـــرة تقـــع فى ذهن سامعهـــــا وقارئهـــا موقعـــا جديدا ، بعيدا عن أى ملل أو ضجـــر ، ومن أمثلة ذلك التكرار نذكـــر نماذج قرآنيـــة وردت مع قضيـــة التوحيـــــد ٠ فلقـــد جـــاء الامـــر بالتوحيـــد **طلبـــا عاديـــا** كقوله تعالى : **« قل هو الله أحـــد »** (٢) ، وجاءت فى **شكل مقارنة** بين الاله الحق وسواه ، قال تعالى : **« أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون »** (٣) ٠ **وجـــاءت مصاحبة لدليلهـــا** ٠ قال تعالى : **« قال ربنـــا الـــذى اعطى كل شىء خلقه ثـــم هـــدى »** (٤) وجاءت فى **شكل حوار** قال تعالى : **« الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفـــر والله لا يهدى القـــوم الظالمين »** (٤) ٠ وجاءت فى شـــكل مثـــل : قال تعالى : **« ضرب اللـــه مثلا رجلا فيه شركـــاء متشـــاكسون ورجـــلا سلمـــا لرجـــل هـــــل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون »** (٥) ٠ **وجاءت فى شكل قســـم** قال تعالى : **« والصفـــات صفـــا فالزاجرات زجرا ، فالتـــاليات ذكرا ان الهكم لواحـــد »** (٦) تلك ست صور قرآنيـــة تتعلق بموضوع التوحيـــد ، وغيرهـــا فى القرآن كثير ، وكل صورة منهـــا تشتمـــل على الحيويـــة ، والجـــدة ، يطلع عليهـــا الانســـان فيأخـــذ منهـــا فائـــدة لايجدهـــا فى سواهـــا ٠

---

(١) مناهل العرفان ج ١ ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ٠
(٢) سورة الاخـــلاص آية ١ ٠
(٣) سورة النحل آية ١٧ ٠
(٤) سورة الزمـــر آية ٢٧ ٠
(٥) سورة طه آية ٥٠ ٠
(٥) سورة الزمـــر آية ٢٧ ٠
(٦) سورة الصافات آية ١ ــ ٤ ٠

انه تكرار متميز يؤكـد ضرورة ايجـاد لون من التغيير فى كلمـات الدعـاة ورجـال الاعـلام حين يوجهون رسائلهم للجمهور أمـلا فى التأثير والتغيير نحو الحق والخير .

وهكذا توجيهـات القرآن الكريم أتت مجزءة بمعـان محـددة ، وعناصر مرتبة ، ومنظمـة ، وخاطبت العقل والعاطفة ، بلغـة مفهومة ، وأسلوب ميسر ، مع التأكيـد على تحقيق مصلحـة النـاس .ولذلك تكررت بصورة مقبولة مقنعـة تثير العقـل ، وترضى الوجدان .

ان الوقوف على هذه اللمحـات فى الرسالة القرآنية يجعلنـا نؤمن بيقين ، وندرك سبق الاسـلام وأصالته فى كل ما هـو مفيد وحسن ، ويجعلنـا نعيش اسلاميـا مطمئنين الى ما فيه ، راضين بكـل ما جـاء به ، مقتنعين بان اعلامنـا يجب أن يظهـر بتعاليم الاسـلام وعلى اسسهـا ودعائمهـا .

ومع التوافق بين ما توصـل اليه العقـل السليم وبين ما انزلـه الله تعـالى فى جانب الرسـالة الاعـلامية فاننا نلحظ تميز الرسـالة الاعـلاميـة الاسلاميـة بمـا يلى :

(أ) الوحـدة الموضوعية : تتميز الرسالة الاعـلامية بوحدتهـا الموضوعية ، بمعنى تكاملهـا وترابطهـا داخل مضمون واحـد هـو الاسـلام ، فمهمـا كثرت الرسائل ، وتعدد الاعلاميون ، وتنوعـت الاماكن ، واختلفت الأزمنـة ، فانهـا فى اطـار الجماعـة الاسلامية لا تتعارض ، ولا تتناقض ، وانمـا هى فى مجموعهـا شىء واحـد يكمـل بعضه بعضـا .

ان الاعـلام فى الاسـلام لا تتغير توجيهـاته تبعـا للاشـخاص أو الاوطان ، أو أى ظرف آخـر ، لأنه يبلغ دين الله تعالى وهو ثابـت بمصـادره ، مفصـل بتعاليمـه ، محكم بدوامه وخلوده ، .. وهـذه

الميزة تنعكس على الجمهور ، وتنشر الثقة ، والرضا ، والاحساس بالوحدة الدينية التي هي مقصد رئيسى فى الاعلام •

(ب) الاصالة والواقعية : تعتبر الدعوات الالهية التى جاء بها رسل الله عليهم صلوات الله وسلامه تجارب واقعية توضح أسلوب التوجيه وكيفية الخطاب ، وتشير الى النتائج التى وقعت مع الامم والتى يمكن لها أن تتكرر اذا اتبع نفس الأسلوب •

والملاحظات النفسية المستفادة من هذه التجارب لا تحتمل الشك أو الظن ، لأن الله هو الذى أخبرنا بها ، ونقلها الينا بواسطة الوحى ، وهو سبحانه عليم بالنفوس ، والاسرار ، ولذا كانت الملاحظة صادقة معبرة بدقة عن الواقع ، ومن هنا كانت أصالة الرسائل الاسلامية فى المجال الاعلامى •

وقد اشتمل القرآن الكريم على العديد من الصور الاتصالية التى ظهرت وطبقت من خلال قصة لأخبار السابقين من الرسل ، والأمم ، وما حدث من حوار بين المؤمنين وغيرهم ، ولم تأت هذه الحكايات الا لتحقيق المصلحة ومنها تقديم نماذج منوعة للجنس البشرى تشمل بيان طبائعهم ، وميولهم ، وطرق التأثير فيهم •

ان القرآن الكريم وهو يتحدث عن الملأ ، والكبراء ، والضعفاء ، والاغنياء والفقراء ، والعلماء والجاهلية ، والعامة والخاصة والمنافق الكافر والحر والعبد والرجل والمرأة والشباب والصغار وغيرهم ، يقدم تصورا متكاملا للأجناس البشرية كلها مما يجعلنا ندرك أن القرآن الكريم قدم حقيقة الاسلام وتعاليمه ، وموقف الناس فيه ، ومنهج دعوتهم اليه ، ويقدم طرق والوان الاتصال التى يمكن أن تكون مع الانسان مهما كانت حقيقته وأينما كان وجوده ، وأينا كان موقعه •

والسنة النبوية مع القرآن الكريم تبينه بتأكيده ، وتوضيح مجمله ، وتقييد مطلقه ، وتخصيص عامة • وكل ذلك يساهم مساهمة

ايجابيــة فى ربط الاتصــال بكل أشكاله بمصــادر الاسلام المنزلة من الله تعالى ٠

ان رجــال الاعــلام فى الاســلام عليهم أن يلتزموا بمصــادرهم وأصولهم مع الاستفادة بمخترعــات الآخرين ٠

وانه لمن الاعتزاز أن يتمســك المسلم بمــا جاء من الله ولا يقدم غيره عليه وان شابهه ، اذ لا يستوى ما جاء عن الله ، وما يجىء عن الناس ابدا ٠

يروى البخارى بســنده أن عمر ان بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحيــاء لا يكون الا بخير ٠ فقال بشــير بن كعب : مكتوب فى الحكمــة ان من الحياء وقارا ٠ وان من الحيــاء سكينة ، فقال له عمران :

أحدثك عن رسول الله صلى الله عليــه وســلم وتحــــدثنى عن مكتوب فى الحكمة أن من الحياء وقارا ٠ وأن من الحيــاء سكينة ، فقال صحيفتك ؟(١) فتجد الصــحابى رضى الله عنه لا يرضى لصاحبه أن يســوى ما جاء فى الحكمة بما جاء عن رســول الله صلى الله عليــه وسلم ٠

ويروى الامام أحمد بســنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنــه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه عن بعض أهل الكتاب فقرأه على النبى صــلى الله عليه وســلم فغضــب رســول الله وقال : « أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذى نفسى بيــده لقــد جئتكم بها بيضــاء نقيــة ٠ لا تسألوهم عن شىء ٠ فيخبرونكم بحق فتكذبونه ، أو بباطل فتصدقونه ٠ والذى نفسى بيــــده

---

(١) صحيح البخارى — كتاب الآداب ، باب الحيــاء جـ ١٠ ص ٥٢١ ٠
والحكمة هى الفلسفة المنقولة من الاقدمين أو من غيرهم ٠

لو أن موسى كان حيا ما وسعه الا أن يتبعنى • ثم قام صلى الله عليه وسلم خطيبا وقال : « يا أيها الناس انى قد أتيت جوامع الكلم وخواتمه واختصر لى اختصارا • وقد آتيتكم بها بيضاء نقية فلا تتهوكون ، ولا يغرنكم المتهوكون » ثم أمر صلى الله عليه وسلم بتلك الصحيفة فمحيت (١) •

يقول الدكتور منير حجاب : « توجه النظرية الاعلامية فى الاسلام القائمين بالاتصال الى ضرورة الاعتماد فى كل ما يقدمونه على الاسلام • ولذا فانه لا يجوز للقائمين بالاتصال أن يتلفتوا يمينا أو يسارا ليبحثوا عن نظريات يستهدون بها فى حل مشكلات مجتماتهم » (٢) •

وان هذا الاتجاه الواحد فى الصورة الاسلامية يجعل الانسانية كلها تتجمع فى كيان واحد • تتجمع شعورا ، وسلوكا ، وتصورا واستجابة ، فى شأن العقيدة والمنهج ، وشأن الاستمرار والتلقى ، وشأن السعى والحركة ، وشأن الصحة والرزق ، وشأن الدنيا والآخرة • فلا تتفرق مزقا ، ولا تتجه الى شتى السبل والآفاق ، ولا تسلك شتى الطرق على غير اتفاق •

وهناك يرد تساؤل له وجاهته ذلك أنه مع التسليم بانسانية وعالمية الاتصال والاعلام فى الاسلام قد يجابه بعنصرية تجاربه ، وبمذهب يعاديه ، كما أن انقسام المسلمين الى شيع وفرق مختلفة جعل الاقليمية تتحكم فى مسار الاعلام فى الأوطان الاسلامية بصورة عامة • فما هو الحل اذا ! ؟ •

والحل موجود وميسر لأن الاسلام لا يعادى حب الوطن (٣) وانما يدعو اليه فمن الايمان النصح الصادق ، والحب الأمين ،

---

(١) مسند الامام احمد مرويات جابر بن عبد الله • والتهوك الاضطراب فى القول وعدم استقامته •

(٢) مبادىء الاعلام الاسلامى ص ٩١ ، ٩٢ •

(٣) أنظر ص ١٤٤ وما بعدها •

والتعـــاون على البر والتقـــوى ، ومن الممكن المحــــافظة على هــذا الحب فى اطار الروح الانســـانية انطلاقا من قوله تعالى « **وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** »(٢) •

ان الفرد الصـــالح جزء من وطنه ، والـــوطن جزء من الأمـــة الاســـلامية ، فلو قام كل بواجبه الاسلامى لتحقق التكامـــل المتســـق بين الفرد والوطن والأمـــة • ومن هنا يتمكن الوطن المطبق لشريعـــة الله تعالى من ايجاد هذا التوازن بيسر وسهولة ، أما من يشـــذ عن تحكيم شرع الله ويتبنى فكرا ماديا مهما كان مســـماه فانه يعجز عن تحقيق أى شىء من هذا التوازن • ان جميـــع الحقوق معه تضـــيع ، حقـــوق الأفراد ، وحقـــوق الوطن ، وحـــوق الأمة ، ذلك أنه يضـــيع حق الله تعالى ، ولا يصح أن يوضع اعلامه الشاذ فى رصـــيد المسلمين ، انـــه عبء عليهم بل انه عدو لدينه ووطنه وأمته •

---

(١) سورة الحجرات آية : ١٣ •

وســائل الاتصــال

الانسان مدنى بطبعه ، لا يمكنه أن يعيش حده منعزلا عن الآخرين انه بحاجة مســتمرة الى معرفة الظروف المحيطة به ، والوقوف على آخر القرارات والاخبار والمعلومات التى تتصــل بوجوده ونشــاطه ، وهــو لا يســتغنى أبدا عن الارتباط المعرفى بمن ســبقه ، وبمن ســيأتى بعــده •• وكل هــذه الحاجات البشرية تحتــاج الى وســـيلة تربط الانســان بغيره ، وتحقق له غاياته ، وتوصله الى ما يتمنى ويريد •

وقديما كان الناس يعتمدون على وسائل بدائية **كالنذير العريان الذى** كان يقوم بدور المراقبة ، وايصــال الأخبار الى قومه بخلع ثوبه اشارة الى قرب حدوث هجوم ، أو وقوع خطأ ، **وكاشعال النار ، ونشر الطيب** لدعوة الناس الى طعـــام أو لقاء ، وكثيرا ما كانت الجماعات تعهــد الى أحــد أفرادهــا ليكون وسيلة توصــل مرادهم الى الجماعــات الأخرى •

وفى صدر الاسلام نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصــل الاســلام وشرائعه وتعاليمــه الى الأمم والقبائل بواسطة أفـــراد من صحابته رضوان الله عليهم من أمثال مصعب بن عمير ، ومعــاذ بن جبل ، وحملة الرســائل النبويــة الى الأمراء والملوك •

فلقــد أرســل صلى الله عليه وسلم كتابا الى هرقل ملك الــروم مــع الصحابى دحية الكلبى ، وأرســل الى النجاشى ملك الحبشــة رسالة مــع الصحابى عمرو بن أمية الضمرى ، وأرســل الى المقوقس ملك مصر رسالة مــع الصحابى حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه وعن الصحابة أجمعين •

وقد ساعد على نجاح الرسائل البشرية سهولة الحياة ، وقلة الأعداد ، واعتماد الناس هذه الوسيلة للاتصال حينما كانوا يحتاجون اليه .

ولم تستمر الوسيلة هكذا ، بل أخذت فى التطور والازدهار تبعا لتطور الحياة والانسان ، فنراها تستفيد بكل جديد فى عالم المخترعات ، ولم يكن التطور فى شكل الوسيلة فقط ، بل شمل أيضا الوظيفة والتأثير .

تقول الدكتورة جيهان روشتى : « يتميز القرن العشرون بأنه عصر الاتصال الجماهيرى ... ولقد ساهمت الثورة التكنولوجية فى الاخراج والتوزيع على جعل الاتصال الجماهيرى ميسرا ، لا يكلف غير القليل من الجهد أو المال » (١) .

ان الرسالة والفكرة فى العصر الحديث تنتقل عبر وسائل اتصالية عديدة من أهمها :

أولا — وسائل الاتصال المواجهى (الشفوى) :

يتمد هذا اللون من الاتصال على المواجهة المباشرة بين المرسل والمتلقى حيث تنقل الرسالة على الأثير من قرب ، وبذلك تتفاعل مجموعة من الحواس مع هذه الوسائل .

والاتصال المواجهى أقدم أنواع الاتصال ، وأكثرها تأثيرا ، وهو يضم أنواع الاتصال الذى يتم بين فرد وفرد ، أو بين فرد وجماعة ، أو بين جماعة وجماعة ، مادام كل منها يتم بصورة شفوية مباشرة .

---

(١) الأسس العلمية ص ٣٥٨ .

ومن صور الاتصـــال المواجهى ما يلى :

(أ) الخطبة : بكافة أنواعهـــا ، وقـــد كان لها دورها فى الحضارات القديمـــة ومازال لها هـــذا الدور • وتتميز الخطبة بتأثيرهـــــا الواضح لأنهـــا تخاطب العواطف والوجدان ، وتدور حـــول موضوعهـــا حيـــث تقـــدم العديـــد من البراهين فى صورة بيانيـــة مؤثـــرة •

والخطبة عـــادة تلقى من جانب واحـــد فقط هو الخطيب ، ولذلـــك وجب على من يقـــوم بالخطبة أن يهتم بجوانبهـــا الفنيـــة ، وقواعدها العلميـــة لكى يحقق الهـــدف الذى يرجوه من وراء عمله •

(ب) الندوة : وتقـــوم على الاتصـــال المباشر الا أنهـــا تختلف عن الخطبة بأن الاتصـــال فيهـــا يتم بمشـــاركة عـــدد من الاتجاهات تدور حول موضوع واحـــد •

وتحتاج الندوة الى جمهور مثقف متمكن من المتابعـــة ، والمشاركة فى الحوار لأن بعض الندوات يفتح فيهـــا للجمهور باب التعليق ليساهموا بآرائهم مـــع المتحدثين الاساسيين فى الندوة •

(جـ) المحاضرة : وهى لون من الاتصـــال المواجهى يعتمـــد على التحليـــل العلمى ، والبراهين القوية ، وهى وسط بين الخطبة والندوة لأنهـــا تأخـــذ من الخطبة ان المتحدث فيهـــا واحـــد ، والمستمع جمهور عريض ، وتأخـــذ من الندوة فتح باب المناقشـــة حـــول موضوع المحاضرة •

(د) الدرس الدينى : وهو لـــون من الاتصـــــال الدينى يتـــم فى المساجد غالبا ، وهو اتصـــال يتســـع الموضوع فيه ، ويفتح المجال أمام المستمـــع للسؤال والمناقشـــة ، ولـــه أثـــره الكبير فى نشر الدين والتعريف بقضـــاياه •

ثانيـا : الوسـائل المكتوبة والمطبوعة :

استعمـل الانسـان هـذا النوع قديمـا ولكن بصورة بدائية ، فحينما اخترعت الكتـابة كان الانسان يكتب على الجلد وورق الشـجر وورق البردى ومـا شـاكل ذلك ، وبهـذه الطريقة استفـاد الانسان منذ القديم بالكتابة حيث ضمنهـا ما أراد من آراء وأخبار ، وأوصلهـا الى غيره ، أو تركهـا للأجيال المتعاقبة من بعده .

وهذه الوسيلة هى التى عرفت الناس حديثا بالحضارات القديمة وما وقـع لهـا من حروب وأحداث ، وما كان فيهـا من ممـالك ودول .

وفى عـام ١٤٥٤ م تمكن الانسـان من اختراع المطبعـة ، الأمر الذى سـاعد على اعطـاء صور عديدة للرسـالة الواحدة ، وفى أشكال متعددة ، اذ يمكن ابراز الرسالة فى شكل كتاب ، أو فى نشرة ، أو فى صحيفة ، أو فى خريطة ، وهكذا .

وتتميز الرسـائل المطبوعـة بمـا يلى :

(أ) تقوم على الرأى المدروس لأن المصدر لا يكتب رسـالته الا بعـد بحث وتأمـل ، ويحاول أن يصوغهـا فى قالب بيانى مشـوق دال على معنـاه بيسر وسهولة .

(ب) تسمح للقارىء بتكرار قراءتهـا ، والتحكم فى ظـروف التعرض لهـا مكانـا وزمانـا ، وبذلك يتمكن من فهمهـا ، واستيعاب المراد منها ،ولهـذا نادى بعض الباحثين بأن تقـدم الرسـائل المعقدة فى صورة مطبوعـة لتحقيق الهـدف منهـا .

(جـ) تتمكن الرسـالة المطبوعـة من الوصول الى الجماهـير المتخصصة والصغيرة الحجم لقلة تكلفتهـا اذا قورنت بالوسائـل الأخرى .

(د) تســاعد الرسالة المطبوعــة على الاقنــاع لأنهــا لا تخترق السـمع ، ولا تفاجىء العين وانمــا يقــدم لمتلقى عليهــا مختارا راضيا ممــا يجعله جزءا من موضوعهــا فيتخيل ، ويفسر ، ويرضى أو يرفض وتلك هى مراحل الاقتناع •

وقد أدى التطور بالوســائل المطبوعــة الى قيــام مؤسســات ضخمــة ســاعدت على اتســاع النشر ، وضخامــة التوزيــع ممــا جعلهــا بحق وسيلة للاتصــال الجماهيرى •

ثالثا : الوســائل المسموعة :

ويقصــد بهــا الوســائل التى توصــل الكلمــة الى الجماهير العريضــة عبر المســافات البعيدة وهى الراديو تلك الوسيلة العجيبة التى تحمــل الكلمــة المذاعــة بمختلف أشكالهــا وفنونهــا الى أى مكان فى العالم فى ثوان قليلــة •

وتتميز هــذه الوسيلة بمــا يلى :

(أ) يتميز الراديو بقدرته على اختراق أى مكــان فى الكــــرة الأرضيــة فى زمن وجيز بلا عائق أو حاجز •

(ب) يتميز الراديو بقدرته على مخاطبة كافة الفئات مهمــا اختلفت ثقافتهم وأعمارهم وأجناسهم •

(ج) لا يحتاج الراديــو الى التفرغ التــام من المتلقى لأن من الممكن الاستماع الى الراديــو خــلال الانشــغال بعمــل آخــر ، يقول ايريك بارنو : « ان الراديو هو الوسيلة الوحيدة التى لا تستحوذ على العين • أى أنه يمكن أن يخــدم جمهورا نشــطا أثناء تناولــه الطعام وقيامه بالعمــل المنزلى ، وأثنــاء نهوضــه من النوم ، واستحمامــــه وشرائه متطلباته وهكذا » (١) •

---

(١) الاسس العلمية لنظريات الاعلام ص ٦٤ ٠٣

(د) تتميز الرســالة المرسلة بالراديو باشتمالها عــلى المؤثرات الصوتيــة والحوار • وهــذا يجذب المستمــع ويربطه بالرســـالة الاعــلاميــة •

(ﻫ) يتميز الراديو بنقــل رسائله فور وقوعهــا ، ولذلــك يعــد هو الوسيلة الأســاسـية فى وقت الأزمات ، وحين وقوع حــروب وصراعــات •

(و) التكرار فى الرســالة الاعــلاميــة بواسـطة الراديــو تكون مقبولة غير مملة لأنهــا تتخذ صورا متعددة ، كل منهــا لــه جاذبيته الخاصــة للمستمــع •

وقــد أدى التطور الحضــارى الى قيــام الراديــو بالترفيـــه بجانب قيامه بالخبر والتثقيف •

رابعا : الوســائل المسموعة المرئية :

وتجمــع هذه الوسيلة العناصر المؤثــرة فى المستمع وهى الصوت، والحركة ، والصورة ، وبذلك تتمكن من جذب اكثــر من حاســـة لدى الجمهور ، ولولا ما فى هذه الوسيلة من صور غير مشروعــة ، وبرامج مثيرة للشهوة ، لقلنــا انهــا اعظم وسيلة اعلاميــة معاصرة •

ان الرؤية تدفع المشــاهد الى التنوع ، وتقدم الحـــدث نابضا بالحركــة والحيوية •

هذه هى أهم الوســائل المستخدمــة فى الاتصــال المعاصر ، والدعــوة الى الاسلام تحتاج الى كل وسيلة ممكنة ، ومشروعــة ، لدعوة الناس وتوجيههم الى الله تعالى ، ان الاســلام يطلب من رجــل الاعلام ان يبذل كل جهــده ليوصــل رسائله الى الجمهور حيث هم ، بصورة بليغــة مقنعــة ، وذلــك أمــر يحتاج الى الاستعداد والبذل والاخــلاص • يقــول الله تعالى :

ـ « يا أيهـا المدثر قم فأنذر » (١) .

ـ « واصبر نفسـك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه » (٢) .

وها هو الرسول صلى الله عليه وسـلم لـم يترك وسـيلة ممكنة فى عصره عليه السـلام الا واستعملهـا ، فلقـد خطب الناس وناداهم وذهب اليهم فى ناديهم ، وعرض نفسه على القبائل ، وأرسل مصعبـا رضى الله عنه الى المدينة ، ولمـا تهيـات فرصـة للرسائل كتبهـا وأرسلها الى الأمم بعـد صلح الحديبية ، وأمـر أصحابه بالآذان ليكون شعارا دينيـا ، ومنهجـا ينادى به الناس للصلاة ، وجاهـد فى اللـه حق جهاده ، ليعلم الناس أن الاسـلام دين الحريـة والعـدل ، ومادام الأمـر كذلك فان على المسلمين فى العصر الحديث الاستفادة بكـل جديد فى مسـائل الاتصـال بشرط أن يكون مباحـا ، وأن لا يتصـل به أو بمضمونه مانـع شرعى ، لأن الدعـوة الى الله ، وتبليـغ الدين يجب أن تتم بمنهج دينى مشروع وبوسيلة مباحة ، ويجب أن يكـون واضحـا أن المسـجد هو الركيزة الأساسـية للاتصـال فى الاسلام فالمسـلم يتردد عليه فى صلوات الجماعة والجمعة والعيدين ، وخلال ذلك يؤثـر ويتأثـر بغيره ، ولو أحسن المسلمون الاستفادة من الدروس الدينيـة وخطب المنبر لاستفـادوا بالعـديد من الحقـائق ، ولتمكنوا من معرفـة دينهم ، ومعرفـة أحداث النـاس فى مجتمعهم الكبيـر والصغير .

---

(١) سورة المدثر آية ١ ، ٢ .
(٢) سورة الكهف آية ٢٨ .

المتلقى

المتلقى هو الهدف المقصود من العملية الاعلامية ، ومهما كانت وظيفة الرسالة فانها لا تظهر الا على الجمهور الذى وجهت اليه هذه الرسالة للتأثير فيه .

وبناء على هذه الحقيقة كانت ضرورة معرفة خصائص الجمهور الذى يتلقى الرسالة لتصل العملية الاعلامية الى غايتها وأهدافها ، اذا وصلت بصيغة ومضمون يتناسب مع المتلقى ، ومن المعلوم أن الجمهور المستقبل يتلقى الرسالة بمرآته ، ويفسرها بنفسيته ، ويتفاعل مع ما يتفق مع مشاعره واهتماماته ، وقديما كان «أرسطو» ينادى بضرورة وجود تفاعل وجدانى متبادل بين القائم بالاتصال وبين الجمهور يؤدى الى تأثر كل طرف بمشاعر الطرف الآخر ، وهذا أمر ممكن مع الاتصال الشخصى أو الجمعى ، لمعرفة كل طرف برد الفعل لدى الآخر ، أما فى الاتصال الجماهيرى فاننا نرى أن هذا التفاعل يبدو صعبا وغير ممكن ، لان الذى يقوم بالاتصال هيئة أو مؤسسة تستخدم عددا من العاملين وفق نظام معين ، كما أن القائم بالاتصال الجماهيرى لا يتمكن من تحديد جمهوره بصورة دقيقة لبعده عنه ، وأيضا فان اكتشاف الاثر ورد الفعل يحتاج لجهد ولدراسات عديدة (١) .

ومع هذه الصعوبة فانه لابد من معرفة الجمهور بقدر الامكان لأن تصور انعدام هذه المعرفة يؤدى الى تصور عدم جدوى الرسالة لاحتمال عجزها وتناقضها بصورة كاملة أو جزئية مع من توجه اليهم تقول الدكتورة جيهان روشتى : « ونحن جميعا نتذكر الحالات التى تجنبنا فيها رسائل غير سارة لأنها تسبب ألما وتوترا ، أو

---

(١) الأسس العلمية لنظريات الاعلام ص ٥١٧ بتصرف .

الحالات التى توقف فيهـا تفكيرنا عن العمـل بسبب شـعورنا بالشبـك مما جعلنـا نعجز عن تفسير مشـاكل بسيطة (١) •

ومن هنـا يصبح محتمـا أن يعـرف رجال الاعـلام والتوجيه طبيعة من يتوجهون اليهم ، ونوعيتهم ، وكل الجوانب التى لهـا دخل فى التأثير بمـا يسمع أو يقرأ •

وتيسيرا لصعوبة معرفـة جمهور الاتصـال نرى العلماء قـد وضعوا خطوطـا عريضـة يمكن الوقوف عليهـا ، وبواسطتهـا يعرف الجمهور بشكل عام • ذلك أن الجماهير تتميز بخصـائص رئيسيـة لها أثرهـا على أعمـالهم واتجاهاتهم • وهـذه الخصـائص هى المفتـاح الرئيسى لمعرفة جمهور الاتصـال • وأهمهـا ما يلى :

أولا : الخصائص الأولية للجمهور

الخصـائص الأولية هى الصـفات التى يمكن اكتشافهـا بسهولة ، لبروزهـا ووضوحهـا • ولهـا دور فى الاستجابة أو الرفض لمعلومات معينة ، وقد حدد العلماء بعض هذه الخصـائص فيما يلى :

(أ) العمـر : يبدأ الانسـان فى الادراك والتلقى ، والاستفـادة ممـا حوله بعد مولده ، ويستمر فى الأخذ حتى يلقى الله تعالى ، وخـلال فترة عمره تمر به مراحل متعددة تدفعه كل مرحلة نحو الاهتمـام بشىء ما ، حيث أثبتت التجارب العلميـة أن الطفل يهتم فى صغـره بالمـواد المسلية المحسوسـة ، ويقل اهتمامه بالأمور العقليـة والتجريدية ، كما أن الشباب يهتمون بالأمور الشخصية ، وأخبار البطولات والصراعات أكثـر من أهتمامهم بالأمور العامة والقضـايا الانسانية الدولية ، ويهتم المراهقون بالادوار الاجتماعية وبكل ما يشبع دوافعهم الفطرية ، فاذا ما كبر الانسـان صـار تفكيره منظمـا وأخضع اهتمامه لعمليـات

---

(١) المرجع السابق ص ٥١٥ •

انتقائيـــة تعتمـــد على القيم الدينيـــة ، والتوافق الاجتماعى ، والمصلحة العـــامة .

ان معرفة عمـــر جمهور الاتصـــال يســـاعد القائم بالاتصـــال على اختيـــار رسالته من ناحيـــة الموضوع ، والاسلوب ، والتنظيم ، وذلك يمكنه أن يعـــد لكل فئة رســـالة مناسبة ومقبولة .

(ب) الجنس : يختلف الرجل عن المرأة فى طبيعـــة تكونه ، وذلك أمـــر يتبعه اختلاف فى الوظيفة والاهتمام والتأثر .

ان المرأة أكثـــر عاطفـــة من الرجل ولذلك نراهـــا تتـــأثـــــر بالقضـــايا العاطفيـــة والخياليـــة أكثـــر من الرجل الذى يتحـــكم فيه التحليـــل العقلى والاستنتاج المنظم .

والمرأة يقل اهتمامها بالشئون العامة ، ويكثـــر اهتمامهـــا بشئون البيت والأسرة وذلك بخلاف الرجل .

ووظائف المرأة تجعلهـــا مستريحة فى أول النهار غالبا حيث الزوج والأولاد خارج البيت للعمـــل ، أو للدراســـة ، بينمـــا راحـــة الرجل آخـــر النهـــار . ان الوقوف على هـــذا الاختـــلاف بين الجنسين أمـــر حيوى لاتقـــان توجيه الرسالة الاعـــلاميـــة الى الرجل والى المرأة مع مراعـــاة ما يحتاج كل جنس اليه .

جـ — التعليم : فى مرحلة المراهقة تبدأ خصـــائص التعليم فى الظهور مع من نـــال قسطا منه ، حيث نرى الشباب المتعلم يهتم بقـــراءة الصحيفة ، ويحب المشـــاركة فى الندوات والمحاضرات العلميـــة . بينما الشـــاب الذى لم يتعلم تتجه اهتماماته الى الأخبار المصورة . أو المعلومات البسيطة المذاعة . ولهـــذا الاختلاف بدا ما للتعليم من تأثير فى الاستفادة والمشـــاركة .

ومعرفة هذه الخصـــائص الأولية (العمـــر ـــ الجنس ـــ التعليم) يتم بواســـطة الأبحاث والدراســـات الاحصـــائية ، التى تتناول أعضاء الجمهور بالبحث وفق معايير محددة •

ثانيا : الخصائص الشخصية للجمهور

يتمتع أفراد الجمهور بمجموعة من الصفات الذهنية والنفســـية الخاصـــة بكل فـــرد ، وبعض هذه الصفات مرتبط بالسلوك الاجتماعى للفـــرد • والمقصود بالخصـــائص الشخصية الصفات الذاتية والنفسية التى لهـــا تأثير على تقبله أو رفضه للرسائل الاعـــلاميـــة ، وقد أجريت التجارب العديدة حـــول هـــذه الصفات لتحديـــد العلاقـــة بينهـــا وبين تأثير الاتصـــال الجماهيرى ، ويمكن أجمال الصفات التى أبرزهـــا العلماء، وذكروا أن لها تأثيرا جوهريـــا فى عملية الاتصـــال فيما يلى :

(أ) الذكاء والرقى الذهنى : تتفاوت المقدرة الذهنية عند الأفراد ، فبعض الافـــراد لا يقفون عند حـــد السماع والفهم ، وانمـــا يتخطون ذلك الى التحليل ، والاستنتاج ، والنقـــد ، والحكم ، بمـــا أعطاهم الله تعالى من ذهن صاف ، وعقل ذكى ، وفهم فذ ، وبسبب تفاوت الناس فى الذكـــاء لاحظ المربون فروقـــا فردية بين المتعلمين والمثقفين ، ونتيجة لهـــذه الفروق وجدت المخترعـــات ، وتطورت الحياة ، واكتشف الانسان الجديد المخترع الذى يســـاعد البشرية فى التغلب على مشاكل العيش والحيـــاة • والفضـــل فى ذلك لله تعالى •

ورجال الاعـــلام فى عملهم لتوجيه الانســـان عليهم ملاحظة ما بين الناس من فروق فى الذكـــاء والفهم لصياغة رسائلهم مناسبة لهـــؤلاء وهؤلاء • تقول الدكتورة جيهان روشتى : « يمكننـــا أن نستنتج من الأدلة التى قدمهـــا هوفلاند وزملاؤه أن الأفراد ذوى الذكاء المرتفـــع يتأثرون أكثـــر من غيرهم حين يتعرضون لرســـائل اقناعيـــة معتمدة على أدلة منطقيـــة » (١) •

---

(١) الأسس العلمية ص ٥٤٥ •

(ب) العوامـل النفسـية : تقوم الجوانب النفسـية بـدور رئيسى فى التفاعـل مع المعلومات والانفعـال ، والاستجابة لعمليات التوجيه والارشـاد ، فمن الناس محب لذاته ، راغب فى الظهـور ، متعلق بكل ما يسـاعده فى تحقيق مصالحه الشخصية •

ومن الناس من طبعه التردد ، والقلق ، والخوف ، وعدم التصديق ، ومن الناس من هو مسرف فى الخيـال والأحـلام يجرى وراء الظنون والاوهـام •

ومن الناس من هو واقعى يحلل الأمور ، ويتفهمهـا ، ويتخذ منها موقفـا بعـد الدراسـة والتمحيص •

ومن الناس أشخاص منعزلون يعيشون وحدهم ، ولا يتأثرون بأى شىء يقـع من حولهم •

وهكذا يختلف الناس فى اتجاهاتهم النفسية ، ورغباتهم الشـخصية الأمر الذى يجعلهم يختلفون فى مدى تأثرهم بالرسـائل الاعـلاميـة ، ومن هنا رأينـا العلماء يهتمون بدراسة الاتجاهات النفسـية لجمهور الاتصـال ليتمكن القائم بالاتصـال من صياغة رسائله بطريقـة مفيدة ومؤثرة •

ثالثا : خصائص التأثير الاجتماعى

يعيش الفرد فى بيئة ينفعل بهـا وبأحداثهـا ، وغالبـا ما تؤثـر فى اتجاهاته الفكريـة ، وعاداته السلوكيـة ، وعلى القائمين بالاتصال ملاحظة هذه الوقـائع الاجتماعية ليتمكنوا من تحقيق التأثير المطلوب منهم ، وأهم هـذه المؤثرات ما يلى :

(أ) تأثير الجماعة على الفرد : الحياة فى مجتمـع تعنى أن مجموعة من الأفراد تعيش تحت مظلة هذا المجتمـع ، وهم الذين يصنعـون

اتجاهـاته وتقاليده ، ولذلك يجـد الانسـان الفرد نفسـه يعيش تقاليـد مجتمعـة ، ويـرى ما يراه ، وتفسـير ذلك أن الانسان يتأثـر بضغط الجماعـة عليه وبذلك فهو يسايرهـا ، ويمـل الى مواكبـة اتجاهاتهـا ، ويتغذى بثقافتهـا وانشطتهـا المختلفة •

(ب) تأثير قادة الرأى يؤدى التفـاعل داخل الجمـاعة الى ظهور أفراد متميزين بالشجاعة ، والثقافة ، والميل الى رأى القادة ،وهؤلاء يعيشون فى مجتمعم قـادة لـه ، يستمع الآخرون لآرائهم ، ويميلـون لاتباعهم ، وقـد أكدت البحوث الاعلاميـة على وجود تأثير هـام يمارسه قادة الرأى فى المجتمـع •

كما دلت الدراسـات على أن قادة الرأى يسعون دائمـا الى الحصول على المعلومات التى تجعلهم على اتصـال وعلم بمجريـات الأمور فى وطنهم ، ولذلك فهم يتعرضـون كثيرا لوسائل الاعلام ، ويقرءون ما تخرجه دور النشر والطباعـة •

ان قادة الرأى عـادة يكونون أفضـل ممثلين لجماعتهم فهم ليسوا جماعات منعزلة ، ولكنهم جزء لا يتجزأ من الجماعـة التى يعيشون فيهـا •

ان ملاحظة الخصـائص المتصلة بالجمهور سواء كانت أولية أو نفسـية أو اجتماعية تجعل القائم بالاتصـال ينظم رسالته ويحـدد وظيفتهـا وهدفها ، وهو لذلك يجد نفسـه يخاطب جماعـة فى الصباح ، وجماعة أخرى فى المسـاء ، كما أنه يوجه للاطفـال رسـائل معينـة ، وللمرأة غيرهـا ، وهكذا تتنوع البرامج تبعـا للجمهور المتلقى •

ان هذا التنظيم ضرورى فى منطق العقل وهو كذلـك فى تعاليم الاسلام ، فالناس هم مجال تبليغ الاسلام ، ومن شرط التبليـغ أن يكون بينا واضحـا يفهمـه المستمـع ، ويقتنع به ، ولذلك كان شرط البيان فى

التبليغ ، يقول الله تعالى : « **فهل على الرسول الا البلاغ المبين** » (١) ٠

ويقول تعالى :« **قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين** » (٢) ٠

ان التعريف بالاسـلام من خـلال وسـائل الاعـلام أو أجهزة الدعـوة يلتقى مع الفطرة الانسـانية ولابد لنجاحه من ملاحظـة **ما يلى :**

(أ) مراعاة ما بين الناس من تفاوت فى الصفات والخصـائص والمزايا ، ومن هذا المنطلق لابد من معرفـة واقـع المدعوين ، ودراسة خصائصهم العـامة ، ليسـهل الاتيـان لهم من حيث يفهمون ويقتنعون، يؤكـد ضرورة هـذه المعرفـة اسلاميـا ما نعرفه من اختيـار الله لرسله فلقـد اختارهم من البشر ٠ ليتناسبوا مع المرسل اليهم ٠ فهـم ببشريتهم يتعاملون ، ويفهمون ، ويناقشـون الأمـر الذى يساعـد على الالف وعـدم النفور ٠ وحينمـا تعجب الكفـار من ارسـال البشر قـال تعـالى : « **قـل لو كان فى الأرض ملائكـة يمشـون مطمئنين لنزلنـا عليهم من السماء ملكـا رسولا** (٣) لأن تنـاسب الرسول مع من أرسـل اليهم أمـر ضرورى ليكون سكونهم اليه أكمـل ، والفهم به أقوى ، وأيضـا فان هـذه المجانسـة تجعـل الرسول عارفـا بمن يخاطبهم ويدعوهم ٠

(ب) اختار الله لكل أمـة رسولا من بينهـا بعد أن عايشـهم وخبرهم ، وأحاط بمذاهبهم وأخلاقهم ٠ وذلك من صناعة الله وتقـديره ٠ نلحظ ذلك فى قصص القرآن الكريم حيث أن نوحـا وابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم جميعـا صلوات الله وسلامه قـد أرسلوا الى أقوامهم بعـد أن عاشوا بينهم مـدة ما قبل الرسـالة ، ولذلك كان رسل الله عليهم السلام يدعون قومهم الى التوحيـد ، وبعدهـا ينتقلـون

---

(١) سورة النحل آية ٣٥ ٠
(٢) سورة يوسف آية ١٠٨ ٠
(٣) سورة الاسراء آية : ٩٥ ٠

مباشرة الى توجيههم نحو الصواب ووجوب التخلص من الرذائل التى كانت متفشية فى الأقوام •

ان الرسـل كانوا يتحركون بوحى من الله تعالى • ومع ذلك فقد جعل الله حركتهم أسوة للمؤمنين يتخذونها منهجا للدعوة ، ودستور للعمل الخير الأمين •

(جـ) قضى الله سبحانه وتعالى أن تكون الدعوة للناس باللغة التى يفهمونها ، يقول الله تعالى : « **وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم** » (١) والآية تتضمن ذكر نعمة شاملة لجميع الاقوام حيث كانت لغة الرسول المبعوث هى لغة من بعث اليهم ليسهل الفهم والبيان ، وقد أختير محمد صلى الله عليه وسلم وارسل بلسان قومه ، وهو وان كان رسولا الى الناس كافة ، الا أن قومه الذين نزلت الدعوة بلغتهم ، هم الذين يحملون الرسالة الى كافة البشر، كل بلغته ، وهم على ذلك قادرون ومتمكنون بفضل الله تعالى •

(د) أمر الله تعالى بضرورة ملاحظة الفروق الفردية بين المدعوين والتوجه لكل فريق بالاسلوب المناسب لعقله ونفسه يقول الله تعالى :

« **أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** » (٢) والآية تشير الى الأسس والمبادىء التى يجب ملاحظتها فى الدعوة حتى تصل الى القلوب برفق ، وتوصل الى الحق باقتناع ، مع توجهها الى كافة الناس وان اختلفوا فى خصائصهم ، وطبائعهم ، فان الدعاة مكلفون بمخاطبة الناس على قدر عقولهم يقول على كرم الله وجهه : « خاطبوا الناس على قدر عقولهم أتحبون أن يكذب الله ورسوله » •

---

(١) سورة ابراهيم آية ٤ •
(٢) سورة النحل آية ١٢٥ •

(هـ) أمر الله تعالى بضرورة مراعاة الاتجاهات النفسية عند المدعوين ، ولذلك كانت أوامر الله لرسوله : **« خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين »** (١) ، **« واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره »** (٢) .

ان هذا الاعراض المأمور به لا يعنى ترك الدعوة ، ولكنه يفيد ضرورة تخير الظرف المناسب نفسيا لتوجيه الخطاب والارشاد .

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يراعى هذا الجانب النفسى عند الناس ولذلك نرى أن وصيته كانت تختلف من شخص لآخر حيث قال لبعض أصحابه **« لا تغضب »** وقال لآخر : **« لا تكذب »** وقال لآخر : **« قل ربى الله ثم استقم »** وما كان هذا الاختلاف الا لمراعات من توجه اليهم النصيحة .

ولما سألت عائشة رضى الله عنها عن قواعد البيت كما بناه ابراهيم عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« لولا أن قومك حديث عهد بكفر لأمرت بالبيت فهدم ثم بنيته على قواعد ابراهيم »** وهكذا لاحظ الرسول صلى الله عليه وسلم ما بالنفوس ، وتعامل مع أصحابه على قدر عقولهم .

(و) على الدعاة أن يحرصوا على مصلحة من يدعونهم لأن ذلك أساس نجاح عملية الدعوة يقول الله تعالى : **« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم »** (٣) .

وكان عليه الصلاة والسلام يتألم من انصراف الناس عن المصلحة والخير ، يقول الله تعالى : **« فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم**

---

(١) سورة الاعراف آية ١٩٩ .
(٢) سورة الأنعام آية ٦٨ .
(٣) سورة الاسراء آية ٩٥ .

يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » (١) وما كان كذلك الا لحبه للخير وحرصه على مصلحة الناس •• والدعـاة ورجال الاعـلام بعـد رسول الله عليـه الصلاة والسلام عليهم أن يحرصوا على هذا الجانب فيه تنفتـح القلوب المغلقة ، وتنزاح الغشـاوة والقسوة •

وهكذا ترى اهتمـام الاسلام بضرورة التوجه الى النـاس بالمستوى الواقعى الذى يعيشونه ، ومراعـاة الخصائص التى يتمتعون بهـا • وذلك أمـر يقتضى معرفـة الجمهور قبل التوجه اليه بالخطـاب والحديث •

ان الاسلام فرق فى بعض التكاليف بين الرجل والمرأة ، وبـين الحـر والعبد ، وبين السليم والمريض مراعـاة لطبيعة المكلفين ، وهذا يؤكـد موقف الاسـلام من ضرورة معرفـة النـاس قبـل التوجه اليهم بالدعـوة والاعـلام •

* * *

---

(١) سورة الكهف آية ٦ •

الفصل الخامس

أساليب الاعلام
فى القرآن الكريم

١ ــ مزايا الأسلوب القرآنى ٠
٢ ــ القصة ٠
٣ ــ المثل ٠
٤ ــ القسم ٠
٥ ــ الحوار والجدل ٠
٦ ــ الاستفهام ٠

أساليب الاعلام
فى القرآن الكريم

نزل القرآن الكريم من عند الله تعالى بلفظه ومعنـــاه ، ليخاطب الناس ويدعوهم الى النجاة والفلاح • وقـــد تميز القرآن الكريم بحلاوة العبارة ، ووضوح المعنى ، وقوة التأثير • حتى رأينـــا العـــرب يسحرون بسماعه ، وكان بعضهم حين يسمعونه يخرون للأذقان يبكون ويزيدهـــم خشوعـــا •

والاعـــلام الاسلامى أحـــد ركائز تبليـــغ الاســـلام ، ودعـــوة الناس اليه ، وهو مكلف باتبـــاع منهج تبليـــغ العصر الأول ، فى الالتزام بقضـــاياه فهى الدين ، وتمثـــل منهجية الأسلوب فى تناول مبـــادئـــه ، وحقـــائقه •

وسوف يكون هـــذا الفصل فى دراســـة أســـاليب القرآن الكريـــم فى الاعـــلام والدعـــوة ، أملا فى أن يضع الاعلاميـــون والدعاة أنفسهم فى اطـــار المستفيدين بكتـــاب الله تعالى بقدر طاقتهم البشرية •

وسوف يأتى هذا الفصـــل مشتملا على المباحث التالية :

١ ـــ مزايـــا الاسلوب القرآنى •

٢ ـــ القصـــة القرآنيـــة •

٣ ـــ المثل القرآنى •

٤ ـــ القسم القرآنى •

٥ ـــ الحوار القرآنى •

٦ ـــ الاستفهـــام القرآنى •

وذلك فيما يلى :

مزايا أسلوب القرآن الكريم

الاسلوب عبارة عن التراكيب اللفظية المشتملة على معنى من المعانى ، وتختلف الأساليب عن بعضها بمقدار قربها أو بعدها من توضيحها لمعناها ، وخلوها من الغرابة والشذوذ ، وتأثيرها فى الانسان الذى يسمعها أو يقرؤها .

واسلوب القرآن الكريم فاق كل الأساليب العربية من كل النواحى ويكفى ان العرب وهم أهل الفصاحة والبلاغة أخذوا ببيانه ، وسحروا بفصاحته وبلاغته . فقد اسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين سمع بعض آياته ، وكان عمر للاسلام مباعدا ، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم عدوا ، لكنه انبهر بالقرآن ، وسحر بدعوته ، فدخل فى دين الله تعالى ، والوليد المغيرة قال عن القرآن الكريم حين سمعه : والله ان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وانه ليعلوا . وما يعلى عليه » (١) .

وقد وصل تأثير الأسلوب القرآنى فى الناس انهم كان ينفعلون وجدانيا به ، وتهيج عواطفهم ، ولا يملكون الا الدمعة تخرج من مآقيم وكلمة الايمان تعلو السنتهم ، واليقين والاخلاص يملأ جوانحهم . يقول الله تعالى :

— « واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين »(٢)

ويقول سبحانه :

— « ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا . ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ،

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٣٦٧ .

(٢) سورة المائدة آية : ٨٣ .

ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا » (١) ٠

ويقول :

ــ « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشــابها مثانى تقشــعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » (٢) ٠

هكذا تأثير القرآن الكريم ، تدمع العين ، ويقشعر الفوائد ، وتخضع الجوارح ، وتلين القلوب ، ويعود الانســان الى فطرته ، فــلا يــرى الا الحق ، ويســلم أمره لله رب العالمين •

وهذا التأثير سر من أسرار القرآن الكريم مبثوث فى كل آيــة من آياته ، ولذلك كانت الآية الواحــدة حين تنزل تؤثــر وهى آيــة واحدة •• وهــذا التأثير يدل من زاويــة أخرى على ان الانســان بفطرته يتأثر بالأسلوب الذى يلامس عواطفه ، ويلتقى مــع وجدانه ويتلاءم مع عقله ، والقرآن الكريم قمة فى هــذا لأن منزله هو الله خالق الانســان ، والعليم به • ولذلك كان التوافق الدقيق بين اسلوب القرآن الكريم وفطرة الانسان المخلوق •

ان الانســان لا يتأثــر بالاكــراه أو الطغيــان ، وكم من باغ ساد بالقوة والظلم ، وحينما يختفى تغيب ملامحه ، ولا يبقى الا فعله وجريرته على الســنة اللاعنين والســاخطين • ان أسلوب القرآن معلم واضــــح أمام رجــال الاعــلام ليمتنوا أنفسهم وينهلوا من توجيهاته ــ موضوعا ومنهجــا ــ ولعل أهم مزايــا أساليب القرآن الكريم ما يلى •

١ ــ الدقــة فى ابراز المعنى :

أسلوب القرآن الكريم يتميز بالدقــة فى الدلاله على المعنى ، وليس تقدم كلمــة أو تأخيرهــا صناعــة لفظيــة مجردة ، وانمــا ذلك جــاء لتحقيق المعنى المراد ، لدرجة أن تصور أى تغيير فى ترتيب الكلمــات

---

(١) سورة الاسراء آية ١٠٧ ــ ١٠٩ ٠
(٢) سورة الزمر آية ٢٣ ٠

يؤدى الى اختلال المعنى • خذ مثلا قوله تعالى : **« واذ يرفـــع ابراهيم القواعـــد من البيت واسماعيل ربنـــا تقبـــل منـــا انك أنت الســـميع العليم »** (١) حيث نراهـــا تؤخر ذكـــر اسماعيل لا فادة أن دوره فى رفـــع قواعـــد البيت كان ثانويـــا ، ولـــم يكن كدور ابيه ابراهيم عليهم الصـــلاة والسلام ، لأن ابراهيم عليه السلام كان يبنى ، وكـــان اسماعيل عليه السلام يناوله •

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : **« اياك نعبد وايـــاك نستعين »** (٢) حيث نرى تقدم المفعول للاشـــارة الى اختصـــاصـــه بالفعل ، وصدق العبد فى التوجه لله عبادة واستعانة •

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : **« واستعينوا بالصبر والصـــلاة وانهـــا لكبيرة الا على الخاشعين »** (٣) حيث نجد الآية لـــم تذكـــر المستعـــان عليه لتذهب النفس فيه كل مذهب ، وليكون شـــاملا لكـــل ما يستعان عليه •

ومن دقه الاسلوب القرآنى فى الدلالة عـــلى المعنى نلحظ تسلســـل الآيـــات وفق معانيهـــا المرتبة ، ومن أمثلة ذلك نقرأ قولـــه تعـــالى **« الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب،ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بمـــا أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون • أولئك على هدى من ربهم وأولئك هـــم المفلحون »** (٤) •

حينما نقـــرأ هـــذه الآيـــات ، ونتأمـــل فيها نلحظ نســـــجهـــا

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٧ •
(٢) سورة الفاتحة آية : ٥ •
(٣) سورة البقرة آية : ٤٥ •
(٤) سورة البقرة آية ١ ــ ٥ •

المتلاحم ، وتسلسل معانيهـا ، حتى ان كل معنى يسـلم لمـا بعده ، ولو قسـمنـا الآيات الى جمـل لظهر ذلك بوضوح •

فالجملة الأولى وصفت القرآن بالكمال •

والجملة الثانية أشارت الى أنه لا شـك فيه تأييدا لكمـاله •

والجملة الثالثة : بيان لدوره مـع المؤمنين ، المطيعين ، المتقين فى اسعادهم وتكميلهم •

والجملة الرابعة . عرفت المؤمنين واعمالهم الكامله •

والجملة الخامسة : اكدت جزاء هؤلاء المؤمنين •

هذا هو ترتيب الآيات ، وهو ترتيب وتناسق يسلم كل جزء فيـه لمـا بعـده فى تسلسل وتوازن •

٢ ـ التصوير الفنى :

يقوم أسلوب القرآن الكريم على استعمال منهج التصويـر الفنى فى اقناع الانسـان وارضـاء عواطفه ، فهو يعبر بالصـورة المحسة المتخيلة عن المعنى الـذهنى ، وعن الحس المنظـور ، وعن النموذج الانسـانى ، ثـم يرتقى بالصورة التى يرسمها ، فيمنحهـا الحيـاة ، فاذا المعنى الذهنى هيئة ، واذا الحس المنظور مجسـم شاخص ، واذا النموذج الانسـانى جسم مرئى ، فاذا ما أضيف الى ذلك الحوار ، وموضوع الحوار يتحـول المشـهد كله الى واقـع محسوس متحرك ، الامر الذى يرضى الوجدان ، ويثير الانفعـال •

« ويجب ان نتوسـع فى معنى التصويـر ، حتى ندرك آفـاق التصويـر الفنى فى القرآن الكريم فهو تصويـر باللون ، وتصويـر بالحركـة ، وتصويـر بالايقـاع ، وكثيرا ما يشترك الوصف ، والحوار ، وجرس الكلمـات ونغم العبارات فى ابراز صورة من الصور ، تتملاهـا العين والأذن والحس والخيـال ، والفكـر والوجدان » (١) •

---

(١) التصوير الفنى فى القران ص ٣٥ •

وهذا كلام يتضح بالامثلة من القرآن الكريم يقول الله تعالى .

« يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليـوم الآخـر ، فمثله كمثـل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرن على شىء مما كسـبوا والله لا يهـدى القوم الكافرين ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغـاء مرضـات الله وتثبيتـا من أنفسهم كمثـل جنة بربوة أصابهـا وابـل فآتت أكلهـا ضعفين فان لـم يصبهـا وابل فطـل والله بمـا تعملون بصير » (١) .

فهاتان الآيتان تعرضـان صورة المعانى النفسـية المرتبطـة بالصدقة والانفـاق فهنـاك أنفس تتعالى ، وتتباهى ، وترائى . وهناك أنفس أخرى ترضى الله ، وتتصـل به ، وتأمل فى ثوابه ، وحركـات النفس دائمـا تدور فى الباطن الخفى ، ولكنـا فى الآيتين نـرى القرآن الكريم يصورها بشكل شاخص محسوس ، حيث سـاق صـورة النفس المرائيـة ، بأنهـا كالحجـر الأملس عليه تراب يستره وينبت فيه زرعا ، فاذا نزل عليه المطـر أذهب عنه الطبقـة التى تمسـتره ، وافقده امكـانيـة اعطـاء أى خير ..

وأمـا النفس المؤمنة التى تعمـل لرضـاء الله فهى كزرع يانع فوق ربوة تزداد يناعتهـا بنزول المطـر عليه ، ولو لـم ينزل المطر فانه يستفيد بالطل .

ويلاحظ ان التقابل بين الصورتين يعطيهما لمعانا ووضوحـا ، فالصدقات مع الرياء تراب قليل فوق الحجر ، بينما صدقـات المؤمن فهى جنة فوق ربوة عاليـة ، .. **وأيضـا** فالمطر ينزل لكنـه يمحـق ويمحو مـع النفاق ، بينمـا نراه مـع الايمـان ينمو ويربو ..... وأيضـا فنفقه المنـافق عمل لافائدة فيه ، بينمـا نفقـة المؤمن مثمرة مفيدة . نافعة .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

وببروز هذه المعانى فى التصويـــر القرآنى يرى الانسان نفســـه مقتنعـــا بضرورة الايمـــان وبذل العمـــل مرضـــاه لله تعالى •

ومثال آخر :

ـــ يقول الله تعالى : « **يا أيهـــا الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم يوم ترونهـــا تذهل كل مرضعة عمـــا أرضعت وتضـــع كـــل ذات حمـــل حملهـــا ، وترى الناس سكارى وماهم بســـكارى ولكن عذاب الله شديد** » (١) •

وهذا مشهد حافل بالصورة والحركة يصور هول يـــــوم القيـــامة ، فالأم المرضعة ذاهلة عمـــا ارضعت ، تنظـــر ولا ترى ، تتحـــرك ولا تعى وكل حامـــل تسقط حملهـــا ، ويبدو الناس غافلين سكارى وماهم بسكارى مشـــهد مزدحم بذلك الحشـــد • المتماوج ، تكـــاد العين تبصره بينما الخيـــال يتملاه ، والهـــول الشـــاخص يذهله ، فلا يكاد يبلغ أقصاه » (٢)

وهكذا نرى ان التصويـــر الفنى ميزة من مزايـــا اسلوب القرآن الكريم • وبواسطته يظهـــر المعنى • ويتحقق المراد •

٣ ـــ الفصـــاحة والبلاغـــة :

يتميز أسلوب القرآن الكريم بالفصـــاحة والبلاغـــة • فلاغرابة ، ولا تنافـــر ، ولا تضـــارب مـــع ابراز المعنى الواحـــد فى صـــــور وصيغ عديدة ، ان الكلمة الواحـــدة فى القرآن الكريم تمثـــل موقعهـــا فى دقة ورقـــة وانسجام •

وقـــد تكون الكلمـــة فى حد ذاتهـــا ثقيلة فاذا ما جاءت فى الاسلوب القرآنى برزت فى صورة جميلة (٣) •

وفى أسلوب القرآن الكريم نجد الوان البيان المتعددة ففيه التشبيه والمجاز ، والكناية ، والاستعارة وهكذا •

---

(١) سورة الحج آية ١ ، ٢ •
(٢) التصوير الفنى ص ٥٣ •
(٣) سيأتى توضيح هذه المسألة فى القصة •

القصـــة القرآنيـــة

أهتم العـــرب بالقصـــة لمـــا لهـــا من تأثير فى الناس ، ولذلـــك **سجلوا أخبارهم قصصـــا يحكى فى العالمين .**

وقد اشتمـــل القرآن الكريم على قصص الامم الماضيـــة حيـــث تضمنت أحداثهم ، واخبارهم ، وموقفتهم من دعوات الله اليهم .

والقصـــة **أحـــد** أســـاليب القرآن الكريم فى تبليغ الاسلام للناس وهداية الخلق لله رب العالمين ، ولذلك كانت اغراض القصـــة دينيـــة دائما حيث هى فى القرآن تثبت احـــدى قضـــايـــا العقيـــدة والشريعة والاخلاق ، وأيضـــا تتعامـــل مع الناس برفق ، ولين ، وتدرج وأنـــاة . **وأيضـــا** . تنهج فى عرض قضـــاياهـــا منهج البيـــان والاقنـــاع من غير خداع أو مبالغة ، ولذلك كان قصص القرآن أحسن القصص . يقول الله تعالى : « **نحن نقص عليك أحسن القصص** » (١) .

ويرجـــع حسنه الى فصـــاحة لفظه ، وبلاغة تراكيبـــه ، ووضوح معانيه ، وصدق أخباره ، وقصده فى تحقيق الخير والفلاح . يقول الرازى: « والقصص فى الآية يجوز أن يكون مصدرا بمعنى الاقتصـــاص ، ويجوز أن يكون من باب تسمية المفعول بالمصدر ، فـــاذا أريـــد الأول كـــان الحسن راجعـــا الى كون ألفاظهـــا فصيحة بالغـــة فى الفصـــاحة حـــد الاعجاز ، وان أريـــد الثانى كان الحسن لمـــا فيهـــا من العبر والنكت والفوائد التى ليست فى غيرهـــا » (٢) فنرى الرازى يدور بالحســـن فى قصص القرآن الكريم من ناحية الفاظه وتراكيبه ومعاينة .

---

(١) سورة يوسف آية ٣ .
(٢) تفسير الرازى جـ ٥ ص ١٥٠ الطبعة الأولى .

والقصـــة القرآنيـــة تأتى مشتملة على كافـــة عناصر القصـــة الفنيـــة ، فالمكـــان والزمان والحوادث والاشخاص والحوار • كل ذلـــك بـــارز فى القصـــــة القرآنية ، الا أنهـــا قد تبرز بعض العناصر فى موضـــــع ، وتبرز غيره فى موضع آخـــر وهكذا ، كمـــا أنها قد تكتفى بلقطـــــــــة من العنصر الواحـــد دون بقية اللقطـــات فى سورة ، وفى سورة أخرى تأتى بلقطة أخرى وهكذا • وسر ذلـــك أن القصـــــة لـــم تنزل للتسلية أو لمجرد حكايـــة التاريخ ، وانمـــا نزلت فى اطـــــار القرآن الكريم لتوضيح الاســـلام ، وهدايـــة الانســـان ، وكـــلا الأمرين يحتـــاج الى المنهج الذى نزلت به القصـــة •

أما توضيح الاسلام فان من الأولى لـــه أن يظهر جزءا جزءا ، لأن طول الكلام ينسى بعضه بعضـــا ، كمـــا ان تجزئة الموضوع يـــؤدى الى الفهم والاقتنـــاع فى أناة وروية وبذلك يحفظ ولا ينسى ، ويطبق ولا يهمـــل •

وأما هداية الانســـان فان اليسر يحتاج الى التدرج ، وطبيعـــــــة الانســـان فيهـــا الملل والسآمة فلزم لذلك أن يكون التوجـــه اليـــــــه بالقصـــة جزءا جزءا ، وأيضـــا فان تقديم الاســـلام جزءا جزءا فى اطار القصـــة يؤدى الى تكرارها ، وفى التكرار زيـــادة بيـــان ، وزيـــادة فهم وزيـــادة اقتنـــاع •

ويمكن اجمـــال منهجية القصص القرآنى كاســـلوب اعـــــلامى فيما يلى :

القصـــة القرآنية أسلوب اعـــلامى :

يملك القصص دائمـــا الاثارة والجاذبيـــة • الا أن بعضـــــه هو الذى يستحق البقاء لأنه يبغى هدفـــا ويقصـــد خيرا للفـــرد والجماعة •

والقصـــة القرآنية من هذا النوع الهادف القائم على الحق المساق لغرض محدد • وكل ما فيهـــا من فنية مؤثـــرة هو أصـــل هدفهـــا

المطلوب • فهو الذى يحدد مســاقها • ويبرز بعض جوانبها • ويخرجها للنـــاس **لفظا وموضوعــا** •

يقــول الشــيخ محمــد عبده « جاءت آيات القصص على أسلوب القرآن الكريم الخاص الذى لــم يسبق اليه ولم يلحق به • فهو فى القصص لــم يلتزم ترتيب المؤرخين ولا طريقــة الكتــاب فى تنســيق الكــلام وترتيبه على حسب الوقــائع التى فى القصــة الواحـــــدة وانمــا ينسق الكــلام فيه بأسلوب يأخذ بمجامــع القلوب ويحــرك الفكــر الى النظــر تحريكا ويهز النفس للاعتبار هزا (١) ، ذلك لأن القرآن هو كتاب الدعــوة • ولابد أن يفى لهــا بالتأثير والهدايــة عن طريق بيانه المتعــدد • ومنه القصــة •

أما خصائص الالفاظ (٢) : فهى كثيرة نلمحهــا فى كل لفظــة عــلى حــدة وفى الجملة مركبة من عــدد من الألفاظ المكونة للآية الواحـــــدة أو لعدد من الآيات •

فالكلمة القرآنية ــ أولا : تمثل فى موقعها من القصة دقة مشتملة على أعلى درجــات الفصاحة والبلاغة فحروفهــا متلائمــة فى رقـــــة خالصة بلا غرابة أو تنافــر ، وتتماســك الكلمة فى انسجام تام وتكامل واضح ، وكل من لــه حس فنى يرى هــذا الترابط التــام بين الحروف فى الكلمة الواحــدة • وكأن كل حــرف وجد ليوضع فى هــذا الموضع وحــده لمــا يصنعه من موسيقى فى النفس والحس •

ولقد دلت الوقائــع على آثار الكلمات القرآنية فى نفوس مستمعيها ومن أمثلة ذلك ما رواه ابن هشــام فى بيانه سبب اسلام عمــر رضى الله عنه فقــد ذكــر أن السبب هو قراءته لبعض كلم القرآن الكــريم • وقد

---

(١) تفسير المنار ج ١ ص ٣٤٦ •

(٢) يلاحظ أن اسلوب القصة هو اسلوب القرآن الكريم كله ونحن نأخذ منه هنا ما فى القصــة وحدها لنتبين فنيتها المــؤثرة على نحــو ما وردت فى القرآن باسلوبهــا •

وصفها بقوله « **ما أحسن هذا الكلام وأكرمه** » (١) ، ومن أمثلته ما قاله عتبة بن ربيعـــة يصف القرآن لأهله « **سمعت قولا ما سمعت مثله قط** »(٢)

والكلمة — **ثانيـا** — قد تكون فى حـــد ذاتهـا ثقيلة فاذا ما جاءت فى القصة القرآنية برزت فى صورة جميلة • وأدت دورهـا بوفاء • وتعاونت مع الكلم حولهـا وصنعت الموسيقى الصوتية والمعنوية التى تزيل الثقل وتستبدل به الحسن والجمال ، ومن أمثلة هذه الكلمات لفظـة النذر جمـع نذيـر وهى كلمـة وردت كثيرا فى قصص سورة القمـر • يقول الرافعى • « الضمة ثقيلة فى لفظة النذر لتواليهـا على النون والذال فضـلا عن جسأة هـذا الحـرف ونبوه فى اللسـان وخاصة اذا جـاء فاصلة للكـلام • ولكنه جـاء فى القرآن على العكس وانتفى من طبيعته ، انظـر قوله تعالى ، « **ولقد انذرهم بطشتنـا فتماروا بالنـذر** » وتأمل هـذا التركيب ، وانعم ، ثم انعم تأمله ، وتذوق مواقع الحروف ومواضع القلقلة فى « دال » لقـد « وفى طاء » بطشتنا وهـذه الفتحات المتتالية فى « تماروا » مع الفصـل بالمد كأنهـا تثقيل لخفـة التتابع فى الفتحات ان هى جرت على اللسـان ليكون ثقل الضمة مستحقـا بعـد • ولتصيب هذه الضمة موقعهـا • ثم ردد النظـر فى « تماروا » فانهـا ما جاءت الا مسـاندة لراء « النذر » • حتى اذا انتهى اللسان الى هـذه انتهى اليهـا من مثلهـا • فلا تجف ولا تغلظ • ولا تنبو فيه ، ثـم أعجب لهـذه الفتحة التى سبقت الطاء فى نون « أنذرهم » وفى ميمهـا • وللفتحـة التى سبقت الذال فى « النذر » (٣) •

والكلمة — **ثالثا** — لا تكون الا لهـدف وغرض ومعنى • ومـا قاله البعض من أن بعض الألفاظ جاءت زائدة ويضربون لذلـك أمثلة بعضهـا فى كلم القصص ومنهـا « لا » الأولى فى قوله تعالى :

« **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم** » (٤) •

---

(١) سيرة النبى جـ ١ ص ٣٦٧ •
(٢) اعجاز النبى جـ ١ ص ٣١٤ •
(٣) اعجاز القرآن ص ٢٥٨ •
(٤) النسـاء آية ٦٥ •

و « أن » فى وله تعالى :

« فلمــا أن جاء البشير ألقاه على وجهه » (١) ٠

و « الواو » فى قوله تعالى :

« فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صـــدقت الرؤيا » (٢) ٠

ومن المعلوم أن وصف الكلمة بكونهــا زائدة يعنى أنه لا فائــدة منهــا وأن وجودهــا كعدمه تماما ، وما المحافظة عليهــا مع زيادتهــا الا لأنهــا نزلت بالوحى المحفوظ الثابت الذى يجب ان يبقى محفوظــا كمــا نزل ٠

ان ما قاله هــذا البعض مردود بأحــد طريقين :

الأول : هــذه الحروف لهــا فوائدهــا حيث تشــارك فى معنى مــا حواليهــا ، ومعنى كونهــا زائدة حينئذ أى انهــا زائدة فى الاعراب فقط أما فى المعنى فليست بزائدة لأن « لا » فى الآية الأولى تؤكــد معنى القســم بتوكيدين حــول المقســم عليه لأهميته ، و « ان » فى الآية الثانيــة لتصويــر الفصــل الذى كان بين قيــام البشير بقميص يوسف وبين مجيئه ، ولصــنع غنة ترمز الى الطــرب الذى جاء بــه البشير (٣) و الــواو فى الآية الثالثة ليكثــر المبنى دلالـــة على كثــرة المعنى ، وليطول نفس القارىء أمــام هــذا الموقف العجيب ، المثير ٠

الثانى : أن هذه الحروف ليست زائدة لا فى الاعراب ولا فى النظم فان نظمهــا يفيــد المعانى السابقــة ، واعرابهــا موجود حيث تعرب « لا » نافية لقول المنافقين المقدر ٠ والمعنى ليس الأمــر كمــا يقولون ثم استؤنف القســم بعدهــا (٤) ، وتعرب « أن » مصدرية لتصــنع

---

(١) سورة يوسف آية ٩٦ ٠
(٢) سورة الصافات آية ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ٠
(٣) اعجاز القرآن ص ٢٦٣ ٠
(٤) الاتقان ج ١ ص ١٧١ ٠

مع الفعل بعدهـــا فاعـــلا لفعل مضمـــر تقديره « فلمـــا ظهر أن جـــاء البشير (١) ، وتعرب « الواو » عاطفـــة فى « وناديـنـــاه » ويجعل جواب الشرط مقدرا • أى سعد سعادة عظيمـــة ، يقول الرازى وحذف الجواب ليس بغريب فى القرآن الكريم ، والفائدة فيه أنـــه اذا كـــان محذوفـــا كان أعظم وأفخم (٢) •

هذا عن الكلمة الواحدة • فلو تركناهـــا الى الجملة مركبة من كلمات لوجدنا :

أن الجملة ـ **أولا** ـ تهتم بالبيان الراقى النابع من لفظ قليـــــل • ولرأينـــا كيف تؤدى الكلمـــات القليلة المعانى الكثيرة مع المحافظة على جمالها الرنان وجرسها الحسن • وهـــذه الخاصيـــة للتراكيب القرآنيـــة مكنت للقصـــة فوضحت بالقليـــل من الألفـــاظ ، ورآهـــا المستمع حيـــة متحركة أمامه • اذا قرئت قراءة حسنة •

اقرأ قوله تعالى قاصـــا اجابة موسى عليه السلام حين سأله فرعون عن ربه •

« قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » (٣) •

فذكـــر أدلة وجود الـــرب المعتمدة على قدرته وعنايته بالانســـان حيث هداه الى الخير • وذلك كله فى هـــذه الجملة القصيرة التى يحتاج تفصيلها الى كتب كثيرة ، يقول الرازى « ان الشروع فى بيـــان عجائب حكمة الله فى الخلق والهداية شروع فى بحر لا ساحل لـــــه » (٤) •

واقرأ قوله تعالى قاصا اجابة الهدهد لسليمان **« وجئتك من سبأبنبأ يقين »** (٥) فقـــد بين بهذه الكلمات الأربع أن غيبة الهدهد كانت لغايـــة

(١) مفـــاتيح الغيب جـ ٥ ص ٢٤٣ •
(٢) مفاتيح الغيب جـ ٧ ص ١٥٩ •
(٣) سورة طه آية ٥٠ •
(٤) مفاتيح الغيب جـ ٦ ص ٦٠ •
(٥) سورة النمل آية : ٢٢ •

كبرى تفيد سليمان وتهمه • وقـــد أتى الهدهد بهـــا من مكان بعيـــد ناء • وان هذه الغاية تحمـــل أخبارا لـــم تعـــرف من قبـــل ولم تكن محتملة وهى أخبار صادقـــة لا تحتمل الكذب أبدا • وقد وضعت ألفاظها فى جمال وحسن يبدوان من الادغـــام والغن وتنوع شـــكل الحروف وهكذا ســـائر التراكيب •

يقول الباقلانى ما رأيك فى قوله تعالى :

« ان فرعون علا فى الأرض وجعل أهلهـــا شيعـــا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نسأءهم أنه كان من المفسدين » (١) •

فان هذه الآيات تشتمـــل على ست كلمات (جمل) سناؤهـــــــا وضياؤهـــا على ما ترى ، وسلاستهـــا وماؤهـــا على ما تشـــاهد ، انهـــا تشتمـــل على جملة • وتفصـــيل ، وتفسير ، حيث ذكـــر العـــلو فى الأرض ، وفسره باستضعاف الخلق بذبح الوالدان وسبى النساء ، واذا تحكم فى هذين الأمرين فما ظنك بما دونهما •• ثـــم ذكر الفـــاصـــــــلة التى ردت آخـــر الكـــلام الى أوله بقوله « **أنه كان من المفسدين » (٢)**

ولعل اجابة موسى على فرعون ، واجابة الهدهد ، ووصف فرعون ، لو حاول بشر أن يصوغهـــا ابتداء ، لأستوفاهـــا بأضعـــاف كلماتها •

والجملة — ثانيـــا — تتكون من كلمـــات متفقة ومؤتلفـــة ومتعاونة فى أداء المعنى وكأن كل كلمـــة لفق (٣) • لجاراتهـــا لفظـــا ومعنى •

اقرأ قوله تعالى فى قصـــة نوح عليه السلام •

---

(١) سورة القصص آية : ٤ •
(٢) اعجاز القرآن للباقلانى ج ٢ ص ٦٤ •
(٣) اللفق شدة الملاءمة أى أن كلمة جزء من الكلمة المجاورة •

« وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين » (١) •

فان كلماتها مرتبطة ومؤدية لكثير من المعانى ، يقول عبد القاهر معلقا على هذه الآية : انك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة الا لأمر يرجع الى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض وان لم يعرض لها الحسن والشرف الا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثانية بالثالثة • وهكذا الى أن تستقر بها كلها • ثم يقول : ان شككت فتأمل هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت أدت من الفصاحة ما تؤديه وهى فى مكانها من الآية ، قل « ابلعى » واعتبرها وحدها من غير أن تنظر الى ما قبلها والى ما بعدها • وكذلك فاعتبر سائر ما يليها • وكيف بالشك فى ذلك ، ومعلوم أن مبدأ العظمة فى أن نوديت الارض ثم أمرت ثم ان كان النداء بيا دون أى — ثم اضافة الماء الى الكاف دون أن يقال « أبلعى الماء » ثم أن نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها اتبع نداء السماء • وأمرها كذلك بما يخصها ، ثم الى بناء الفعل « غاض » للمجهول للدلالة على انه لم يغض الا بأمر آمر ، وقدره قادر ،ثم الى تأكيد ذلك وتقريره بقوله وقضى الأمر ، ثم الى ذكر ما هو نتيجة الأمور جميعا وهو الاستواء على الجودى ، ثم الى اضمار السفينة قبل الذكر للتعظيم والتفخيم ، ثم الى مقابلة « قيل » فى الخاتمة بـ « قيل » فى الفاتحة (٢) •

وهكذا نرى أن القصص القرآن يصور الحقائق فى دقة نادرة • أخذت بلب البلغاء ودهشتهم • وجعلت العرب وهم أرباب البلاغة — معنى وبيانا وبديعا — يقفون أمامها وليس لهم الا التأثر والتسليم •

والجملة — ثالثا — تراعى عملية التأثير فى نفسية المستمعين على حسب وضعهم •

---

(١) سورة هود آية ٤٤ •

(٢) الايجاز فى شرح دلائل الاعجاز ص ٣٢ •

ففى القصص المكى يوم أن كان المسلمون غير آمنين فى حياتهم ومعاشهم ، والمشركون منصرفين عن القرآن الى سماع المثير لوجدانهم ومشاعرهم . فى هذا الوقت كان على القصة أن تستولى على القلوب بأسلوب مناسب للنفوس القلقة من حيث قصره وايجازه وتصويره لموقف أو حادثة تطمئن المضطربين . وتخوف ظالميهم .

وهذا الأسلوب لابد أن يكون على صورة الاسجاع العربية . لأن ذلك يثير العربى ويوقظ مشاعره (١) .

وفى السور المكية : يتحد رنين المقاطع . وتتقارب مخارجها ان اختلفت وذلك كسوره « ق » التى تدور مقاطعها حول الباء . والجيم . والدال . والراء والصاد . والطاء والظاء .. وكلها متقاربة المخرج . ومن سور هذا النمط ص ، والصافات ، والشعراء ، والانبياء ، والمؤمنون ، والحجر ، وكلها ركزت على التأثير الصوتى بالأسلوب والتأثير المعنوى بالحدث المقصود فى كل سورة ومن المعلوم أن من القصص المكى ما ورد على غير هذا الأسلوب . كقصص سورة الأعراف وهود والأنعام . فان أسلوب هذه السور بعيد عن الرنين الصوتى . والتركيز على الحدث الواحد . وانما يجرى على شكل محاورة فيها كثير من الجوانب التى جاءت لأغراضها المقصودة ، الا أن هذا النمط قليل الورود فى السور المكية .

فاذا تركنا الأسلوب بكلماته وجمله الى المعانى المستفادة من القصة لوجدناها تصنع التأثير الفنى على النحو التالى :

أولا — لا تعطى أحداثها دفعة واحدة . بل تتخير حدثا مفيدا للغرض وتهتم به . وبذلك تحقق شيئين تجزئة القصة الواحدة ، وتكرار الحدث الواحد ، وبهذا تتحقق أغراضها فى سهولة ويسر ،

---

(١) تفسير النسفى ج ٤ ص ٣٥٤ — ٣٥٥ بتصرف .

لأن التجزئة لا تثقل على السـامع ، والتكرار **فى** حد ذاته لـه تأثير **عجيب** •

وحتى نتبين هذين الشيئين **فى** قصص القرآن نقرأ قصـة نـوح **عليه** السلام **كما جـاء بها** القرآن الكريم •

فهى فى سورة **الأعراف** تحتل الآيـات من ٥٩ الى ٦٤ وتركز على ضـلال القوم بشـكل عـام وتبين استغراقهم فيه وتشير الى عاقبـة الكفـر والاستكبار وجزاء الايمـان والطاعـة •

وهى فى سورة **هود** من آية ٢٥ الى آية ٤٨ تركز على بيـان الأدلة الواقعة على الايمـان بالله اذ هو مصدر الرحمـة « **وأتانى رحمة من عنده** » ، والأجـر الحق عنده« **ان أجرى الا على الله** » والنصر منـه **وحده** « **من ينصرنى من الله ان طردتهم** » وهو العليم بالخفى والظـاهر « **الله أعلم بمـا فى أنفسهم** »ومشيئته مطلقـة فى انزال العقوبة « **انما يأتيكم به الله ان شـاء** » واليه المرجع والمآب « **وهو ربكم واليـه ترجعون** »ونرى من مناقشـات القصة فى سورة هود أن نوحـا عليه السلام كان **يديرهـا** نحو **الأدلة** ولـم يسترسل معهم فى المجـادلـة **الباطلة** •

وهى فى سورة **الأنبيـاء** تحتل آيتى ٧٦ ، ٧٧ وتركز على النعم التى جعلهـا الله لنوح بشكل مجمـل وموجز •

وفى سورة المؤمنون تأتى القصـة فى الآيـات من ٢٣ الى ٢٨ وتركز على نعمـة الانجاء بواسطة السفينة ، وهى نعمـة تسـتحق الحمـد •

« فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمـد للـه الذى نجانا من القوم الظالمين » •

وفى سورة العنكبوت تركز على بيان المـدة التى مكثهـا نوح فى قومه لأنه لبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما .

وفى سورة القمـر نجد الآيات من ٩ الى ١٧ تحكى قصة نوح وتركز على تهويل صورة العذاب وكيف يبدو من قوله تعالى :

« ففتحنـا أبواب السماء بمـاء منهمـر وفجرنـا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمـر قـد قدر » .

وفى سورة نوح نرى التركيز على أعمـال نوح عليه السلام يقدمهـا الى ربه موجزا عمله خلال مدة بعثته طالبا من الله أن ينزل العقـاب على الضالين الكافرين ويذكـر لـه نتيجـة خبرته الطويلة معهم .

فهذه سبع مرات لقصـة نوح ، ولكل مرة أحداثها البارزة الواضحة لتكون مفيدة فى هذه النقطة ، وليأخذ من نزل القرآن لهم من تجزئة القصة درسا لهم ، فالعلم بعاقبة المؤمنين والكافرين درس من القصـة فى الأعراف ، والأدلة الايمانية درس من هود ، وضرورة الحمـد عـلى النعم درس سورة المؤمنون . كمـا أن منزلة النبى عند الله درس سورة الأنبيـاء ، والاحاطة بقدرة الله فى تحريك قوى الطبيعـة درس سورة القمـر ، وهكذا جزأ القرآن أحداث قصصه ليوسع الفائدة بهـا ويوجد الدافـع الى التأثير وتحقيق الهـدف .

ان القصص القرآنى فى تكراره على النمط السـابق يصنع فائـدة جليلة للدعـوة لأنه بذكره الأحداث مجزءة يراعى حال المدعوين ويتدرج معهم من الأسـهل الى السـهل وهكذا ، وفوق ذلك فهو يراعى طبائـع الناس المختلفـة لان منهم من يتأثـر بحادث . ومنهم من يتأثـر بأكثر . ومنهم من لابد لـه من القصـة كلهـا . ولذلك حينمـا يكون التركيز على حدث فى القصـة فانه يأتى مصحوبا بموجـز سريـع عن أهـم أحداث القصة الأخرى لكى تتلائم مـع المدعوين المختلفين بالضرورة ، الذين يتنوعون فى درجة الاستفـادة من الدعوة والافادة بها ، يقول عليه

السلام فيما رواه عنه أبو موسى الأشعرى « **مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثـل الغيث الكثير أصـاب أرضـا فكـان منهـا نقية قبلت المـاء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منهـا أجادب أمسكت الماء فنفـع الله بهـا الناس فشربوا وزرعوا وأصابت منهـا طائفـة أخرى انما هى قيعان لا تمسـك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثـل من فقـه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم • ومثل من لـم يرفـع بذلك رأسـا ولـم يقبل هدى الله الذى أرسلت به** » (١) فناسب اختلافهم أن تختلف الأساليب معهم وتتكرر •

واختلاف الأساليب لا يستدعى كذبا فى أحداث القصـة • أو خيالا لأننا لو جمعنـا سائـر أجزاء القصـة من القرآن كله وجعلنـاهـا موضوعا واحدا ، فإن الأحداث تكون صادقة متآلفة بلا تناقض أو خلل•وما جزء القرآن أحداثهـا الا ليحقق السهولة ويفيـد التدرج فى اصـابة الغرض ، والتكرار فى حد ذاته مؤثر بشكل واضح •

يقول جوستاف لوبون فى كتابه روح الاجتمـاع : « للتكرار تأثير كبير فى عقول المستنيرين وتأثير أكبـر فى عقول الجماعات من باب أولى والسبب فى ذلك كون المكرر يتطبع فى تجاويف الملكـات اللاشعوريـة التى تختمـر فيهـا أسباب أفعـال الانسـان فاذا انقضى شـطر من الزمن نسى الواحد منا صاحب التكرار وانتهى بتصديق المكرر »(٢)

وكان هتلر يقول : « ان الدعاية تستطيع فقط أن تؤثـر فى النفوس عن طريق التتابع والاستمرار والتنظيم ويجب علينـا أن نعيد ونكرر نفس الشىء من زوايـا مختلفة » (٣) •

ولئن كان هـذا هو رأى المحدثين فى تكرار الحديث فان القرآن سبقهم وجعل التكرار فى أحداث قصصه واضحـا • والفرق بين التكرار

---

(١) صحيح البخارى جـ ١ ص ٣٠ كتاب العلم ــ باب من علم وعلم •
(٢) الخطابة ص ٨٨ •
(٣) التوعية الاجتماعية ص ٤٠

القرآنى وتكرار المحدثين أن القرآن يلتزم الحق والصواب بخلاف المحدثين ، كما أن اختياره للأحداث مقصود بدقة مدهشة • دالة على قدرة الله وعلى علمه المحيط •

ثانيا — القصة مجال خصيب للترغيب والترهيب الذى هو فن جميل الأثر ، وذلك لأن الانسان اذا استثير شوقه الى شىء ما زاد اهتمامه به وسرعان ما يتحول هذا الشوق الى نشاط يملأ حياة الفرد عملا وتحمسا وتعلقا بما تشوق له ، رغبة فى الحصول عليه •••• وأيضا فان الخوف من شىء ما يجعل الانسان يهابه ولا يرغبه ويبتعد عنه حذرا من الوقوع فيه ، وهذا شىء طبيعى لأن الرغبة هى التى تحسن الأشياء والرهبة هى التى تصورها بصورة سيئة كما أن التأثير بالترغيب والترهيب يتفق مع فطرة الانسان وطبيعته المحبة للثواب والنعيم ، الكارهة للعقاب والبؤس •

ان القرآن الكريم من خلال قصصه يذكر هذا الفن للناس فهو يرغب فى الايمان بالله واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويبين أن ذلك هو منهاج النجاة من كل شدة وعذاب • ويذكر أن الناجين دائما هم المتبعون للرسل فلقد نجى الله أتباع نوح عليه السلام يقول تعالى: « **فأنجيناه والذين معه فى الفلك** » (١) • ونجى أتباع هود يقول تعالى : « **ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ** » (٢) •

وعلى هذه الوتيرة فى الانجاء جرى الأمر مع أتباع الرسل كلهم لأن انجاءهم يخضع لقاعدة يجب أن تبقى واضحة وقد عرفها لنا الله بقوله « **ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين** (٣) » يقول أبو السعود فى هذه الآية تنبيه على أن مدار النجاة

---

(١) سورة الأعراف آية ٧٢ •
(٢) سورة هود آية ٥٨ •
(٣) سورة يونس آية ١٠٣ •

هو الايمان (١) ويشير الرازى الى أن قوله تعالى « حقا » يفيد وجوب الانجاء بسبب الوعد لأن تخليص الرسول والمؤمنين معه من العقاب الى الثواب واجب ولولاه لما حسن من الله تعالى أن يلزمهم الأفعال الشاقة (٢) ٠

وكما أن الاتباع يستلزم النجاة فهو أيضا طريق التمكين فى الأرض والتمتع بخيرها والأمن والهدوء فيها ٠ كوعد الله تعالى يقول الله تعالى :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » ٠

وما أعطى الله الذين سبقوا هذه النعم الغالية الا لأنهم يعبدون الله وحده ولم يشركوا به ، وقد وضح تنفيذ هذا الوعد جليا مع بنى اسرائيل أتباع موسى عليه السلام فلقد ورثوا أرض الشام (٣) بما فيها من خير وبركة يقول تعالى :

« وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا » (٤) ٠

وكما أن الاتباع سبيل الى الانجاء والتمكين فهو أيضا سبيل النصر والفلاح ٠

---

(١) تفسير ابى السعود ج ٢ ص ٣٥١ ٠

(٢) مفاتيح الغيب ج ٥ ص ٤٦ ٠

(٣) يلاحظ أن بعض المفسرين ذكروا أن مشارق الارض ومغاربها هى مصر والشام وان الاسرائيلين ورثوهما عن فرعون مع ان التاريخ لم يذكر للاسرائيليين ملكا فى مصر ومن هنا فان القول الذى ذكر فيه الرازى ان المراد بالارض هى أرض الشام صحيح وأولى الاعتبار ج ٤ ص٤١٤ ط ١ ٠ وأيضا فان الوراثة المذكورة تعنى التمكين لفترة زمنية قد انتهت منذ بعيد ٠

(٤) سورة الأعراف آية ١٣٧ ٠

ولا يقتصر الترغيب على الايمـــان بالله وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم بل أنه يتعدى ذلك الى الترغيب على ســـائر الطـــاعات والأخـــلاق الفاضلة اذ يجعلهـــا من أوامـــر الرســـل فى أقوامهم حين يأمرون بالعبادة الحقة والأخـــلاق الفاضلة من أمثال الوفـــاء بالوعـــد • وايفـــاء الكيـــل • والعـــدل — والاستقـــامة — والعفـــة وما دام مطيعو الرســـل فى نجـــوة وتمكين وانتصـــار بسبب طاعتهم فان المســـــتمعين للقصص يحبون الخير • ويريدونه ويطيعون الرسول صلى الله عليـــه وسلم فيه •

وكمـــا يرغب القصص فى الخير • يخوف من غيره حين يبين علقبـــة المكذبين للرســـل • والكافرين بالدعـــوة الموجهـــة اليهم ، وهـــو عذاب رهيب بحق يدفـــع العقـــلاء الى الابتعـــاد عنه بتجنب كل ما يؤدى اليه ، فيصدقون الرسول ويؤمنون بالدعوة • لأنهم لو كذبوا فسيأتيهم ما أتى ثمودا وعادا •

« فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عـــاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرهـــا عليهم سبع ليالى وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية » (١) •

والطاغية هى الواقعة المجاوزة للحـــد فى الشـــدة ، والريـــح الصرصر هو الشديد الصوت ، وهو العصف ، وهو العتو ، وهو النحس ، وقد استمرت الرياح حتى صرعتهم وقطعت رقابهم (٢) •

ولو أجـــال العاقل فكره فى ســـائر الأمم المكذبة لعلم يقينـــا أن العذاب الذى وقع عليهم عجزوا عن مقاومته رغم شـــدة قوتهم وتمكنهم من آثار الأرض •

ان الواجب على العقـــلاء أن يجيلوا فكرهم فى قصص السابقين ويتدبروا فيه فمـــا ذكره الله الا لأجل افادتنا •

---

(١) سورة الحاقة آيات ٥ — ٧ •

(٢) تفسير الكشاف ج ٤ ص ١٤٩ ، ١٥٠ بتصرف •

المثـــل القرآنى

المثل والمثل والمثيل الشبه والشـــبه والشـــــبيه وزنا ومعنى فى الجملة (١) •

وقيل المثـــل بفتحتين معناه الوصف ومنه قوله تعالى :

« مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتهـــا الأنهـــار أكلهـــا دائـــم وظلهـــا » (٢) •

أى وصفهـــا هكذا وبالكسر معناه الشبه (٣) •

والمثل القرآنى يكون حقيقة فيطلق على نفس الشىء وذاته • كقوله تعالى :

« كمن مثله فى الظلمات » (٤) •

أى كمن هو فى الظلمات • وكقوله تعالى **« كذلك يضرب الله للناس أمثالهم »** (٥) أى حكايتهم كواقعهـــا • وكقوله تعالى :

« ان مثـــل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من ترا ب» (٦) •

أى طريقـــة خلقه كطريقة خلق آدم فى الغرابة والبشرية •

ويكون فرضيـــا غير حقيقى فيأتى على صورة التشبيه كقوله تعالى

---

(١) المثل السائر ص ١٠ •
(٢) سورة الرعد آية : ٣٥ •
(٣) المنار ج ١ ص ١٦٧ •
(٤) سورة الأنعام آية : ١٢٢ •
(٥) محمد آية : ٣ •
(٦) آل عمران آية : ٥٩ •

« مثـل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » فشبه اليهود الذين كلفوا علم التوراة والعمـل بمـا فيهـا ثـم لـم يعملوا فكأنهم لـم يعملوهـا بالحمـار يحمل الكتب الكبيرة النافعـة لا يستفيد بهـا وقد عقب القرآن على هـذا التشبيه بقوله .

« بئس مثـل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القـوم الظالمين » (١) .

ومن هذه الصورة التشبيهية للمثـل جاء تعريف صاحبى لبـاب التأويـل وفتح البيـان للمثـل حيث عرفوه بأنه عبارة عن قـول يشبه قولا آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهمـا الآخر ويصوره (٢) ويقـول الشـيخ محمـد عبده مشيرا الى هـذا النوع من المثل : وأبلغه تمثيل المعانى المعقولة بالصور الحسـية وعكسـه (٣) .

والمماثلة بين شيئين تفيـد عموم المشـاركة بينهمـا . فلئن كان الشبيه يشارك فى الكيفيـة ، والمسـاوى يشـارك فى الكميـة ، والشكل يساوى فى القدر والمسـاحة ، فان المماثلة تعم كل هـذه المشاركة . ولذلك حسن تسميـة التشبيـه القرآنى بالمثل لأن تشبيه القـرآن فيه دقـة وشمول .

ويأتى المثل وهو غير حقيقى كذلك على صورة الاستعارة وحينئذ فهو عبارة عن **« القول السائر الممثل مضربه بمـورده »** ويتفق هـذا مـع تعريف البلاغيين للمثـل لأنه فى اصطلاحهم اللفظ المركب المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة المشـابهـة بين مضربه ومورده مـع قرينة مانعة من ارادة المعنى الأصلى (٤) .

---

(١) سورة الجمعة آية ٥ .
(٢) فتح البيان ج ١ ص ٦٢ .
(٣) المنار ج ١ ص ١٦٧ .
(٤) المقصد فى علم البيان ص ٢٠٤ .

أنظر قوله تعالى : وضرب **الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقهـا الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون**(١) فقـد ذكـر الله أمـر هـذه القرية فى حـالتى ايمانهـا وكفرهـا وضربه مثلا أورده للكـافرين • ولأهل مكة لمـا بينهما من شبه ، يقول الزمخشرى : ان الله جعل القرية التى هذه حالهـا مثـلا لكل قوم أنعم الله اليهم فأبطرتهم النعمـة فكفروا وتولوا فأنزل اللـه بهم نقمته • أو يجوز أن تكون قرية من قـرى الأولين كانت هـذه حالها فضربهـا مثلا لمكة أنذرهم من مثل عاقبتهـا (٢) •

وأمثال القرآن تنقسـم باعتبار آخـر الى قسمين :

أحدهمـا ظاهر مصرح به •

والثانى كامن لا ذكر للمثل فيه •

فمن أمثلة الأول قوله تعالى •

« مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمـات لا يبصرون » (٣) •

أخرج ابن أبى حاتم وغيره من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال هذا مثل ضربه الله للمنافقين كانوا يعتزون بالاسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم ألفىء فلمـا ماتوا سلبهم الله العـز كمـا سلب صاحب النار ضوءه وتركهم فى عذاب (٤) •

ومن أمثلة الثانى قوله تعالى :

« لافارض ولا بكـر عوان بين ذلك » (٥) •

فانه يشير الى مثل كامن فيه تعرفه العـرب وهو قولهم « خـير الأمور أوساطهـا » ومن أمثلته أيضـا قوله تعالى :

---

(١) سـورة النحل آية ١١٢ •
(٢) تفسير الكشاف ج ٢ ص ٤٠ •
(٣) سورة البقرة آية : ١٧ •
(٤) الاتقان ج٢ ص ١٣٢ •
(٥) سورة البقرة آية ٦٨ •

« ولا يلدوا الا فاجرا كفــارا » (١) .

فانه يتضمن مثلا كامنـــا هو قول العرب (الحية لا تلد الا حيـــة) ومنه قوله تعالى **« بل كذبوا بمـــا لم يحيط وابعلمه »**(٢) يتضمن مثلا هو قول العـــرب « من جهل شيئا عاداه » (٣) .

هذا وفى القرآن ألفاظ جرت مجرى المثل وهو ما يعـــرف بالمثل الســـائر ومنهـــا قوله تعالى :

« الآن حصحص الحق » (٤) .

يضرب وقت ظهور الشيء واتضـــاحه ، ومنهـــا قوله تعالى :

« كل حزب بمـــا لديهم فرحون » (٥) .

يضرب للمتعارضين ، ورغم اختلافهم فالكـــل فرح بوجهته . ومنها قوله تعالى :

« قضى الأمر الذى فيه تستفتيان » (٦) .

يضرب حين انتهـــاء أمـــر متنازع فيه بأى وجه كان ، وأشباه هذا كثير فى القرآن الكريم .

وقد جاء ذكر المثل فى القرآن كثيرا لما له من فائـــدة وأثـــر ، يقول أبو السعود : التمثيل ألطف ذريعة الى تسخير الوهم للعقـــل . واستنزاله من مقام الاستعصـــاء ، وأقوى وسيلة الى الجاهل الغبى . وقمع سورة الجامح الأبى . كيف لا . وهو رفـــع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وأبرازها فى معرض المحسوسات الجلية ، وابداء المنكر فى صورة

---

(١) سورة نوح آية ٢٧ .
(٢) سورة يونس آية : ٣٩ .
(٣) الاتقاق ج ٢ ص ١٣٢ ، ١٣٣ بتصريف .
(٤) سورة يوسف آية ٥١ .
(٥) سورة الروم آية ٣٢ .
(٦) سورة يوســف آية : ٤١ .

المعروف ، واظهار الوحشى فى هيئة المألوف » (١) وجاء فى أسرار البلاغة « وأعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل اذا جاء فى أعقاب المعانى أو برزت هى باختصار فى معرضه ونقلت عن صورها الأصلية الى صورته كساها أبهة • وكسبها منقبة • ورفع من أقدارها • وشب من نارها • وضاعف قواها فى تحريك النفوس لها • ودعا القلوب اليها • واستثار لها من أقاصى الأفئدة صبابة وكلفا • وقسر الطباع • على أن تعطيها محبة وشغفا • فان كانت مدحا كان أبهى وأفخم وأنبل فى النفوس • وأعظم واهز للعطف وأسرع للالف ، وان كان ذما كان مسه أوجع وحده أحد • وان كان حجاجا كان برهانه أنور وبيانه أبهر وكان شأوه أبعد وشرفه أجد • وان كان اعتذارا كان الى القلوب أقرب وان كان وعظا كان أشفى للصدر وادعى الى الفكر وأبلغ فى التنبيه والزجر وأجدر بأن يجلى الغياية • ويبصر بالغاية ويبرىء العليل ويشفى الغليل » (٢) •

وقد أختير لفظ الضرب مع المثل لأنه يأتى عند ارادة التأثير وهيج الانفعال كأن ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعا يصل أثره الى قلبه وينتهى الى أعماق نفسه (٣) •

وقد يحتوى المثل على قصة وهنا يمكن أن نطلق عليها اسم « **القصة التمثيلية** » وهى تحمل فى الغالب صورة حوارية سيقت لمجرد التصوير وابراز المعقول فى صورة المحسوس •

وسوف نبين أن القرآن أتى بأمثاله لتكون أحد وسائل التوجيه فى دقة بالغة • وفنية مؤثرة عجيبة • ولسوف نبحثها بعون الله تعالى من ناحيتها العامة الشاملة لكل ما يطلق عليه اسم « مثل » فى القرآن الكريم •

---

(١) تفسير أبى السعود جـ ١ ص ٥٧ •
(٢) اسرار البلاغة ص ٩٢ ، ٩٣ •
(٣) المنار جـ ١ ص ٢٣٦ •

المثل أسلوب للاعــلام

جاء المثل فى القرآن الكريم ليقوم بدوره كمــا أراد الله له ويمكن اجمال عوامــل التأثير بالمثل فيما يلى •

١ ــ الدقــة والواقعية :

الناظر فى المثل القرآنى يلحظ دقته الفريــدة المؤثرة فهو دائما لا يمثل بالغريب ، وانمــا يتخير من المحسوسات الموجودة • ويجليهــا بأوصافهــا • ويضعهــا فى المثال شــاهــدة واضحة على ما يريــد ذكره وبيانه ، وفى الممثل به لا يضع وصفــا زائدا أو خياليــا لتكــون صورته صادقــة ملموسة •• ومن ذلك قوله تعالى :

« مثل الذين اتخذوا من دون الله أوليــاء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » (١) •

حيث يضرب الله هذا المثل ليبين أن قدرة الله هى القدرة وما عداها من قوة فهو هزيل • ولا اعتبار له • والذى يتعلق بقوة غير قدرة اللــه تعالى فهو كالعنكبوت التى تتعلق بالواهى والضعيف حيث تتخــذ لنفسها بيتا ضعيفــا واهيا ، بــل هو أضعف البيوت على الاطــلاق والكل يعرف ذلك أنى كان • لأن العنكبوت توجــد فى كل مكان وتنسج بيتهــا فيه • ولذلك ضرب الله هذا المثل وكله دقة وواقعية ، لأن ضعف العنكبوت وبيته لا ينكــر كمــا أن وجوده معروف للجميع •

ومن علامة الدقــة فى الأمثلة القرآنية أنه حينمــا يضرب المثل بصورة غير موجودة بالفعل نجده يأتى بهــا صورة يمكن أن توجــــــد حقيقة وذلك كقوله تعالى :

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٤١ •

« مثل الذين حملوا التوراة ثـم لم يحملوهـا كمثل الحمار يحمـل أسفارا » (١) ٠

فقد ضرب الله لليهود الذين كلفوا العمـل بمـا فى التوراة فأهملوها مثلا بالحمار يحمـل الكتب الضخمة النفسـية الملأى بالعلم ولا يستفيد بهـا ٠ هـذا المثل موجود ٠ وان لـم توجـد صورته فى الواقـع فهى ممكنة الوجود ٠

ومن هذه الدقـة قوله تعالى :

« مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثـل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء » (٢) ٠

اذ أنه لا يوجـد مـا يمنع من وجود هذه السنابل بحباتها الكثيرة الناتجة من الحبة الواحـدة على النحو المذكور ٠ ولكى تكون هـذه الواقعيـة أكبر فى الدقـة نجـد المثل يذكـر من الأوصاف والقيـود مـا يجعله مستساغا سهلا ٠ فيبين كيف تتحـول الحبة الواحـدة الى مئات من الحب وذلك لأنهـا تزرع فتنبت سبع سنابل وفى السنبلة الواحدة مائة حبة ٠ وهذا ممكن مشـاهد ٠

ومع واقعية المثل نرى دقة وجه الشبه فيما ضرب المثل لـه ٠ ووضوحه فيه أكثـر من اتضـاحه فى الممثل به ٠ وذلك لأن القصـد من التمثيل القرآنى هو وضوح الممثل له وذلك كقوله تعالى « **ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون** (١) فهذا العبد المملوك لعدد من الرجـال المتنازعين هو مثـل الكافر المشرك الذى يعبد آلهة عددا ، وهو بشركائه واقـع فى حيرة فى عقيدته وعبادته ٠ ومناسكه واضطرابه أشـد من اضطراب العبد المملوك المضروب به المثـل لأن العبـد يطيع من يأمره

---

(١) سورة الجمعة آية : ٥ ٠
(٢) سورة البقرة آية ٢٦١ ٠
(٣) سورة الزمر آية : ٢٩ ٠

أيا كان ، أما المشرك فانه خاضـــع لباطل ، معطل للارادة ، مضيع للعقــل بلا معنى معين أو مفهوم محدد ، وهكذا الشـــأن فى المثل المضروب للمؤمن لأن ايمانه بالله الواحـــد يعطيه ثقة وأمانا ورضى كالعبد المملوك لرجل واحد فانه لا يأخذ أوامـــره الا منه وحده ، والوضوح هنـــا بين فى الممثل له أكثـــر من وضوح الممثل له لأن الثقـــة فى المؤمن أعمق وأشمل حيث تدور مـــع الظاهر والباطن وسائر عمله .

وهكذا يتضح وجه الشبه فيما ضرب المثل له . وهى ميزة مع الدقه تجعل المدعو يرى الصورة توا وفى بيان .

والمثل القرآنى يترك مخاطبه بعـــد الدقة والوضوح يستنتج وجه الشبة شحذا لعقله ، ومشـــاركه فى العمـــل ، وهذا من شـــأنه أن يدفع الى الايمـــان بحماس واقتنـــاع .

كما أنه يضرب المثل أحيانا ويترك بعض جوانبه عمدا لكى يفكر المستمع فيهـــا . وذلك كقوله تعالى :

« مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يـــوم عاصف لا يقدرون ممـــا كسبوا على شىء ذلك هو الضـــلال البعيد » (١)

حيث شبه أعمال الكافرين برماد طيرته ربـــاح شديدة وفى يـــوم القيـــامة لا يجد الكافـــر أثرا لعمله . والمثل يذكر أنه لا أثـــر لعمـــل الكافـــر بينمـــا الواقـــع أن له عقوبات كثيرة تركهـــا المثل لكى يجتهد المستمع فى تفحصهـــا واستنتاجها وقـــد جاء الاستفهـــام عقب بعض الأمثال لهـــذا الهدف يقول تعالى :

« مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميـــع هل يستويان مثلا أفـــلا تذكرون » (٢) .

---

(١) سورة ابراهيم آية : ١٨ .
(٢) سورة هود آية ٢٤ .

والمثل مضروب للمؤمنين والكافرين فالمؤمن بصير سميع ، والكافر أعمى وأصم ، وبعد ضرب المثل أتى الاستفهام بـ هل يستويان مثلا ؟ •

وهو استفهام انكارى ينفى ما استفهم عنه ويثبت أن الفريقين لا يستويان أبدا • وهذا المنهج فى النفى والاثبات أفضل من النفى ابتداء •

وهكذا تتضح بعض دقة المثل فى صدق جوانبه ووضوح وجه الشبه فى مضربه واشتراكه مع عقل المخاطب فى استنتاج بعض أهدافه • وهذا يؤثر فى الانسان حيث يجذب الانتباه اليه • ويجعله يربط بين الممثل به والممثل له ويستنتج من خفايا المثل الكثير وكلها مفيدة للاعلام ورجاله

٢ ـ التأثير النفسى :

تستمد الأمثال القرآنية عناصر ها من الطبيعة لتظل قريبة من الانسان أيا كان تعيش معه • وتؤثر فيه • ومن هنا فان روعة التصوير التى بدت فيها ضرورية لها • وحتى يؤدى المثل دوره التأثيرى تماما رأيناه يتخذ من الطبيعة ميدانا يقتبس منها صوره ، فمن نباتها نرى الجنة تنبت سبع سنابل ، ونرى الشجرة الطيبة والخبيثة • والزرع الذى أخرج شطأه • ومن حيواناتها نرى الحمار والكلب ، ومن حشراتها نرى البعوض والعنكبوت ، ومن طيورها نرى الهدهد • ومن أحجارها نرى الرماد الصلد والجبل • وانما كان الامر كذلك لأن القرآن لا يقصد الاهتمام بالممثل به لذاته بقدر ما يهتم باقتراب الصورة فى نفس المدعو مع شدة وضوحها وتأثيرها •

هذا وان بدأ فى بعض الأمثال أنها غير مستمدة من الكون كقوله تعالى :

« الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة

مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية » (١) .

فانها لا تبعــد عن الطبيعة كثيرا لأن هذا المصباح ملازم لكل الناس حيث لا يستغنى عنه أحــد .

ولأن الهدف هو التأثير النفسى نرى المثل القرآنى حينما يقصد تحقير الشىء يضرب لــه المثل الذى يثير فى النفس اشمئزازا ونفــرة يقــول تعالى :

« واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنــا لرفعنــاه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثــل الكلب ان تحمــل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلـــك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » (٢).

يقول صاحب المنار : « واللهث التنفس الشــديد مع اخــراج اللسان ويكون لغير الكلب من شــدة التعب والاعياء أو العطش ، أمــا الكلب فيلهث فى كل حال . وهذا الرجل صفته كصفة الكلب فى حالتــه هذه . وهى أخس أحواله وأقبحها . والمراد أنه كان من اخلاده الى الأرض واتباع هواه فى أسوأ حال تراه كلاهث من الاعيــاء والتعب وان كان ما يعنون بــه ويحملون همه حقــيرا لا يتعب ولا يغنى ولا تـــــراه راضيــا بمــا أصابه بــل يزداد طمعــا وتعبا (٣) . وهكذا يحقــر المثل هذا الرجل بأن يمثله بالكلب فى أسوأ حالاته . وهذا يؤثــر فى نفس المستمع تأثيرا يجعله يبعــد عن صورة هذا الكافــر ويفتح ذهنه للايات والأدلة .. وحينمــا يكون الهــدف هو تعظيم ما ضرب المثــل لـــه نجد القرآن يحيط المثل بمــا يحقق هذه العظمة فيــه كقوله تعالى .

« ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلهـــا ثابت وفرعهــا فى السماء تؤتى أكلهــا كل حين باذن ربهــا ويضرب الله

---

(١) سور النور آية : ٣٥ .
(٢) سورة الاعراف آيات : ١٧٥ ، ١٧٦ .
(٣) تفسير المنــار جـ ٩ ص ٤٠٩ .

الأمثال للناس لعلهم يتذكرون » (١) ٠

فيمثل الكلمة الطيبة عمت أو خصت بشجرة رائعة عظيمة لأنهـــا عالية مثمرة ٠ منتظمة الثمرة مطيعة لربهـــا لا يصيبهـــا ضرر الريـــاح ولا يهدمهـــا معاول الطغاة ومـــا دام هـــذا شـــأن الكلمـــة فـــان على الانسان أن يتمســـك بهـــا ٠

٣ — الترغيب والترهيب :

يهدف المثل الى التأثير فى المدعوين عن طريق ترغيبهم فى الخـــير والثواب وترهيبهم من الشر والعقاب ٠ لأنهم بذلك ينفعلون وجدانيا ٠ ويندفعون الى الايمان بالدعوة وتطبيق تعاليمهـــا ٠

ويلجـــا المثل الى الترغيب والترهيب عن طريق استعراضـــه لطوائف الناس تجاه الدعـــوة وبيان مال كل طائفـــه ، وهـــذا منهج عملى يجعل المستمـــع يتمنى أن يكون مـــع الطائفـــة الناجيه ويبتعد عن الطائفـــة الخاسرة ٠

ان طوائف الناس تجاه الدعـــوة ثلاث ٠ فمنهم المؤمن ٠ ومنهم الكافـــر ٠ ومنهم المنافق ، وهذه الطوائف يضع المثل لهـــا ما يجليهـــا ويبين قيمتها ٠ وقيمة عملها ٠

يقول تعالى« **ومثل الذين كفروا كمثـــل الذى ينعق بمـــا لا يسمع الا دعـــاء ونداء صم بكم مى فهم لا يعقلون** » (٢) ٠ وهـــكذا مثـــل القرآن هؤلاء الكافرين المقلدين بالبهائم التى تســـمع صيحات راعيهـــا ولا تفهم منها شيئا ، ولا تعقل أمرا ولانهيا ، وهذا الكافر لا أثر لكـــل نشاطه الدنيوى ٠ ونفقته هباء ، يقول تعالى« **مثل مـــا ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصـــابت حرث قوم ظلموا أنفســـهم فأهلكته** » (٣) وهذا المثل يشبه ما أنفقوا فى ضياعه وذهابه بالكلية من غير

---

(١) سورة ابراهيم آية : ٢٤ ، ٢٥ ٠
(٢) سورة البقرة آية : ١٧١ ٠
(٣) سورة آل عمران ١١٧ ٠

أن يعود عليهم منه نفـــع ما بحرث كفار ضربته ريح اســتأصلتـه ولم يبق لهم فيها منفعة ما • بوجه من الوجـوه • وسـائر عملهم ضياع يقول تعالى « **مثـل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون على شىء ممـا كسبوا ذلـك هو الضـلال البعيـد** » (١) •

والمراد من المثل تشبيه أعمـال الكفـار فى ضياعه بالرماد الدقيق الذى لا يقوى على البقاء أمام الريـاح الشديدة العاصفـة ، ومشهـد الرماد يشتد بـه هذا الريح فى يوم شديد العصف يجسم فى السيـاق معنى ضيـاع الأعمـال بحيث لا يقدر أحـد من أصحابهـا عـلى الاستمساك بشىء منها ولا الانتفـاع بهـا • هذا المشـهد ينطوى على حقيقـة ذاتيـة فى أعمـال الكفـار لانهـا لا تقوم على قاعدة ايمانية ولذلك فهى مفككة كالرماد لا قوام لهـا ولا نظـام ولا أثر •

وعن المنافقين يقول تعالى « **مثلهم كمثـل الذى استوقد نارا فلما أضـاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمـات لا يبصرون** (٢) وهو مثل يوضح حقيقة المنافق وأنه يعيش بين الايمان ظاهـرا الا أنه صنع بنفاقه حجابا بينه وبين نور الهـدى • وعملهم ضـائع كالكافرين لأنهم فى رأى الاسلام أسوأ وضعـا منهم •

وعن المؤمنين قال تعالى « **وضرب الله مثلا للذين آمنوا امـرأة فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القـوم الظالمين** » (٣) وهو مثـل يبين حقيقـة المؤمـن وأنه لا تغره مظاهر الحيـاة الدنيـا ، يذكـر الله فكرا وقولا وعمـلا انتظارا للفوز فى الآخرة ويعتمـد على الله فى حاجاته ومطالبه • فامرأة فرعون المؤمنة فى بيت ملك وغنى وقوة • ومع ذلك أهملت هـذه المظاهر

---

(١) سورة ابراهيم آية : ١٨ •
(٢) سورة البقرة آية : ١٧ •
(٣) سورة التحريم آية ١١ •

الدنيوية واتجهت الى الله داعية أن يكون لها بيت فى الجنة وأن ينجيها من فرعون وطغيانه وحاشيته • وعمل المؤمن لأن عيشه شريف وغايته دينية يبارك الله فيه • ويزيده فائدة وأثرا • فنفقته مضاعفة كحبة تصل الى سبعمائة حبة •

ومن الترغيب والترهيب بالمثل أخذ القرآن فى وصف الجنة وصفا شيقا يبرز محاسنها يقول تعالى« **مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم (١) ويقول « مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الأنهار اكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار»(٢)** وهكذا يبرز المثل الجنة فى صورة حسنة جميلة نافعة حيث الأنهار والظلال والثمرة والماء واللبن والخمر والعسل وكله كثير• لا يتغير له طعم أو مذاق ، وكله معد للمتقين الذين يطيعون الله ويخافونه • تلك عقبى الذين أتقوا أما الكافرون فلا يتمتعون بشىء من هذا وعاقبتهم وخيمة مؤلمة جزاء عصيانهم يقول تعالى **« والذى كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظلمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب » (٣)** وترسم هذه الآية مشهدا مثيرا ومؤثرا ذلك لأن أعمال الكافرين كسراب يلمع فى أرض واسعة خيالية فيتبعه صاحبه الظامىء وهو يتوقع الرى • وفجأة نرى صورة عجيبة فهذا السائر الظمآن يصل الى ما ظنه ماء فلا يجده ماء وانما يجد اثار قدرة الله الذى كفر به ينتظره هناك كانتظاره له يوم القيامة ليحاسبه على كفره وجحوده والله سريع الحساب ، وعقبى الكافرين النار •

وهكذا يحقق المثل دوره بواقعيته وتأثير •

---

(١) سورة محمد آية ١٥ •
(٣) سورة الرعد آية : ٣٥ •
(٣) سورة النور آية : ٤٠ •

القســم القرآنى

القسم هو الحلف واليمين • ومنه أقسم • جاء فى لســـان العـــرب أقســم بالله واستقسم به وقاسم حلف له • تقاسم القوم تحالفوا • قال تعالى **« قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله »** **أى تحالفوا** • وأقسمت أى حلفت ، واصله من القســامة • قال ابن عرفه عند قوله **« كمــا أنزلنا على المقتسمين »** هم الذين تقاسموا وتحالفوا على كيد رسول الله صــلى الله عليه وسلم ، والقســم اليمين والقسامة الجماعة يقسمن على الشىء أو يشهدون يمين القســامة » (١) وجاء فى المختار • وأقسم حلف وأصله من القســامة وهى الايمان تقسم على الأوليــاء فى الدم والقســم بفتحتين اليمين وقاسمه حلف له (٢) •

وجاء فى المصباح المنير قاسمته حلفت له والقسم بفتحتين اسم من أقســم بالله اقســاما اذا حلف والقسامة بالفتح الأيمان تقســم عــلى أوليــاء القتيل اذا ادعوا الدم (٣) •

ومن كتب اللغة نرى أن القسم والحلف بمعنى واحد فهما مترادفان اذا • لكن الاستعمــال القرانى فرق بينهما من ناحية خفية ودقيقة — فلم يسند حلف الى ذات الله تعالى بينمــا أسند القسم اليه • فقال تعالى :

— **« لا أقسم بهذا البلد » (٤)** •

— **« لا اقسم بيوم القيــامة » (٥)** •

---

(١) لسان العرب جـ ٢ ص ٣٨١ مادة (أقسم) •
(٢) مختار الصحاح مادة (قسم) •
(٣) المصباح المنير مادة (قسم) •
(٤) سورة البلد آية ١ •
(٥) سورة القيامة آية ١ •

كمـــا أن سائــر الاستعمـــال القرانى للحلف يفيد الحنث والمخالفة ومنها قوله تعالى •

— « ولا تطع كل حلاف مهين » (١) •

جاء فى تفسيرها قد يكون المراد من « حلاف » كذاب • وأنه فى الكذب فى أقبح حالاته فهو يكذب ويدعم كذبه بالحلف بالله • وقد كـــان الصحابة رضوان الله عليهم يضربون أولادهم اذا سمعوهم يحلفـــــون تعويدا لهم وتقويمـــا لأخلاقهم •

وهذا الملحظ الخفى يوحى لنا أن الترادف بين القسم والحلف ليس تاما لأن مع القسم قوة أوضح وثقة أكثــر مما يجعلنـــا نذكــر أن بينهما عموم وخصوص مطلق •

والقســـم كأسلوب قرآنى يتجه بأغراضه الى المقسم به والى المقسم عليه • ومن الأغراض المتجهـــة الى المقسم به ما يلى :

١ — **تعظيم المقسم به وتقديسه** : يتجه الغرض فى أسلوب القســـم أحيانا الى المقسم به • من أجل تعظيمه وتقديسه كقوله تعالى :

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (٢) •

فأقسم بالرب مضافا الى ضمير النبى صلى الله عليه وسلم • تعظيما للمقسم به وتقديسا للـــرب سبحانه وتعالى • فهو المربى •• والمعين • والمستحق لكل تعظيم • وهذا الغـــرض لا يجوز الا اذا كـــان المقســـم به هو الله تعالى •

٢ — **بيان أهمية المقسم به** : وقـــد يكون الغرض من أســـلوب القسم هو الاهتمام بالمقسم به كقوله تعالى :

---

(١) سورة ن آية ١٠ •

(٢) سورة النساء آية ٦٥ •

« يسن والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين » (١) ٠

ذلك لأن القرآن بوصفه الكتاب المنزل المعجز المتحدى به المشتمل على ما اشتمل عليه من تربيـة وتعلية واسعاد يستحق أن يهتم به وبشأنه فكان القسم به لبيان أهميته ٠ وحتى يزيـد الاهتمام به أكثـر وصـفه بالحكمـة ٠

٣ — بيان دور المقسم به : وقـد يكون الغـرض من أسـلوب القسم هو بيان دور المقسم به فى دلالته على الهدف المقصود منـه قال تعـالى :

« والليل اذا يغشى والنهـار اذا تجلى (٢) ٠

وهكذا سائر الصور التى يكون المقسم به فيها أمرا كونيا ، فانهـا تدل على هدفهـا برمز بين واضح ٠ فظهور الشمس رمز على وضـوح الهدى ٠ وغشيان الليل رمز على ظلمة الكفـر والضلال ، ولعل هـذه الرمزية تتضح أكثـر من جمـع القرآن بين الشيئين المتقابلين حين يقسم بهما معـا كقوله **« والليل اذا أدبر والصبح اذا أسفر »** ٠ وقوله **« والضحى والليل اذا سجى »** فان هـذا الجمع يدل على أن السـنة جارية على أن الظـلام مهمـا طال فلابد أن يعقبه نور وضيـاء ٠

٤ — بيان آثار المقسـم به : وقـد يكون الغرض من أسـلوب القسم هو لفت الأنظار الى ما فى المقسم به من أثـر كقوله تعالى :

« والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين » (٣) ٠

فان المقسـم به المتعدد فى هذه الآيات يشير الى مواطن النبوات وأماكن ظهورها يقول الشيخ محمـد عبده : وبالجملة فان التين والزيتون كنايتان عن مواضع ليتناسب جمعهـا مع طور سينين وهذا البلد الأمين ٠ فأقسم الله تعالى بالتين للتذكير بأمـر نوح وما أهلك الله به أهل الفجور

---

(١) سورة يس آية ١ ، ٢ ، ٣ ٠
(٢) سورة الليل آية : ١ ، ٢ ٠
(٣) سورة التين آية : ١ — ٣ ٠

عن زمن تعمير الأرض بعــد نوح • وطور سينا اشـــارة الى عهد الشريعة الموسوية • وظهور نور التوحيـــد فى العالم بعــد ما تدنست جوانب الأرض بالوثنية وأقســم بالبلد الأمين تنويهـا بقدر مكة خاصـــة بعد ظهور النور المحمدى (١) وهكذا أقسم بهذه الأشــياء ايضــاحا لآثارها الهامة واشـــارة اليهــا •

ومع الأغراض العائدة على المقســم به توجد أغراض تعود على المقســم عليه • ومن أهمهــا ما يلى :

١ — تعظيم المقســم عليه : قد يكون الغرض من أسلوب القسم تعظيم المقسم عليه • كقوله تعالى :

« فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم » (٢) •

فان هذا القسم يفيــد تعظيم المقسم عليه وهــو القرآن الكريم •

يقول الرازى عند تفسير كلمة « لا أقسم » فى سورة القيامة : أن « لا » لنفى القســم فكأن الله تعالى يقول لا أقســم بهذه الأشـــياء مع عظمها على اثبات المطلوب فان المطلوب أعظم وأجل من أن يقســم عليه ويكون الغرض هو تعظيم المقسم عليه وتفخيم شأنه واثبات أنــه أحرى وأقوى من أن يمثــل هذا القسم •

وقــد يدل النفى فى « لا أقسم » على توكيد القسم لا نفيه كمــا تقول لصاحبك موصيــا اياه مؤكدا عليه الوصية تقول « لا أوصيك بفلان وأنت تريد توكيــد الوصية به •

وسواء أفادت الصيغة النفى أو التوكيــد فانهــا تعظم القــرآن الكريم وتقدره •

---

(١) تفسير جزء عم ص ٩٠ ، ٩١ بتصرف
(٢) سورة الواقعة آيات : ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ •

٢ — ثبوت المقسم عليه : وقد يكون الغـرض من أسلوب القسـم بيان ثبوت المقسـم عليه كقوله تعالى :

« أى وربى لتبعثن » ٠

فان البعث من الحقائق التى تعرضت كثيرا للانكـار والشـك فأكد الله ثبوته بالقسم عليه وأقسـم بالرب مضافـا الى ضمير النبى صـلى الله عليه وسلم على أن البعث حقيقة ثابتة مؤكدة ٠

٣ — ابراز المقسم عليه فى عالم الحس : وقد يكون الغرض من أسلوب القسم هو بيان تحقق المقسم عليه وابرازه فى عالـم الحس كقوله تعالى :

« والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى ومـا خلق الذكـر والأنثى ان سعيكم لشى » (١) ٠

فان نتائج السعى وعاقبته لا يعلمه الا الله تعالى فأقسم عليهه بالليل والنهار لتتضح وضوحهـا ويعرفها الانسان كرؤيته الليل والنهار ٠

أما أداة القسم فانها تأتى ملاصقة للمقسم به للاشـارة الى أن المقصود منهـا هو ايصـال الاقسـام بالمقسـم به الى المخاطـب لتحقق الفائدة المرجوة مباشرة ٠

ويجب أن يعرف أن كلا من المقسـم به والمقسم عليه لا يستقل به الغرض منفردا لأنهمـا جزءان فى جملة واحدة وهمـا اللذان صبغاها بأسلوب القسم وأعطياها سمات هذا الأسلوب وتعاونـا معـا فى تحقق الأغراض والنتائج ٠

ويجب أن يعرف كذلك أن صيغـة القسم الواحـدة قد تجمـع أكثر من غرض واحد تظهر بالتدبر والنظـر ٠

---

(١) سورة الليل آيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ٠

القسم أسلوب اعلامى

يؤدى القسم دوره صانعا التأثير النفسى • والعاطفى ، بواسطة المقسم به • والمقسم عليه • وبهما معا ، الأمر الذى يجعل المدعو يتعلق بالدعوة ويؤمن بها ، وهذا التأثير فى أسلوب القسم يأتى من عدة طرق نذكر أهمها فيما يلى :

١ ــ التهيئة النفسية :

تعود العقل العربى أن يؤثر الحلف فيه لادراكه أن الكلام العظيم المستحق للاهتمام هو الذى يبدأ باليمين • فاذا ما حلف انسان على شىء ما لكان بذلك دالا على أهمية الشىء واهتمامه به • وعن بعض الاعراب أنه لما نزل قول الله تعالى :

« فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون » (١) •

قال :**« من ذا الذى أغضب الجليل حتى ألجأه الى اليمين »** (٢) فكان لابد من استعمال هذا الأسلوب فى الدعوة ليثير النفس تجاه المقسم عليه الذى هو فى القرآن الكريم أحد عناصر الدعوة وأساسياتها ، ومع أن القسم فى ذاته يثير النفس ، ويؤدى الى التصديق • الا أنه فى القرآن الكريم أدق بسبب اختياره لما يقسم به • وأكثر تهيئة للنفس فى ترتيبه لما يقسم به •

أما دقته فانه يأتى بما يصلح دليلا حكيما ويجعله مقسما به فى التركيب ، فالحروف المقطعة فى أوائل السور القرآنية مثلا نزلت لتأييد قضية التحدى ليعلم المعارضون من العرب أن القرآن الذى يتحداهم بأقصر سورة منه مركب من حروف الهجاء التى هى أساس كلامهم وما دام الأمر كذلك فليس لهم الا التصديق بالرسول والايمان بالله • هذه الحروف التى هى دليل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة الذاريات آية ٢٣ •
(٢) الاتقان ج ٢ ص ١٣٣ •

يقسم الله بهـا • ولكى يشير الى هدفه من اختيـار هذه الحروف أعقبها بالقرآن مقسما به أيضـا • فأقسم بالمتحدى به رغـم أن حروفه من حروف الهجـاء التى يكونون منهـا كلامهم • وذلك من أمثـال قولـه تعـالى :

« ص • والقرآن ذى الذكـر » (١) •

فانه أقسم بالحرف وأقسم بالقرآن المتكون من هذا الحرف اظهارا للتحدى • وقـد أقسم الله فى كتابه بالقرآن ست مرات فى ثلاث منهـا سبق بحرفين مقسما بهمـا معـا • مع يس مـرة • ومع «حم» مرتين • وفى اثنتين سبق بحرف واحـد همـا ص • و • ق • وكأن الله تعـالى يقول أقسم بمـا عجزتم أمامه وبالحـرف الذى يشترك كلامكم والقرآن فى التركب منه •

وتأتى التهيئة النفسـية فى مثل هذا القسـم بجعل المقسـم به دليـلا واضحـا أمام المعاندين ليأتى المقسم عليه بعد هـذه التهيئة مقبولا بيسر •

وليس الشأن مع الحروف فقط بل أن كل ما أقسم الله به هـو من الآيـات التى تؤدى بالعقلاء الى التوحيد والايمان • وقـد ذكـر الله ثمان من الآيات البينات الواضحة الدلالة فى قوله تعالى :

« ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحـر بمـا ينفـع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتهـا وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » (٢) •

وهذه الآيات مسلمة عند سـائر العقـلاء تدور مع خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والسفن الجاريـة فى البحر ، والمطر

---

(١) ص آيات ١ ، ٢ •
(٢) البقرة آية : ١٦٤ •

النازل والأرض التى عاشت بالمطـر ، والحيـاة على الأرض ، والرياح السـائدة والسحب المسخرة . هـذه الآيـات تأتى فى أسلوب القسم مقسما بها لتكون أدلة قوية موجزة مؤثـرة ، والعربى يفهم معنى الألفاظ فور النطق بها كعادته الفصيحة ويدرك مراميها فى سهولة وعمق .

وهذه الآيات دلائل كونية . والدليـل الكونى عظيم ، فـاذا ما كان القسم بالعظيم من عظيم دل فى وضوح على أن المقسـم عليه عظيم فتتهيأ النفس لـه وتستعد للقبول .

ويهيىء القسم القرآنى النفوس أكثـر حينمـا يتخير حالات يهتم الناس بهـا ويرتبها ترتيبا يبرزهـا فى صورة مثيرة ثـم يقسـم بها . من ذلك قوله تعالى :

« والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريـات يسرا فالمقسمات أمرا » (١) .

وموطن الاثارة فى هـذا القسم أن العربى عاش فى بيئة جافـة نادرة المطـر ممـا جعله يتطلع الى السـماء دومـا راجيـا أن يـرى سحابة يطمـع فى ماءهـا . هذا التطلع جعل ذكر الريـاح مثيرا فأقسم الله بهـا تعظيما لمـا عظموا وتدليـلا بها على ما بعدهـا . ومع هذا التخير للمثير فقـد رتبه ترتيبا يجعله أكثـر اثارة فهى ريـاح تحمـل الأبخرة حتى تصير سحبا . وتحملهـا الى طبقات الجو العالية . وتجرى بهـا فى سهولة ويسر . وتنزلهـا مطرا مقسما بين البلاد والعباد . فترى المقسم به هنـا موضع اهتمام سابق وقد ساقه القسـم بأوصـافه المتعاقبة المبينة لرحلة المطـر من الريـاح من أول صعوده بخارا حتى عودته مطرا موزعـا . وحينما يسمع العربى هذا القسم تأخـذه صورته البارعـة التى مثلت حقيقـة يعيشها العـرب فى بلادهم ومـا دام يدرك أن هذه الصورة مقسـم بهـا فلسوف يسـمع ويتأمـل فى الذى جـاء القسـم لتأكيده والدعوة اليه .

---

(١) الذاريات آيات : ١ ـ ٤ .

ومن ذلك قوله تعالى « **والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحاً فأثرن به نقعــا فوسطن جمعــا** (١) وموطن الاثارة فى هذا القسم أن الخيل كانت درع العربى فى حربه وسفره ومعاشـــه فأحاط بقيمتهــا وقدرهــا فأقسم الله بهــا وهى فى أعظم حالاتهــا وأشرف أعمالهــــا لأنهــا خيل نشيطة مندفعة عاديــة يســـمع صوتهــا • وتخرج النــار من حوافرهــا وتغير مبكرة لتفاجىء أعداءهــا فتثير الغيــار • وتتوسط الجموع •

هذه الأوصـــاف بترتيبها المذكور تأخــذ بلب المدعو وكأنـــه فى معركـــة كالتى خاضهــا أو رآها أو ســمع بهــا • وتجعله يضــــيف لتقديره الخيل تقديــرا أكثــر • فاذا ما علم أن هــــذه الأوصــاف سيقت للقســم فانه لا شــك ســيسمع المقســم عليه مستعدا لقبوله والايمان بـــه •

ومن هذه الأوصـــاف المتسلسلة فى المقسم به نرجح فيمــا ذكرنا وفى غيرها أنها أوصـــاف لمقســم به واحــد • مراعــاة لهذا الانسجام الذى بيناه • وتأكيدا على وحدة الموضوع وحفاظــا على التأثير الـــذى يكون أتم مـــع تمـــام الصورة وتسلسل أوصافهــا •

٢ ــ التكرار :

من الحقائق المسلمة أن التكرار ضرورة ملحــة حين يراد اقنــاع الناس بفكرة أو حملهم على سلوك معين لأن هذا التكرار يســاعد عــلى التأثير المطلوب وتعميقه ويمنع الاستجابة للتأثيرات المعاكسة •

وقد راعى أسلوب القسم هذه الحقيقة فكرر حين أنكــر النـــاس وأكثــر فى تكراره حين كذب الناس وأقســم مــرة واحدة اذا ســلم الناس • وهـــذا ملحوظ بالنظــر فى القرآن الكريم اذ نرى القســم بطرفيه المقســم به والمقســم عليه فى قضيــة التوحيــد مثلا يلحظ أن العــرب لــم ينكروهــا كلية فهم يعتقدون أن ســائر الآلهــة أقل شأنا من الاله الأكبر • ومن هنــا لــم يكرر القســـم عــلى الوحدانية

---

(١) سورة العاديات آيات ١ ــ ٥ •

واكتفى بمرة واحـــدة هى قوله تعالى « **والصفـــات صفا فالزاجـــرات زجرا فالتاليـــات ذكرا ان الهكم لواحد** » (١) فيقســـم على أن الله واحد ويكتفى بذلك مـــرة واحدة بسبب أن العـــرب لا يبتعدون عن ذلك كثيرا وأما فى حالة اثبات قدرة ما للالهة التى يتقربون اليها ، فى هـــذه الحالة لا يكتفى بمـــرة بل يبين فى عدد من المرات أن الله وحده هو المربى . وهو المعين . وهو المصرف كافـــة الشئون . ومن هذه المرات قولـــــه تعالى : « **فوربك لنسألنهم أجمعين** » (٢) . وقوله « **قل اى وربى انـــه لحق** » (٣) وقوله : « **فورب السماء والأرض انه لحق** » (٤) . ففى هذه الحالات يكرر القسم بلفظ « الرب » مضافـــا الى آثاره الدالة عـــلى حسن التربيـــة وكرم العنايـــة الواضحتين فى الانسان والسماء والأرض والمشـــارق والمغارب . لكنه تكرار قليل .

وفى حالة اكثار الناس من التكذيب واصرارهم على الكفر . كتكذيبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم واتهامه بالكذب والجنون والســـــحر والكهانة . فى هذه الحالة يضاعف القسم من كثرته ويكرر حتى يتمكن من مجابهة هذا السيل المكذب الكافـــر . فيقول تعالى« **يسن القرآن الحكيم انك لمن المرسلين** (٥) ويقول تعالى : « **والنجم اذا هـــوى ما ضـــــل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى** » (٦) ، ويقول تعالى« **ن والقلم ومـــا يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنـــون وان لك لأجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم** » (٧) . ويقول تعالى « **فـــلا أقســـم بمـــا تبصرون ومالا تبصرون انه لقول رسول كريم وما هو بقول**

---

(١) الصافات آيات ١ ــ ٤ .
(٢) سورة الحجر آية ٩٢ .
(٣) يونس آية ٥٣ .
(٤) الذاريات آية ٢٣ .
(٥) يس آية ١ ــ ٣ .
(٦) النجم آية ١ ــ ٤ .
(٧) ن آيات ١ ــ ٦ .

شــاعر قليــلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون » (١) ويقــول تعالى **« والضحى والليــل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى »** (٢) ٠

فهذه خمســة أقسام كلهــا تدور حول رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لتدفع معارضيها بشدة ففى الأولى تأكيــد بأن الرسول واحــد من المرسلين وليس بدعــا فى رسالته ٠

وفى الثانية تأكيد بأنه فى غاية الرشاد عقيدة وسلوكا فمــا أعتقد باطــلا قط وما حاد عن الصواب أبدا ٠ وفى الثلاث الأخيرة يرد الاتهامات الزائفة التى يلصقونها به عليه السلام ٠ والحقيقة أن قوله لا كذب فيه ولا شعر ولا كهانة ولا جنون ، وخلقه عظيم وسوف لا يترك الله قط كما أنه لــم يتركه ٠

وبتجميــع هذه الاثباتات الكثيرة حول النبى صلى الله عليه وســلم ورسالته نجدهــا ردودا كثيرة على ما أثاره المارضون تناسب موقفهم المعــاند الشــديد ٠

ومن حالات العناية الشديدة كذلك موقف الكافرين من القيــامة والبعث حيث أنكروا ذلك ٠

« واقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت » (٣) ٠

« أئذامتنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد » (٤) ٠

وهكذا أكدوا انكارهم بالقســم ودللوا على شدة عنادهم وتمسكهم بكفرهم ، ولذلك يرد الله عنادهم ويثبت بالقســـم البعث ٠ والحشر ٠ والسؤال وبعض مشــاهد القيامة لكى تتجمع هذه الاثباتات وتصنع دليلا

---

(١) الحاقة آيات ٤٠ ــ ٤٢ ٠
(٢) الضحى آيات ١ ــ ٣ ٠
(٣) النحل آية ٣٨ ٠
(٤) ق آية ٣ ٠

قويــا يرد العناد والضلال • ولهــذا جاء القسم على اثبات القيامـــة والبعث فى اثنى عشر موضعــا من القرآن الكريم •

ولعل نزول غالب أقســام القرآن فى مكة لأكبر مشـــير على دور القســم فى رد الكفــار و المعــاندين وتأثيره فى نفوسهم وعقولهم •

٣ ــ الترغيب والترهيب :

راعى القسم هذا النــوع من الخطـــاب ليتمكن من أداء دوره فى الدعوة والبلاغ ، ولذلك نراه يذكر الانسان بمــا ينتظره بعد المــوت ويعرفه بحتمية يوم القيامة وبضرورة البعث والحساب والجزاء لينتظــر مقره فى الآخرة اما فى الجنة واما فى النار • وبذلك يؤثــر القسم فى الناس لأنهم حين يسمعونه يخافون من ترهيبه • ويطمعون فى ترغيبه•ويتمسكون بالحسنى ليصلوا الى الفوز والسعادة • ولأهمية هــذا النوع فى الخطاب نراه فى المقسم به والمقسم عليه • حيث أقسم الله تعالى بيوم القيــامة فى قوله تعالى « **لا أقسم بيوم القيــامة** »(١) وفى قوله تعالى « **والسماء ذات البروج واليوم الموعود** » (٢) وأقسم عليه فى قوله تعالى : « **وقال الذين كفروا لا تأتينــا الســاعة قل بلى وربى لتأتيكم** » (٣) • وفى قوله تعــالى : « **والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات أمرا انمــا توعدون لصادق وان الدين لواقع** » (٤) •

وكما أقسم الله على القيامة أقسم على الحشر فقــال « **فوربـــك لنحشرنهم** » (٥) •

وأقسم على البعث : « **بلى وربى لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم وذلك**

(١) سورة القيامة آية ١ •
(٢) سورة البروج آيات ١ و ٢ •
(٣) سورة سبأ آية ٣ •
(٤) سورة الذاريات آيات ١ ــ ٦•
(٥) سورة مريم آية ٦٨ •

على الله يسير (١) ٠

وأقسم على السؤال والحســاب فقال تعالى « **فوربك لنســألنهم أجمعين عمــا كانوا يعملون** » (٢) ٠

وأقســم على العذاب فقال « **والطور وكتاب مسطور فى رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحــر المسجور ان عذاب ربــك لواقــــع ماله من دافع** » (٣) ٠

وأقسم على أهوال يوم القيامة فقال تعالى «**فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمــر اذا أتسق لتركبن طبقــا عن طبق** » (٤) ٠

أما العقل العربى الذى يهزه القسم فانه يخرج من هذه الايمان متذكرا القيامة بأهوالها ٠ وما أجدره حينئذ أن يتذكــر ذلك ويعلم أن يوم القيامة يوم لا ينفــع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ٠ فانه ان تذكــر ذلك وعلمه فهو بلا شــك سيتبع الصراط السوى المؤدى الى الخير والجنة وسيترك ما عداه بعدا عن النـــار والشر ٠

٤ ــ الموافقة الحسنة بين طرفى القســم :

يقوم القسم القرآنى بتأثيراته فى مخاطبيه بدقــة رائعــة ذلك أن الله سبحانه لا يقسم الا بمــا هو معروف للمخاطب لأنه كالدليــل لمــا يقسم عليه ٠ فناسب أن يقسم بالظاهــر على الخفى ٠ ولهذا كان المقسم به دائمــا ممــا يلامســه البشر ويعرفه ٠ وحتى عندما يكون المقســم به ممــا ينكره المدعو نرى القسم يأتى بجانب مسلم فيما هو موضع الانكــار ٠

---

(١) سورة التغابن آية ٧٠

(٢) سورة الحجر آية ٩٢ ٠

(٣) سورة الطور آيات ١ ــ ٨ ٠

(٤) سورة الانشقاق آيات ١٦ ١٩ ٠

ومن ذلك ما نراه حين أنكــر العرب رسالة محمد صلى الله عليــه وسلم مع تسليمهم بكمـــال صفاته الشخصية حتى قبل البعثة • فى هذا الوضع يأتى القسم بعمــر النبى الزمنى وحياته فى الدنيـــا ولا يقســـم برسالته أو نبوته فيقـــول تعالى :

« لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون » (١) •

فنرى القسم يأتى بالجانب المسلم فى حياته صلى الله عليه وسلم ويترك ما عداه •

ومن ذلك ما نراه حين يكون المقســـم به هو القرآن الكريم ، فمع ان العرب ينكرون انزاله نرى أن أسلوب القسم يعرف القرآن بوصف له مسلم عند العرب لا يستطيعون انكاره ، فيقول تعالى **«يس والقرآن الحكيم»(٢)** فان العرب بسماعهم للقرآن يعلمون أنه متضمن للحكمة التى اتصف بهـا وان كفروا بانزاله • ويقول تعالى **« ص والقرآن ذى الذكر »** (٣) والذكر هو القرآن حيث أنه شرف للعرب خلد لغتهم ومجد صفاتهم • ويقول تعالى **« ق والقرآن المجيد »** (٤) فان المتأمل فى القرآن يرى المجد واضحـا فى تعاليمـــه • ويقول تعالى **« حم والكتاب المبين »** (٥) والبيـــان القرآنى واضح حيث أن دلالة لفظه على معناه بينة ظاهرة •

وهكذا لا يقســـم الله الا بمــــا هو واضح معروف • يقـــول ابن قيم الجوزية « أما الأمور الظاهرة المشهورة كالشمس والقمــر والليـــل والنهار والســـماء والأرض فهذه يقســــــــم الله بهـــا ولا يقســـــم عليهـــا » (٦) •

---

(١) سورة الحجر آية ٧٥ •
(٢) سورة يس آيات ١ و ٢ •
(٣) سورة ص آيات ١ و ٢ •
(٤) سورة ق آيات ١ و ٢ •
(٥) سورة الزخرف آيـــات ١ و ٢ •
(٦) التبيـــان فى أقســـام القرآن ص ٢ •

ومع أن الوضوح باد فى المقسم به الا أن الدقـة القرآنية تأتى بمقسـم عليه مناسب للمقسـم به • وبينهمـا علاقـة قويـة ورابطـة سليمة تجعل المدعو ينتقـل تلقـائيـا • ممـا هو معروف له الى ما هو غير معروف لأن سوق المقسـم به يجعل المقسـم عليه يشبهه تمامـا فلا بد من فهمهمـا معـا والتصديق بهمـا على مستوى واحـد •

ونذكـر توضيحا لذلك بعض الأمثلة :

يقول تعالى :

« فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انـه لقرآن كريم » (١) •

فالمقسم به هو مسـاقط النجوم الكثيرة المنافـع حيث نعرف بها السير السليم فى ظلمـات البر والبحر ، والمساقط هى المغارب • وفائدة القسـم بهـا معرفة أن لها مؤثرا جعلها تغرب • وهو الله تعالى والمقسم عليه هو القرآن الكريم المقروء على سيدنـا محمد صلى الله عليه وسلم • الجم المنافع • المنزل من اللوح المحفوظ • المعجز لفظا ومعنى • ليعلم الجميـع أن منزله هو الله تعالى • والمناسبة بين المقسـم به والمقسم عليه هى أن كليهما أثـر من آثار الله تعالى ومنافعهما كثيرة للبشر • ان كلا منهما مصدر هداية فالكواكب مصدر هداية حسية والقرآن مصـدر هداية معنوية • وطريقة التأثير هنـا أن يصدق المدعو بالقرآن وصفـاته لأنهـا ليست غريبة عنده فقـد تقدمهـا ما يشبهـا وقـد سـلم بها حيث يشـاهد الكواكب بأوصافها كثيرا •

ومن هذه الأمثلة قوله تعالى :

« والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى » (٢) •

---

(١) سورة الواقعة آيات ٧٥ ـ ٧٧ •
(٢) سورة الضحى آيات ١ ـ ٣ •

والمقسم به نور وضاح متلألئ يعقبه الليل المظلم فهما حالتان متقابلتان للزمان • والمقسم عليه بيان بأن الله تعالى لم يترك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يبغضه • وانما انقطع الوحى فترة لحكمة أرادها الله تعالى • والمناسبة بينهما أن انقطاع الوحى فترة لا يعد ضررا قط لأن مجيء الوحى وانقطاعه حالتان صغيرتان كمجيء النور والظلمة • وطريقة التأثير هنا أن يقف المعارضون عند حد ولا يتمادون فى أكاذيبهم فما انقطاع الوحى الا لتهدئة فؤاد النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن ارتجف حين ضمه جبريل اليه لأول مرة • وبعد التهدئة يأتيه الوحى من جديد • تماما كما هو معروف من أن انقطاع ضوء الضحى ليأتى ظلام الليل أو بالعكس له فائدة جليلة • فالليل للهدوء والسكن والنهار للنشاط والحركة ولو كان الزمان كله نهارا أو ليلا لما سارت الأمور ولتوقفت الحياة ، فأقسم الله تعالى بحالتين من حالات الزمن فائدتهما واضحة لتأكيد ان تغير الوحى مع النبى صلى الله عليه وسلم الى حالتين لما لهما من فائدة ، والتصديق حينئذ سهل ، لأن التصديق بالمقسم به معروف حسا والمقسم عليه يشبهه فى التغير والفائدة معنى • فحق الايمان والتصديق بمحتواه •

يقول ابن قيم الجوزية « تأمل مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذى يوافى بعد ظلام الليل للقسم عليه وهو نور الوحى الذى وافاه احتباسه عنه ، فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحى ونوره بعد احتباسه واحتجابه ، وأيضا فان فالق ظلمة الليل عن ضوء النهار هو الذى فلق ظلمة الجهل والشرك بنور الوحى والنبوة فهدان للحس وهذان للعقل » (١) •

ويقول الرازى « كأن الله تعالى يقول الزمان ساعة فساعة ساعة ليل وساعة نهار ثم يزداد فمره تزداد ساعة الليل وتنقص ساعات النهار ومرة

---

(١) التبيان فى اقسام القرآن ص ٧٢ •

بالعكس فلا تكون الزيـــادة لهوى ولا النقصـــان لقلى بل للحكمة . كذا الرسالة وانزال الوحى بحسب المصـــالح فمرة انزال ومـــرة حبس فلا كان الانزال عن هوى ولا كان الحبس عن قلى » (١) .

ومن هذه الأقسام قوله تعالى :

« والمرسلات عرفا فالعاصفـــات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقـــا فالملقيـــات ذكرا عذرا أو نذرا انمـــا توعدون لواقع » (٢) .

والمقســـم به تعالى هو رياح عذاب أرسلهن الله فيعصفن . وبرياح رحمة نشرت السحاب فى الجو ففرقن بينه ذكرا للمعتذرين بالتوبـــــه وللعاصين بالكفران . والمقسم عليه هو أحقية مجىء يـــوم القيـــامة . والمناسبة بينهما أن الرياح تغير صـــورة الطبيعة وتحولهـــا الى شىء مناقض لصورتهـــا الأولى تماما كيوم القيامة حيث تتبدل الأرض غـــير الأرض والسماوات . وطريقـــة التأثير أن يصدق المخاطبون بيـــوم القيـــامة فليس الحديث عنه شـــاذا فانهم يرون أمـــام أعينهم السماء صافية . والشمس ساطعة . وبعـــد لحظة وجيزة تأتى الريـــاح عاصـــفة ويبدو الجـــو داكنـــا فتنمحى النجوم ، وتنسف الجبال ، وهذا يقرب من يوم القيامة بمافيه من فناء الخلق وطمس النجوم ونسف الجبال .

ان القسم وهو يراعى المناسبة بين طرفيه يهدف الى البيـــان المؤثر والتدليل السهل . ويضع المستمع أمـــام نفســـه فليس لـــه أن يصدق بشىء ويكذب بنظيره تمـــامـــا . وليس لـــه كذلك أن يكذب بهمـــا معـــا لأن المقســـم به دائمـــا يكون من المسلمات الحســـية التى تواتـــــر صدقهـــا ومن هنـــا لا يجد المخاطب الا التصديق بالمقسم عليه .

وهكذا يقوم القســـم بدوره الاعـــلامى بعـــد تمتعه بخصـــائص الاسلوب المفيد واشتماله على الطرق المؤثرة على النحو الذى وضحناه .

---

(١) تفسير الرازى جـ ٨ ص ٤٤٧ ط ١ .

(٢) سورة المرسلات آيات ١ ـ ٧ .

الجـــدل فى القرآن الكريم

ظهر فى التعبير اللسانى كلمـات المناظرة والمجادلة والمكابرة ، وثلاثتهـا حوار بين طرفين متخاصمين الا أنهـا تختلف فى الاصطلاح • لأن المناظرة هى توجه المتخاصمين فى النسبة بين الشيئين اظهارا للصواب والمجادلة هى المنازعة لا لاظهار الصواب بل لالزام الخصم • والمكـابرة هى المنازعـة لا لالزام الخصم ولكن لمجرد الرد والمكابرة •

فالمناظرة هى الأولى بالاعتبار الا أنا لاحظنـا أن القرآن يأمـر بالجدل فى قوله تعالى :

« وجادلهم بالتى هى أحسن » (١) •

ويقول **« ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن » (٢) •**

ومحال أن يأمـر الله بغير طريق الصواب • أو يجعل رسله يسلكون غيره • ومن هنا ترى صاحب المصباح يذكر صوابا • ويخرج كلمة جادل عن أصلهـا الأول الى توسع فى استعمالها فيقول « جادل مجادلة وجدالا اذا خاصـم بمـا يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب • هــذا أصله ثم استعمـل على لسـان حملة الشرع فى مقابلة الأدلة لظهـور أرجحها وهو محمود أن كان للوقوف على الحق والا فمذموم » (٣) ويقول الرازى « الجدل المذموم فى القرآن محمول على الجدل فى تقرير الباطل وطلب المـال والجاه والجدل الممدوح محمول على الجـدل فى تقريـر الحق ودعوة الخلق الى سبيل الله والذب عن دين الله تعالى » (٤) •

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥ •
(٢) سورة العنكبوت آية ٤٦ •
(٣) المصباح المنير جـ ١ ص ٤٤ مادة « جدل » •
(٤) مفتاتيح الغيب جـ ٢ ص ٢٥٢ ط •

ومادة الجدل فى القرآن تدور حول المدافعة بالقول من أجل الدفاع عن العقيدة والشريعة والأخلاق ان كانت من أجل الله ، أو من أجل الباطل ان كانت من المكـابرين وكل آية تحدد اتجاه جدلهـا .

ان الجدل المتجه للصواب يراد منه المناظرة الاصطلاحية كمـا يجوز أن تطلق المناظرة على المكـابرة أو المجـادلة حين تخرج عن قصدها ، يقول الغزالى فى رسالة أيهـا الولد : « أيها الدلد اننى أنصحك بثمانية أشياء اقبلها منى لئلا يكون علمك خصما عليك يوم القيـامة ، تعمـل منها أربعة . وتدع منهـا أربعة ، أمـا اللواتى تدع . فاحداهـا أن لا تناظر أحدا ما استطعت لأن فيهـا أفات كثيرة (١) ومعلوم أن آفة الحوار لا تكون الا من المكابرة والمجادلة الاصطلاحيتين ، كما أن الغزالى فى كتابه الاحيـاء ذكـر فى الباب الرابع آفات المناظرة وضررهـا على الأخلاق وعـدم تشبيهها بمناقشات الصحابة (٢) .

ومن البدهى اذا أن يطلق الجدل القرآنى على ما يشمله الاصطلاح الخاص بالجدل والمناظرة معـا ، ولعله فى الموضع الواحـد يوجد الجدل والمناظرة ، كمناقشـة سيدنـا ابراهيم عليـه السلام للنمرود فى سورة البقرة فسـيدنـا ابراهيم يناظر والنمرود يجادل ...... ومن أمثال هـذا كثير .

وقد يشـمل الموضع الواحد على مجادلة ومناظرة ومكابرة تبعـا لقصـد المتخاصمين أو احداهمـا ، والقصد قابل للتبديل فى كل وقت من المناقشـة .

الجدل أسلوب اعـلامى .

الجدل القرآنى اسلوب اعلامى قـام ويقوم بدوره على وجه كامـل وذلك على النحو التالى :

---

(١) أيها الولد ص ١٣٦ ضمن مجموعة للغزالى سماها « بالقصور العوالى ٢٢ .

(٢) أحياء علوم جـ ١ ص ٣٧ — ٤٢ .

١ ـ الاقنـــاع العقلى المجرد :

خاطب الجدل العقل ، وناقش الخصوم مناقشـــة تعتمد على كثير من المسلمات حتى يقطعوا بصحة المدعى أمامهم • وكأن الجدل فى هذا المعنى يستنتج النتائج الصحيحة بعد ذكره للمقدمات الصادقة • ذكـــر السيوطى أن الاسلاميين من علمـــاء الكـــلام أخـــذوا من أول ســـورة الحج الى قوله تعالى « **وأن الله يبعث من فى القبور** » خمس نتائج وعشر مقدمات لهـــا ، أمـــا النتـــائج فقد احتواهـــا قوله تعالى :

« ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور » (١) •

وأما المقدمات العشر فهى سهلة الايراد • وذلك أن الله أخبر عن يوم القيامة وزلزلة الساعة • وذلك حق منقول الينا بالتواتر • ولا يخبر بالحق عمـــا سيكون الا الحق فالله هو الحق ، وأخبر سبحانه وتعالى عن أهوال الساعة وعن قدرته الشـــاملة • ولابد للســـاعة من احيـــاء الموتى فالله القادر يحيى الموتى ، وأخبر سبحانه أنه سيعاقب المعاندين وسيثيب الطائعين ، ولا يستطيـــع ذلك الا القادر على كل شىء • فالله على كـــل شىء قديـــر ، وأخبر عن الســـاعة وخلق الانسان من تراب • وأمـــاتـــه بعـــد ذلك • وخلق الأرض وصدق خبره فى كل ذلك بدلالة الواقـــع المشـــاهد • ومن صدق خبره فى ذلك صدق فى أخباره عن مجىء الساعة آتية لا ريب فيهـــا • ولا تأتى الســـاعة الا ببعث من فى القبـــــور فثبت أن الله يبعث من فى القبور » (٢) •

وهكذا نجد النتائج أمام العقل ثابتة صادقـــة ، وهى نتائج ذات تأثير نفسى بالغ فهى لا تقف عند شكليـــة اليـــاس ، بل تجعـــل المجادل كلما وصـــل الى نتيجة ازداد ايمانا وتصديقا • حيث تشتمـــل النتائج

---

(١) سورة الحج آية ٦ ، ٧ •
(٢) الاتقان ج ٢ ص ١٣٥ ، ١٣٦ بتصرف •

على ابراز حقيقة الألوهية • وقدرة الله • وتخبر عن احياء الموتى وبعثهم فى يوم الســاعة الآتية بلا ريب • وتتحدث عن ضرورة الحساب عــلى الأعمــال •

ان الجدل القرآنى ليس من الجدل المضيع للوقت بلا فائــدة لكنه جــدل يثمــر ايمانا وطاعــة •

ومن أجل الوصول بالعقل الى اقتناع كامل بالشىء الذى هو محــل الجدل رأينا الجدل يأتى بالأمر المتناقش فيه • ويحلله الى منتهى أقسامه ويرد كل قسم على حده • لينتهى أخيرا الى الرأى الحق وذلك كقولــه تعالى :

« وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجــلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليــه كذبه • وان يك صادقــا يصبكم بعض الذى يعدكم ان الله لا يهــدى من هــــو مسرف كذاب » (١) •

فترى هذه الآية تقسم الرأى فى موسى عقليــا لأنه اما أن يكون كاذبا واما أن يكون صادقا • فان كان كاذبا فكذبه عليه وحده لا يتعداه • وان كان صادقــا فاتباعه نفــع وفوز ونجاة ، والتقســيم يؤدى فى النهاية الى عــدم التعرض لموسى عليه السلام وعــدم محاولة قتله •

ومن هــذا النوع قوله تعالى :

« كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشــيطان انه لكــم عدو مبين ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثين أمــا اشتملت عليه أرحــام الأنثتين نبئونى بعلم ان كنتم صادقين

---

(١) سورة غافر آية ٢٨ •

ومن الابـل اثنين ومن البقـر اثنين قل آلذكرين حـرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحـام الأنثنين أم كنتم شـهداء اذ وصاكم الله بهـذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لايهدى القوم الظالمين » (١) ٠

وقد رد الله فى هـذه الآيات على اليهود تحريهم لذكور الأزواج المذكورة تارة ٠ وتحريمهم لاناثها تارة ثانيـة ٠ وتحريهم لمـا فى ارحام الاناث حسبما اتفق تارة ثالثة ٠ فجادلهم الله فى رده بطريق « السبر والتقسيم » فبين أنه خلق من كل زوج مما ذكـر ذكرا وأنثى ٠ وسألهم عن سبب التحريم وعلته ٠ لأن العلة اما أن تكون بسبب الذكورة أو بسبب الأنوثة أو بسبب الذكورة والانوثة معا ٠ أو بسبب خارج عن حدود مصدر الشىء المحرم كليا ٠ ولا يعقل سبب سواها ٠ ويترتب على هذه الأسباب أن يحرم الذكورة جميعا ان كانت العلة هى الذكورة ، أو يحرم الانـاث جميعا ان كانت العلة هى الأنوثة ، أو يحرم الذكور والاناث ان كانت العلة هى الذكور والأنوثة معا ٠ أو يحرم ما فصله الوحى ان كان هو السبب لكن السبب المشـاهد أن اليهود يحرمون على هواهم فيحرمون هـذا تارة٠ وذاك تارة أخـرى ، ويحللون الشىء بـد تحريمه ، وقـد حصر الله علة التحريم الممكنه وسألهم عن تحديدهـا ان وجدت وبذلك أبطـل فعلهم وأثبت أن ما قالوه ضلال وكذب ٠

وهكذا بـ « السبر والتقسيم » ينزاح الشـك ٠ وتستريح النفس ٠ ويتيقن العقـل المجـرد والفكـر السليم » (٢) ٠

٢ — مراعاة الطبائع النفســية :

يعتز الانسان برأيه وبفكرته غاليا ٠ وان كانت خاطئة ٠ والمعاندون أكثر الناس تشددا فى هذا المجال ٠ والجدل الفنى يراعى هذه الناحية فى مناقشاته ٠ حيث نرى فى طريق الجدل ما عرف بطريقة « مجاراة الخصم » ومجمــل هذه الطريقة نجده فى قوله تعالى :

« قالوا ان أنتم الا بشر مثلنــا تريدون أن تصدونا عما كان يعبــد آباؤنا فأتونــا بسلطان مبين ٠ قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشــاء من عباده » (١) ٠

فدعوى الخصم أن الرســل بشر والبشر لا يستطيعون أن يتلقوا وحى الله ٠ وهم بدعوى الرسالة يريدون صد أقوامهم عن عبادة الآباء والأسلاف ٠ وبملاحظة رد الرســل عليهم نرى التسليم للخصوم بأنهم بشر ويذكرون أن البشريــة لا تتنافى أن يمن الله بالرســالة على من يشــاء من البشر ٠

وفى هذا النوع من الجدل استدراج للخصم واستجلاب لاصغائه ٠ وربمــا كان من الممكن بهــذه الطريقة ثنيه عن الانكــار بعــد بيان فســاد العلاقة بين القضيــة المسلمة والنتيجــة التى رتبت خطــأ عليها ٠ يقول الشهرستانى : « وأعلم أن الموافقة فى العبارة عن طــريق الالزام على الخصم من أبلغ الحجج وأوضح المناهج » (٢) ٠

اة الخصم » تقدير للفكر وللعقل عن طريق تقدير برفق ولين ٠

البشريـــة ما عـــرف بـــ « قياس الخلف » وهو جـــدل يثبت الأمر بابطال نقيضه . ومثاله قوله تعالى :

« ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » (١) .

فقد أثبت قول الله هـــذا أن القرآن من عند الله تعالى بابطـــال أنه من عند غير الله . لأنه خـــلا من الاختلاف اللازم له لو كان من عنـــد غير اللـــه .

ومن الطرق التى تراعى هذه الطبائع . ما نلمســـه من بعض صور الجدل التى تتجه الى مناصحة المدعو . وارشـــــاده . والأخذ بيده الى الصواب . وتوجيه نظره الى ما حوله ليأخذ منه الفائدة . وهذه الصـــور تراعى الجدل فى ثناياهـــا وترد عليها فى اجمال وتدليـــل ومن أمثاله قوله تعالى **« الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيـــان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعهـــا ووضع الميزان أن لا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » (٢) فقد** لاحظت هذه الآيات أقوال الخصوم من غير أن توردهـــا وردت عليهـــــا فى ايجاز ودليـــل ملموس . وبذلك تأخـــذ بيـــد المستمع الى الحق عن طريق وضع الأدلة المسلمة الواضحـــة .

ومن الطرق التى راعت طبائع الناس مجاملة الخصوم وعدم الـــرد المباشر على دعاويهم مـــع عـــدم التسليم بهـــا . كقوله تعـــالى **« قـــل انا أو اياكم لعلى هـــدى أو فى ضلال مبين »** (٣) ، وكقوله تعالى **« قل ان كان للرحمن ولد فأنـــا أول العابدين »** (٤) وذلك لأن المجاملة أدعى الى الطاعـــة وأقوى فى التأثير .

---

(١) سورة النساء آية ٨٢ .
(٢) سورة الرحمن آيات ١ ــ ٩ .
(٣) سورة سبأ آية ٢٤ .
(٤) سورة الزخرف آية ٨١ .

٣ — ملاحظة التنوع البشرى :

يختلف الناس فى محاوراتهم فمنهم المجادل العنيد ومنهم المناقش السهل ، ولقد راعى الجدل هذه الاختلافات • فمع العنـــاد يلجأ الى افحام الخصـــم والزامه • ثـــم يأخذ بيده الى الحقيقة • ويبينهـــا له فى وضوح فلقد كان المعاندون يطلبون فى اصرار أن يكون الرسول ملكا لازالـــــة اللبس من ارسال البشر فرد الله اصرارهم فى وضوح وايجاز وعرفهم أنه لو أرســـل ملكـــا على صورته الملكية لهلك الناس من رؤيته • ولو جعله على صورة البشرية يعايشهم ويدعوهم فى بشريته هذه لبقى اللبس وطلبوا ملكـــا آخـــر • وهكذا فى تسلســـل لا ينتهى وهو محـــال نشأ من طلبهم المحال • وعليهم بعـــد ذلك أن يسلموا بالرسول البشر •

ومن أمثلة هذه المراعاة قوله تعالى :

« وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء قل من أنزل الكتاب الذى جـــاء به موسى نورا وهـــدى للنـــاس تجعلونه قراطيس تبدونهـــا وتخفون كثيرا » (١) •

وفى هذه الآية بيان لانكـــار اليهود انزال الوحى على بشر هو محمد صلى الله عليه وسلم بينما هم يؤمنون برسالة موسى عليه السلام • وقد رد الله عنادهم وأفحمهم بأخصر طريق بسؤالهم عن المسلمات عندهم هى من نوع ما ينكرون • ولذلك سألهم عن الكتاب الذى جاء موسى عن من أنزله عليه ؟ •

وحينمـــا يبدأ المعاند فى انكار المسلمات بالقاء شبهه عليها : نجـــد القرآن الكريم لأن قصده الحق يأتى بطريقة تعـــرف « الانتقال » حيث يترك ما ألقيت عليه شبهة الخصم وينتقـــل الى مالا شبهـــة فيه • وذلك كقوله تعالى « **ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن أتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان**

---

(١) سورة الانعـــام آية ٩١ •

الله يأتى بالشـــمس من المشرق فأت بهـــا من المغـــرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين » (١) فان النمرود قد جادل فى الأمـــور المسلمة وادعى قدرته على الاحيـــاء والاماته ، وبرغم بطلان ادعائه ، فان ابراهيم عليه الســـلام لا يناقشـــه فيه ، بـــل ينتقـــل الى استدلال آخـــر لا يجد الملك ميه وجها يتخلص به منه فقـــال عليه الســــــلام ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بهـــا من المغـــرب » • وفى هـــذا افحـــام والزام للملك المعانـــد المكـــابر لأنه لا يظنه أن يقـــول : أنـــا الآتى بالشمس من المشرق لأن من أسن منه يكذبه » (٢) •

ومن هـــذا الانتقـــال قوله تعالى :

« لئن رجعنـــا الى المدينة ليخرجن الأعز منهـــا الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » (٣) •

وفى هذه الآية افحـــام للمنافق ورد لقوله الذى يزعم عزة المنافقين وذلة المؤمنين • اذ تثبت عزا وذلا ولا تنكـــرهمـــا لكنهـــا تجعل العزة للمؤمنين والذلة للمنافقين ، وبعـــد ما تصحح المفهوم السليم يصـــــدق قولهم ليخرجن الأعز منهـــا الأذل •

أما ان كان الخصـــم سهلا لينا فان الجدل يلين معه فى المناقشـــة • ويرده الى أمور مسلمة ابتداء • وذلك كقوله تعالى » :

« أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة » •

فقد استدل سبحانه على بطلان أن يكون لـــه ولد بأمـــر معروف مألوف لا يمارى فيه أحد ، وهو أنه لو كان له ولد لكـــانت له صاحبة ، ولم يدع أحـــد أن له صاحبة فيجب أن لا يكون له ولد » (٤) •

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٨ •
(٢) من بلاغة القرآن ص ٣٧٥ •
(٣) سورة المنافقون آية ٨ •
(٤) تاريخ الجدل ص ٦٩ •

وأما ان كان الخصم من المكابرين . الذين لا يستفيدون مطلقا . فان الجدل يضع معهم حدا ، حتى لا يخرج الجدل عن الحسنى التى أمـر الله أن يتحلى بهـا جدل الدعـوة وذلك كقوله تعالى للكافرين **« لكم دينكم ولى دين »** (١) فقـد وضع هذا الجدل حدا للنقاش مع هؤلاء الكافرين المكابرين . يقول الامـام الخازن : « والمخاطبون بهـذه السورة كفرة مخصوصون قد سبق فى عم الله أنهم لا يؤمنون » (٢) ولذلك أمـر الله رسوله أن يترك الجدل معهم ويعرفهم أن له دينه ولهم دينهم ، والأمـر لله بعـد أن أوضح الحجة وألزمهم المحجة .

٤ ــ الجـدل بعرض السؤال :

يعرض القرآن الكريم فى جدله ، ومناقشـاته القضـية فى شـكل موجز ، يؤدى الى التسليم بالقضيـة المطروحة . وذلك كقوله تعالى :

ــ « أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون » .

ــ « أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على ان يخلق مثلهم » .

وحين ينظر الانسـان الى هذه الاسئلة ويبحث عن اجابة لهـا يجد نفسـه امام تسليم تام بأن الخالق هو الله تعالى وليس كمثله مخلوق

***

وهكذا جدل القرآن الكريم فى افادته الاعـلاميـة وتعريفه قضايا الاسـلام .

---

(١) سورة الكافرون آية ٥ .
(٢) لباب التاويل ج ٤ ص ٤٦١ .

الاســـتفهـــام فى القرآن

الاستفهـــام أحد أساليب القرآن الكريم فى تبليغ الدعوة ، وتوجيه الناس ، وقـــد جاء الاستفهـــام فى كتاب الله تعالى دقيق المعنى ، متنوع الاسلوب ، ملائمـــا للقضـــايا التى سيق لهـــا •

والاستفهام طلب الفهم ومعرفة المجهول ، وهو بهذا المعنى مستحيل فى حق الله تعالى فهو العليم الخبير ، لكن حمـــل معرفة المجهول يكون بالنسبة لمستمع القرآن وقارئه من الناس ، وبذلك يفهم الاستفهام على حقيقته وينزه البارى سبحانه وتعالى • ويأتى الاستفهـــام القرآنى ليفيد عـــدة معـــان منهـــا •

— يفيد طلب المعرفة : ومثاله قوله تعالى : « **قال عيسى بن مريـــم للحواريين من أنصـــارى الى الله ؟** » (١) وقوله تعالى : « **قـــالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونهـــا ؟** » (٢) وهذان السؤالان يحتاجـــان لاجـــابة تفيـــد معرفـــة جديدة للانسان الســـائل •

— **يفيد الاختبار** حيث يكون الســـائل عالمـــا ويريد امتحـــــان المخاطبين واختبـــار معارفهم • ومثاله قوله تعالى : « **قيـــل أهكذا عرشك قالت : كأنه هو** » (٣) •

واسلوب الأختبار فى الاستفهـــام يعقبه الجواب كقوله تعـــالى : « **قال : كم لبثت ؟ قال لبثت يوما أو بعض يوم • قال بل لبثت مـــــائة عـــام** » (٤) •

---

(١) سورة الصف آية ١٤ •
(٢) سورة البقرة آية ٦٩ •
(٣) سورة النمل آية ٤٢ •
(٤) سورة البقرة آية ٢٥٩ •

— **يفيـد الاستفهـ**ـام القرآنى الانكـار لما هو واقـع للتوبيخ ، أو لمـا لم يقع للتكذيب والاعتراض ، ومثـال التوبيخ قوله تعـالى **« أتأتون الفاحشـة ما سبقكم بهـا من أحـد من العالمين »** (١) ومثـال التكذيب قوله تعالى : **« أفعيينا بالخلق الأول » (٢)** ٠

— **يفيد الاسـتفهام القرآنى التعجب** الذى يؤدى الى تعظيم الشىء وتعجيب العبـاد ، ومثاله قوله تعالى : **« أو كالذى مر على قرية وهى خاويـة على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها »** (٣) وقوله تعالى **« قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر » (٤)** ٠

— **يفيـد الاستفهام القرآنى النفى** متضمنـا التوبيخ والتعـريض ومثاله قوله تعـالى **« ضرب الله مثلا عبداً مملـوكا لا يقدر على شىء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هـل يسـتوون ؟ الحمـد لله بل أكثرهم لا يعلمون » (٥)** ٠

— **يفيد الاستفهام القرآنى** التقرير والاذعان ومثـاله قـوله تعـالى : **« ان موعدهم الصـبح اليس الصـبح بقريب ؟ »** (٦) وقـوله تعالى : **« يا صاحبى السـجن أأرباب متفرون خير أم اللـه الـواحد القهار » (٧)** ٠

— يفيد الاستفهام القرآنى التشويق والدهشـة ومثـاله قوله تعالى : **« عم يتسـاءلون ؟ عن النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون » (٨)**

---

(١) سورة الاعراف آية : ٨٠ ٠
(٢) سورة ق ية ١٥ ٠
(٣) سورة البقرة آية ٢٥٩ ٠
(٤) سورة آل عمران آية ٠
(٥) سورة النحل آية ٧٥ ٠
(٦) سورة هود آية ٨١ ٠
(٧) سورة يوسف آية : ٣٩ ٠
(٨) سورة النبـا آية : ١ ، ٢ ٠

وقوله تعالى : « **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سـعيهم فى الحياة الدنيـا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعـا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه** » (١) •

— يفيد الاستفهام القرآنى التلطف فى الغرض ، وحسن الطلب ومثـاله قوله تعـالى :« **قال له مـوسى هل أتبعـك على أن تعلمنى مما علمت رشـدا** » (٢) وقوله تعـالى : « **اذهب الى فرعون أنه طغى فقل هل لك الى أن تزكى** » (٣) وهنـاك أغراض عديدة تستفاد من أسلوب الاستفهام كمـا جاء فى القرآن الكريم ، وما ذكرته هو أهمها •

الاستفهام أسلوب اعلامى :

يشتمل أسلوب الاستفهام على معـان عديدة ، ويتضمن تصويرا متكاملا للمـوقف الواحد حيث يرد فيـه الانفعال • والأناه • ولذلك كانت ضرورة الاستفادة به فى المجال الاعلامى •

ان التربية المعاصرة تركـز على منهج التربيـة بالسـؤال أكثر من التلقين المجرد ، لأن الاستفهـام فى أصـل وضـعه يتطلب جوابا •

ومن فنية الاستفهـام القرآنى نلحظ ما يلى :

١ — الملاءمة الحسنة لواقع الناس :

يتجه الاستفهام القرآنى للنـاس مراعيـا أوضـاعهم النفسية والوجدانيـة ، ويتعامـل معهم على أسـاس مجابهتهم بمـا يتلاءم مع واقعهم • ومن هذا أن أهل مكة استقبلوا الدعـوة الى الله مستنكرين ، متعجبين ، مستهزئين ، ودل كـلامهم على ما بأنفسـهم من عـواطف وأشجان • ومن كلامهم فى هذا المقـام نقرأ قول الله تعالى :« **وعجبوا**

---

(١) سورة الكهف آية : ١٠٣ ، ١٠٤ •
(٢) سورة الكهف آية ٦٦ •
(٣) سورة طه آية : ١٧ ، ١٨ •

ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشىء عجاب »(١) ويقول سبحانه :**« بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شىء عجيب »(٢)** ٠

فى هذا المقام نجد القرآن الكريم يورد لهؤلاء القوم وأمثالهم استفهاما يطابق أساليبهم ، ويتفق مع ما بأنفسهم من خواطر وأشجان ، فينكر موقفهم ويهزأ بكفرهم ، ويؤنبهم ويفحمهم ٠ وفى ذلك نقرأ قول الله تعالى :

— « أفغير دين الله يبغون » ؟

— « ما لكم لا ترجعو لله وقادا » ؟

— « قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات والارض ؟ » (٣) ٠

— « ما لكم كيف تحكمون ؟ » ٠

— « أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا ٠ أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا » (٤) ٠

— « أفامن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ؟ أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ؟ » (٥) ٠

فنرى هذه الاستفهامات مشتملة على التقريع ، والتوبيخ ، والانكار ، حيث تتجه الى المنكرين لتلزمهم الحجة ! لانهم لو بحثوا عن اجابة تنقذهم أمام هذه الاسئلة لوصلوا الى الحق ، ووقروا خالقهم ، والتزموا بطاعته ، وبعدوا عن الغرور بالماديات الزائلة ٠

---

(١) سورة ص آية ٤ ، ٥

(٢) سورة ق ٢ ٠

(٣) سورة مريم آية : ١٨ ٠

(٤) سورة مريم آية ٧٧ ٠

(٥) سورة الاعراف آية ٩٧ ، ٩٨ ٠

ومن أسئلة القرآن الكريم المحركة للوجـــدان ما جاء بصـــيغة « ما أدراك » ذلك قوله تعـــالى :

ــ « القارعة ٠ ما القارعة ؟ وما أدراك ما القارعة ؟ » (١) ٠

ــ الحاقة ٠ ما الحاقة ؟ وما أدراك ما الحاقة ؟ » (٢) ٠

فان الاستفهام بعد الذكر ، وتكرير الاستفهام حول ادراك هــذا المذكور يحرك وجدان المستمع نحو هذا الشىء ، وبخاصة أن المستمع يجد نفســـه أمام أمر لا يعرف عنه شـــيئا ، ولا يمكن تصـــوره الا عن طريق الوحى المنزل من عند الله تعالى ٠

٢ ــ الايجاز البليـــغ :

نلحظ أن القرآن الكريم يورد الاســـتفهام فى أســـلوب موجز بسيط مـــع اشتماله على القضـــية المطلوب الايمـــان بهـــا ٠ ومن أمثلة ذلك قوله تعـــالى :

ــ « كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ؟ » (٣) ٠

ــ « أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شىء ؟ » (٤) ٠

ــ « ومالى لا أعبـــد الذى فطرنى ؟ » (٥) ٠

ــ « أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ؟ » (٦) ٠

ــ « أتقولون للحق لمـــا جاءكم أسحر هـــذا ؟ » (٧) ٠

---

(١) سورة القارعة آيات ١ ــ ٣ ٠
(٢) سورة الحاقة آيات ١ ــ ٣ ٠
(٣) سورة التوبة آية : ٧٠
(٤) سورة الانعـــام آية ١٦٤ ٠
(٥) سورة يس آية : ٢٢ ٠
(٦) سورة الانعـــام آية ١٠١ ٠
(٧) سورة يونس آية : ٧٧ ٠

فهذه استفهامات موجزة اللفظ الا أن كلا منها يشتمل على قضية أساسية فى العقيدة ، ومن بلاغة هذه الاسئلة أنها تتضمن دليلا مثبتا الموضوع فيه الاقناع والدقة ، وكأن هذه الاسئلة قامت بدور الانكار والاثبات معا ، انكار ما عليه المسئولون ، واثبات الحق والصواب ودائما يأتى مع الاستفهام القرآنى ما يفصح عن ما يريد اثباته ، وذلك كقوله تعالى :

— **« أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون »** (١) .

— **« قاتلهم الله أنى يؤفكون ؟ »** (٢) .

فنجد فى هذه الآيات الاستفهام وما يؤيد القضية تأكيدا لتحقيق ما سبق السؤال من أجله .

٣ — الدقة فى الدلالة على المقصود :

يعد الاستفهام القرآنى أحسن أسلوب فى الدلالة على المقصود . ولو قارناه بغيره من الاساليب لثبت أنه أفضلها . ومن ذلك :

— يجىء الاستفهام لتقرير أمر ويكون أبلغ من الاثبات المحض،يقول الله تعالى : **« أليس الله بكاف عبده ؟ »** يقول أبو السعود تشير الآية الى أن الكفاية من الوضوح بحيث لا يقدر أحد على أن يتفوه بعدمها ، أو يتلعثم فى الجواب بوجودها .

— مجىء الاستفهام للنفى يكون أبلغ من النفى المجرد . يقول الله تعالى: **« أفرأيت أن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون »** والآية تشير الى أن كل مخاطب تمتع بالدنيا واهوائها لا يغنيه تمتعه ، وورود الاستفهام يفيد النفى مؤكدا أكثر من النفى المجرد .

---

(١) سورة السجدة آية : ١٨ .
(٢) سورة التوبة آية ٣٠ .

ـ الاستفهــام المفيــد للامر أبلــغ من الأمر المجرد وذلك كقوله تعــالى : « **فهل أنتم منتهــون** » فان ذلك أبلغ من « **انتهوا** » ٠

ان الاستفهام بصورة عامة يفيــد أكثر من غيره من الأساليب حين يشتركان فى معنى واحد لأن الاستفهام يتجه الى العقل برفق ويجعــــل المستمع شريكـــا للســـائل ، الأمــر الذى يجعله يفكر فى أناة ، ويقتنع فى هــــدوء ٠

٤ ـ افادة أكثر من فريق بالســؤال الواحد :

حينمـــا نقرأ الاســـتفهام فى كتاب الله تعــالى نجد أن معنـــاه يتغير بتغير قائلة ، وتغـــير المخـــاطب به ، وبتغـــير حـــال المخـــاطـــب الواحــد ، وبهــذا يتعدد المعنى للسؤال الواحد ، والأمر يشير الى سعة توجه الســؤال للنـــاس ٠ ومن أمثلة ذلك قوله تعــالى: « **أفمـــا نحن بميتين الا موتتنـــا الأولى وما نحن بمعذبين** »(١) يقــول أبو حيان : ان كان الســـؤال من قول القرين لقرينه المذكور فى الآية قبلها فهو توبيخ ، وان كان من قـــول المؤمنين فى الجنـــة فهو غبطة وتقرير(٢) ٠

ومثاله أيضـــا قوله تعـــالى : « **واذا ما أنزلت ســورة فمنهــم من يقـــول أيكم زادته هذه ايمـــانا** »(٣) والآية تحتمل أن تكــون خطابا لبعض المنـــافقين من أمثـــالهم ، وحينئـــذ فانـــها تفيد الاســــتهزاء بالمؤمنين ، واذا كانت خطابا للمـــؤمنين من المنـــافقين وحينئـــذ فان معنـــاها يفيــد استخفاف المنافقين بالسورة المنزلة ٠

ومثالها أيضـــا قوله تعـــالى : « **ألم تر الى الذين خرجــــوا من ديارهم وهم ألوف حذر المــوت** »(٤) فان الاســـتفهام يفيد التقرير

---

(١) سورة الصافات آية : ٥٨ ، ٥٩ ٠
(٢) تفسير البحر المحيط جـ ٧ ص ٣٦٢ ٠
(٣) سورة التوبة آية ١٢٤ ٠
(٤) سورة البقرة آية ٢٤٣ ٠

ان كانت القصــة معروفــة قبــل السؤال ، ويفيــد التعجب ان لم تكن معروفــة .

وهكذا يفيــد الاســتفهام القرآنى فى مجـــال الدعــوة والاعلام

* * *

واخيرا :

فاننا نرى امكــانية استفادة رجل الاعلام المســلم من أساليب القرآن فى الدعــوة والاعلام من عدة نواح :

— يحسن لرجل الاعــلام أن يعيش مع الموضــوع الذى يقدمه، وينشره ، ليخرج من عنــده واضحا ، محددا ، من غير زيادة فيــه ، ومن غــير نقص .

— يجمل برجل الاعــلام أن يجــود أســـلوبه ليخرج للنــاس حســنا ، مشتملا على الفصاحة والبلاغة .

— من الافضــل عــدم المبالغة عنــد نشر الاحداث والاخبار ، لأن التهــويل يثير العــواطف ، ولا يصل الى غايته ، وبخلصــة اذا كان قائما على المبــالغة والخيال .

— على الاعــلاميين أن يصــيغوا رســائلهم مراعيــة لحــال المستعمين من ناحية مستوياتهم الفكرية والعاطفية .

— الرســالة المنوعة الأسلوب أسرع فى الوصول الى الجماهير لأن التنوع اللفظى يناسب تنوع الناس وحينئذ يجد كل فرد من الرسالة ما يجذبه يشــده اليها .

— ومن الممكن الاستفادة من أســاليب القرآن ؟ فى المجــال الأعــلامى . وقد أثبتت التجــارب ان الاعــلام كلما التصــق بكتاب الله تعــالى كلمــا جذب العواطف الانســانية لأن اعجــاز القــرآن الكريم — لفظا ومعنى — ما زال له نفس سحره عند الناس وبخاصــة اذا أحسن عرضــه ، وجودت تلاوته .

والله ولى التوفيق

الخـــاتمة

وبعـــــد ٠٠٠

فهذه الدراســـة عشـــت بها مع كتـــاب الله تعـــالى مصـــاحبا بعض قضـــاياه المتصـــلة بالاعـــلام ، لاكتشـــــاف التوجيهـــات الاسلاميـــة التى تحدد مســـار العمليـــة الاعلامية فى كل جوانبهـــا ٠

والأمل فى الله أن يحقق نفعا من هـــــذه الدراســـة ليتحـــول المســـلمون باعلامهم الى جعله اســـلاميا فى مصـــدره ، وحركتـــــه ، وهـــدفه ، ولتعـــود الثقـــة اليقينية بكل ما جاء من عند الله تعالى ، وبذلك يحكمـــون ربهم فى كل شـــئون حياتهم جميعا ٠

وعسى أن يهـــدى الله الجمهـــــور الاســـلامى ليلتقى بالاعـــلام الذى يرتبط بدينـــه ارتباطا حقيقيا ، ويهجر كل اعلام يقوم على الاثارة ، وتهييج العواطف ، وهـــدم قيم الدين ومبادئه ٠

والعـــودة الصـــادقة الى الاســـلام فى مجال الاعـــلام تحتـــاج الى عزيمـــة المسلمين الجادة ، وصـــدق نواياهم ، وحسن توجيههـــــم الى الله تعـــالى ، لأنهم **« لو صـــدقوا الله لكـــان خيرا لهم »** ٠

ان القرآن الكريم أســـاس الاعلام الاســـلامى ٠ فمنـــــه تؤخذ ملامحه ، وبه تحـــدد طريقته ، ومعه يظهر هـــدفه وتعرف غايته ٠

وســـياسة الاعلام فى القرآن الكريم واضحة ، جلية ، متكاملة تشـــمل ما يمكن أن يســـمى بنظرية اســـلامية للاعلام ، تحدد مـــدى حرية المرســـل فى اعـــداد رســـائله ، وتملك وســـائله ، وتضعـــه فى اطار مســـئولياته وواجباته الدينية ، وبذلك تكـــون نظرية متميزة

بخصائصها ، وطبيعتها ، وموضوعها ، وقد اهتم القرآن الكريم بالاعلام وبكل ألوان الاتصال ليشمل توجيهه الى الناس جميعا لاقناعم والأخذ بيدهم الى الهداية والسداد وذلك بالحكمة واللين ، والرأفة والمرحمة .

وان كان لى من رجاء أوجهه فانى أجعله عاما لكل مسلم ، وخاصا لرجال الاعلام منهم ، ليلتزموا حدود القرآن الكريم فى سعيهم وعملهم ، ليعرفوا منهجية الحركة بالقرآن الكريم وفق تجيهاته لأطراف العملية الاعلامية ، طبقا للدروس المستفادة من أساليبه وتراكيبه ، وبذلك تنفتح القلوب المغلقة ، وتنزاح السدود المؤصدة ، وينتشر الخير بين الناس ، ان صلاح الأمة لن يتم الا بما صلح به أولها ، وصلاح العالم كله مرهون بصلاح المسلمين وقوتهم ، وواجب المسلمين أن ينهضوا من كبوتهم الحالية . ، ان علة علل العالم الاسلامى اليوم هو الرضا بالحياة الدنيا ، والاطمئنان بها ، والارتياح الى الاوضاع الفاسدة ، والهدوء الزائد فى الحياة ، وشعور اللا مبالاة الذى سيطر على الناس ، لا يقلقهم فساد ، ولا يزعجهم انحراف ، ولا يهيجهم منكر ، ولا يهمهم غير المادة من طعام ، وشراب ، وملبس وكنوز ، وذلك حال ضار كلما استمر تضاعف الداء وبعد الأمل فى الشفاء .

والمهم الآن أن ينهض دعاة الحق ، وأصحاب الكلمة من اعلاميين وموجهين ليغرسوا الايمان فى قلوب الناس ، ويوقظوا العواطف الدينية ، ويحيوا القيم والمبادىء التى جاء الاسلام بها ، ويقطعوا صلتهم بكل ضار خبيث ، بان لهم ضروره ، ولاح أمامهم افساده ، لا يصرفهم عن مسيرتهم زخرف زائل ، أو لهو عابث ، أو شهوة جاه وسلطان وسوف يكون القرآن الكريم خير معين لهم ، فيه يعلو الايمان على النفاق ، ويرجح اليقين على الشك ، وتغلب سعادة الآخرة ما فى الدنيا العاجلة ، وبذلك يستقيم الحال ويسعد المآل . وتصلح الحياة .

والأمـل معلق فى أشـخاص يؤمنـون باخـلاص ، ويقـولون بصـدق ، ويوجهـون بأمانة •

« رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصـلاة وايتاء الزكـاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصـار » •

« فتية آمنوا بربهم وزدناهم هـدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنـا رب السـموات والأرض لن ندعو من دونه الها لقـد قلنا اذا شططا » •

وعسى أن يهدينا الله تعـالى لترى العيـون ، وتبصر العقـول • وتسعد بمنهج الله القـويم •

— ربنـا لا تزغ قوبنـا بعـد اذ هديتنا وهب لنـا من لدنك رحمة انك أنت الوهـاب •

— ربنا عليك توكلنـا واليك أنبنـا واليك المصير •

— « ربنا لا تؤاخذنا ان نسـينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينـا اصرا كمـا حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنـا به وأعف عنـا واغفر لنا وارحمنـا أنت مولانا فانصرنا على القـوم الكـافرين » •

« وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين »

فهرس الكتـــاب

الموضوع	الصحيفة
المقـــدمـــة	٧ ــ ١٧

الفصل الأول

الموضوع | الصحيفة

الفصل الثانى

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الموضوع **الصحيفة**

الفصل الخامس

رقم الايداع ٤٣٦٨ / ٨٦

ترقيم دولى ٤ — ٢٦ ٠ — ٤٧٨ — ٩٧٧

شركة سعيد رأفت للطباعة

شارع خالد بن الوليد - أمام فندق السلام

تليفون : ٢٥٨٩٩٣٢